المنهل العلي

في سيرة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

المؤلف

فضيلة الشيخ

محمد نبهان خباز

مجاز في العلوم الشرعية

المدقق اللغوي

الأستاذ

مختار فوزي النعال

الريحان

هذا الكتاب صفحات يفوح منها
أريج الصحب الطاهرين ، ويضوع
منها شذا أبي الحسنين أمير
المؤمنين عُلي بن أبي طالب كرم
الله وجهه في أفعاله وأقواله
ومواقفه وسجاياه العلية .
جزى اللهِ الشيخ المؤلف أحسن الجزاء
على ما بذل من جهدٍ وما أظهر
من حبّ للحقّ وأهله الغرّ الميامين .

كبيسي

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار الرضوان

تصميم الغلاف : عبد المنعم الجعفر

كتاب المنهل العليّ
في سيرة أمير المؤمنين
عليّ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٠٠٠ نسخة

عام ٢٠٠٠

الجمهورية العربية السورية

وزارة الإعلام ــ مديرية الرقابة

رقم تأشيرة السماح بالطباعة

٤٦٢٢١ ــ تاريخ ١٩٩٩/١١/١٧

فضيلة الشيخ محمد نبهان الخباز
مجاز في العلوم الشرعية

كتاب المنهل العليّ
في سيرة أمير المؤمنين
عليّ

كرم الله وجهه

التدقيق اللغوي : ــ أ . مختار فوزي النعّال

في هذا الكتاب

ملخَّص مفيد ، وصفوة مختارة ، عن حيـــاة الرضـــيِّ المرتضـــى والولـــيّ المجتبى ، إمامِ العلم والعلماء، والعدل والعطاء ، الباذل المعطاء، في ســـبيل الله للفقراء، ونصير الشَّعْب والبؤساء ، منبع الخير والفضائل ، والمرشـــد الكامل للقبائل، عنوان أهل البيت المختار، والآل الهداة الأبـــرار، والعِـــترة الصافية الأطهار، قائدِ الفرسان، ومجندل الأعداء اللئام ، مطلب الرؤســـاء والسادة الوزراء ، الهزبر الأسد ، والمصقع الأوحـــد ، خطيـــب الخطبـــاء، القائل فيه رئيس الأنبياء (أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمـــن أراد العلـــم فليأت الباب) .

لذا فإني قمتُ بتأليف هذا (المنهل العليّ في سيرة سيّدنا الإمام عليّ) خدمـــةً لأبنائي الأعزّاء ، والأخوة الأصفياء، والسادة المحبّين القراء، ليكون لـــهم نوراً مشعّاً للمحبّين، وهدى للعارفين ، وضياء للمسترشدين، ودليلاً واضحاً للجاهلين .

أسأل الله العليّ القدير أن ينفع به الباحثين، عن حقائق التاريخ والسير، كما أسأله تعالى حسنَ الجزاء والأجر، ويتقبّله مني بقبـــول حســـن، ويبشّـــرنا جميعاً في زمرة الآل والأصحاب مع النبيّين والمرسلين والأئمّة المخلصيـــن والشهداءِ والصّالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً والحمدُ لله في البدءِ والختـــام.

المؤلِّف.

براعة الاستهلال

عن الصحابي الجليل مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قـــال رســول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لعليٍّ : (**تخصم الناس بسبعٍ ، ولا يحاجُّك أحـــدٌ مـــن قريش: أنت أوّلُهم إيماناً** بالله ،**وأوفاهم بعهد الله ، وأقومـــهم بـــأمر الله، وأقسمهم بالسويّة وأعدلهم في الرعيّة، وأبصرهم بالقضيّة ، وأعظمـــهم عند الله مزيَّة**) أخرجه الحاكم عن أبي سعيد الخدري. رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أقدّم كتابي هذا المنهل العليّ في تاريخ

سيدنا الإمام عليّ أمير المؤمنين المرتضى

كرّم الله وجهـــــه

إلى محبّيه من المسلمين ، وإلى كلّ حبيـــب محـــبٍّ للحقّ والحقيقة من المسلمين ، وإلى كلّ حبيب محبٍّ للقضاء والعدل والمساواة من أبناء أُمّتنا الكريمـــة، ليزدادوا اطّلاعاً وعلماً وتحقيقاً.

عن حياة سيّدنا الإمام وآله الأطهار والله مـــن وراء القصد.

المؤلّف.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله المنّان ، العزيز الديّان ، ذي الفضل والإحسان ، القـــائل في كتابه العزيز : ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

جعل في قصص الماضين عبرة للمتأخّرين ، والصـــلاة والســـلام على سيِّدنا محمّد سيد السابقين واللاحقين ، المنزَّل عليه قـــول الله تبـــارك وتعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (٢)

والرِّضا والسلام على الإمام المرتضـــى ، والحبيـــب المجتبـــى مـــن الآل والأصحاب، من فدى بنفسه ابن عمِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رغم حداثة سنِّه يوم أن تآمر عليه المشركون ، ليغتالوه ، وهو خارج مـــن بيته للهجرة، رضي الله عنه ومن والاه إلى يوم القيامة.

---

(١) الآية /٢٦/ من سورة آل عمران.

(٢) الآية /٣/ من سورة يوسف.

وبعد:

فإني كنت ولوعاً بعد تخرجي من المدرسة الشـــرعية ، وتسـلُّمي التدريس العام ، بحبُّ الشخصيات الفذة التي تخرجتْ من مدرسة الإســـلام على يد رسول الإنسانية سيّدنا محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وســـلَّم ، وعلـــى رأس هؤلاء الشخصيات المسلم المؤمن سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه، من كان مثال الإخلاص ، الجامع لصفات الكمال ، الخالي من صفـــات النقصـــان ، المتربّي في بيت النبوّة الوضّاء ، على يد سيد الأنبياء الذي اقتبس الفضيلـــة من ينبوعها الصافي ، والمعارف من معينها الفياض، ونهل مـــن سلســـبيل الشريعة الغراء ، فهو المرتضى أبو الحسنين وزوج الطاهرة البتول ابنـــة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، والمُبشّر بالجنّة.

لذا فإني أحببتُ تلبية السادة الطالبين مني ، خلاصةً ذهبيـــةً عـــن تاريخ هذه الشخصية الفذّة من عالمنا العربي والإسلامي في فجر الإسلام ، أخصّ بها أبنائي الأعزاء ، وإخوتي الشرفاء ، وما أحـــاط بـــه تحصيلـــي العلمي عن الإمام سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه الذي قال فيه رسول الله صلّـــى الله عليه وآله وسلَّم :

(أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب) [1] رواه جمـــع كثير من المؤرخين وعلماء الحديث.

لذلك أحبّ رجال العلم والقلم والحكمة والحقيقـــة ، الاطـــلاع علـــى هـــذه الشخصية العظيمة والكشف عما كانت تحويه من الدرّ المنثور ، والعبقريـــة الفذّة في عالمنا الإنساني ، من كان باباً للعلم بشهادة إمام الرسل والأنبيـــاء سيّدنا محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

---

[1] رواه الحاكم في مســـتدركه ج٣ ص /١٤٦/ والخطيـــب فـــي تـــاريخ بغـــداد ج٢ ص/٣٧٧/ وابن حجر في الصواعق في ج٢ ص /٣٧/ وابن كثير في البداية والنهايـــة ج٧ ص /٣٥٨/ وكنز العمال ج٥ ص /٣٠/ وأسد الغابة لابن الجوزي ج٤ ص /٢٢/.

وقد سبقني كثيرٌ من رجال العلم والفكر والتأليف والتصنيف في الإشادة بهذه الشخصية النادرة في فجر الإسلام ، والكلام عن خصائصه للأنام، ولا تزال الأجيال في الوقت الحاضر وبعده ، يبحثون ويدرسون عن حياة الإمام الجليل ، والأسد الكرار أبي الحسنين رضي الله عنه ، بطل الأبطال وفارس الميدان، وإمام العلم والعلماء ، ونبراس الصالحين والأولياء وأحبة الناس لسيد الأنبياء سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه : (مَنْ سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأجودهم منزلة ، وأعظمهم عند الله عناءً ، وأعظمهم عليةً ، فلينظر إلى هذا ، وكان عليّ مقبلاً ، وأشار إلى عليّ بن أبي طالب، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول عن علي : إنه لرؤوف بالناس ، وإنه لأوّاه حليم).[1]

أيها السادة الأحبة ، لقد سبقني كثير من علماء التاريخ والسير، وأساطين رجال العلم والأدب للكتابة عن السيد الإمام الهاشمي المطلبي صهر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وابن عمه المختار، كما صحّ عندي ما وقرت عليه نفسي وما ألقاه من سؤال من ربي سبحانه، يوم لا مال ينفع ولا ولد يشفع إلا ما يكنه الإنسان من حبٍّ للرسول وآل بيته الأطهار وما يقدمه المرء من صالح الأعمال.

وإنني شرحت ما ترونه أيها السادة القرّاء مسجلاً في سفري هذا على السادة المستمعين في مسجدي سلمية ومساجد حماه في الدرس العام والحمد لله الملهم للصواب.

وكنت أجيب السائلين على مسائل الفقه والحديث والتفسير وخصائص أهل اليت رضي الله عنهم الذين كانوا مفخرة التاريخ في فجر الإسلام وخاصة ما جاء في خطب الإمام سيدنا عليّ كرّم الله وجهه

---

[1] رواه الخوارزمي في مسنده عن الثعلبي ص ٩٧.

المتنوعة ، والتي تعد درّة مضيئة في البلاغة والبيـــان والبديـــع وأنـــواع العلوم، وشتى الفتاوى الباهرة . قال فيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنـــه : (إقيلوني فإني لست بخيركم منكم ، وعليٌّ فيكم) قالها ثلاث مرات.[١]

وقال فيه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : (والله لـــولا ســـيفه ــ وهو يعني عليّاً ــ لما قام عمود الإسلام وهو والله أقضـــــى الأمـــة ، وذو سابقتها وذو شرفها). [٢]

وقال الخوارزمي في كتابه المناقب : عن ابن عبـــاس رضـــي الله عنهما أنه قال: سمعت عمر وعنده جماعـــة ، فتذاكـــروا الســـابقين إلـــى الإسلام، فقال عمر: أما عليّ رضي الله عنه فقد سمعت رسول الله صلّـــى الله عليه وآله وسلّم يقول فيه ثلاث خصال ، لوددت أن تكون لـــي واحـــدة منهنّ ، وكنت أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبـــو بكر وجماعة من أصحابه ، إذْ ضرب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على منكب عليّ رضي الله عنه فقال له: يا عليّ أنت أول المؤمنين إيمانـــاً وأوّل المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى).

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، والحاكم في مســـتدركه ، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنه قال: لقد أُعطي علـــيّ بـــن أبـــي طالب ، ــ كرم الله وجهه ــ ثلاثاً لأن تكون لي واحدة أحبّ إليّ من حمـــو النّعم ، زوجته فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وســـكناه في المسجد ، يحلّ له ما يحل لرسول الله صلّى الله عليـــه وآلـــه وســـلّم ، والراية يوم خيبر.

وجاء في طبقات ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عمـــر ابن الخطّاب : (عليٌّ أقفانا).

---

[١] انظر كتاب غاية المرام للعمراني باب /٥٣/.

[٢] انظر شرح نهج البلاغة لابن الحديد.

وقالت عائشة بنت أبي بكر : (عليّ هو أعلم بالسنّة).

وقال ابن عبّاس : نزل القرآن على سبعة أحرفٍ ما منها حرف إلا له ظهر وبطن ، وإن لعليّ بن أبي طالب ، علم الظاهر والباطن. [1]

وقال أيضاً : أعطي علي كرّم الله وجهه تسعة أعشار العلم ، وإنّه لأعلمهم بالعشر الباقي[2] ويكفي الإمام المرتضى فخراً ، ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في صحيحه أن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في عزمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في فطنته ، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب) رضي الله عنه.

رواه الكمال الشافعي في مطالب السول عن البيهقي وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة.

هذا هو الإمام المرتضى ، وهذه شذرات قليلة اقتبسناها من كتب السادة الأعلام في حقّ سيّدنا الإمام كرّم الله وجهه ، وسيأتي بعد إن شاء الله بيان فضله ، على لسان سيّد الأنبياء سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وأرى لزاماً عليّ أن أذكر ما جاء في حديث أبي أيوب السختياني علامة التابعين لضرورتها والانتفاع بها ، وهي : (من أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحبّ عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحبّ عليّاً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومَن قال الحسنى في أصحاب رسول الله فقد برئ من النفاق)[3] .

---

[1] انظر كتاب المناقب للخوارزمي.

[2] انظر كتاب القدوري الحنفي (ينابيع المودة)باب /٩٥/ .

[3] انظر كتاب الدر المنظوم باب /٨٤/.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، كانوا خير هذه الأمّة،أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلّها تكلّفاً . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لنقل دينه، فتشبّه بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، كانوا على الهدى المستقيم) [1]

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[2]

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيءُ ، أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته) متّفق عليه.

هذه هي منزلة أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كتاب الله تعالى ، وسنّة رسوله الكريم ، وهم الذين تخرّجوا من مدرسة النبوّة ، وساروا على الطريق التي رسمها حبيب الله ومصطفاه، وقد تخلّقوا بأخلاقه ، فكانوا نور هداية لنا ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آوَوا

---

[1] انظر كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج١ ص /٣٠٥/ .

[2] الآية /٢٩/ من سورة الفتح.

﴿وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣)

وصدق الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: (أصحابي كالنجوم ، فبأيهم اقتديتم اهتديتم) وروى الترمذي أن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (أرحم أمَّتي بأمَّتي أبو بكر ، وأشدُّهم في أمر الله عمر ، وأشدّهم حياء عثمان ، وأقضاهم عليٌّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أُبيّ بن كعب ، وما أقلّت الغبراء أصدق لهجةً من أبي ذرٍّ) رضي الله عنهم.

فضرب لنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثلاً واضحاً في الرحمة ، والشدة في الله ، وفي الحياء ، وفي القضاء وفي العلم ، ليوجِّهَنا ، ونقتدي نحن بهم ، لأنهم كانوا مثالاً لنا في إيمانهم وصدقهم وأمانتهم وزهدهم وشدة ورعهم ، قال الله فيهم : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١)

---

(٣) الآية /٧٤/ من سورة الأنفال.

(١) الآية /١٠٠/ من سورة التوبة.

أيها السادة القرّاء ، هل تريدون أبين من هذا العطاء الإلهي لـهؤلاء المؤمنين الصادقين ، الذين حملوا إلينا كتاب الله في صدورهم وسنة رسوله، والذين زهدوا في هذه الحياة الدنيوية ، وباعوا أنفسهم لله تعالى، فأعدّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (كانوا أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة).[٢]

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة يقول : (صليتُ مع عليّ رضي الله عنه صلاة الفجر ، فلما التفت عن يمينه ، مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح، صلى ركعتين ، ثم قلّب يده فقال رضي الله عنه : (والله لقد رأيت أصحاب رسول الله محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزاة قد باتوا لله سجداً أو قياماً ، يتلون كتاب الله ، ويتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله تعالى ، مادوا ــ أي تحركوا ــ كما يميد الشجر في يوم الريح ، هملت أعينهم بالدمع حتى تبل ثيابهم ، والله فكأن القوم باتوا غافلين) [١]

لذا قمت بتأليف هذا المنهل العذب لإرواء الظامئين المحبين أسأله العلي القدير أن يعينني على إتمامه ، وأن يجنبني الخطأ والزلل ، لأنه لا بد للجواد من كبوةٍ ، وللكريم من عثرةٍ ، من يعذر ويعفو ، سائلاً المولى جلّ وعلا أن يتقبله مني بقبول حسن ويجعله ذخراً لي يوم الدين.

---

[٢] انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ ص ١٣٦ .

[١] عن حياة الصحابة ج١ ص /١٣/ البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص ٦ وذكره أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر في كنز العمال ج٨ ص ١٩ .

ويحشرني في زمرة من سهرت ليلي ، وقضيت سحابة نهاري، حباً في الإمام المجتبى والحبيب المرتضى ، سيدنا علي الشهيد وأبي الشهداء رضي الله عنه.

وأنه مهما كتبت وكتب الكاتبون وسجل العلماء الورعون عن الإلمام بما قصدت ، لعجزوا ، فما هو إلا رشفة من بحرٍ ، ونقطةٍ من غيثٍ . ومهما أوتي الإنسان من الفصاحة والبلاغة ، وقوة البيان لعاجز عن الإلمام بسيرة هذا المرتضى ، والإفصاح عما حواه من الفضائل والمكارم . والعلم وحقائقه والفقه وأحكامه ، أجل إنه لعاجز ، وإنني أكتب عنه في هذا المنهل العلمي وأقر معترفاً بتقصيري ، ولكني أرجو القربى منه، والزلفى من العترة الطاهرة ، وآله المخلصين ، والحشر معهم تحت راية قائدنا رسول الإنسانية محمدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

فضلُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ

لقد أتيت بجزءٍ يسير في مقدّمة كتابنا عن فضل أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وإن الكلام عنهم باختصارٍ ، لم يكن وافياً بحقّهم ؛ لذا فإني سأتكلم عنهم ، لأن تعاليم الإسلام قد وصلتنا عنهم ، وعلى الخصوص أخبار سيّدنا الإمام أبي الحسنين أمير المؤمنين، التي أذكرها عن هؤلاء الجهابذة الأبرار ، بما شاهدوه أو سمعوه عن سيِّدنا الإمام عليّ كرم الله وجهه ، فهم الذين ورَّثوا لنا المجد التليد ، والتاريخ الناصع ، واعتنوا بأخبار الرجال ، وفرسان المعارك في نشر الدين الحنيف: فما العزُّ للإسلام إلا بظلّهم وما المجد إلا ما بنوه وشيّدوه.

نعم شهد القرآن الكريم بمدحهم ، وبيان الثناء عليهم ، حتى نملأ قلوبنا بمحبّتهم، والسير على طريقهم ، والبعد عن انتقاصهم ؛ قال الإمام الحافظ الثقة أبو زرعة الرازي ، وهو من أقران الإمام البخاري : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فاعلم أنه زنديقٌ ، وذلك أن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقٌّ ، والقرآن حقٌّ، وما جاء به حق ، وإنما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة ، وهؤلاء ــ أي المنتقصون لهم ــ يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . [1]

إن هؤلاء الصحابة عدول ، وعدالتهم ثابتة معلومة عند كلِّ مسلمٍ، في كتاب الله وسنَّة رسوله سيدنا محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي إجماع الأئمة ؛ فقد جاء في كتاب الله القرآن نصوصٌ كثيرة ، وآيات بيّنة،

---

[1] انظر كتاب (إفادة الأخيار ببراءة الأبرار) ج١ ص٣٩ للعلامة المؤرخ الشيخ محمد العربي التباني المدرس بالحرم المكي ومدرسة الفلاح بمكة.

تدل على فضلهم ، وطهارتهم ، واختيار الله لهم ، ووعده باستخلافهم في الأرض، والتمكين في الدين وظهوره ، وإلى السادة القراء بيان الآيات التي وردت بفضلهم:

١ــ قال الله تعالى في الآية /١٤٣/ من سورة البقرة : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ، فالخطاب في هذه الآية لجميع الأمة الإسلامية من أولها ، إلى قيام الساعة ، فيدخل فيه الصحابة قبل بقية الأمة؛ فقوله تعالى : (وسطاً) أي خياراً وعدولاً ، وخير الأمور أوسطها، قال زهير:

هم وسطٌ يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

٢ــ وقال تعالى في الآية /١١٠/ من سورة آل عمران: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. في هذه الآية نصٌّ صريح، في كون هذه الأمة المحمدية أفضل من جميع الأمم التي آمنت بالله وحده لا شريك له، واتخذت الدين منهجاً ، وصدّقت الرسل ، وذلك مدحٌ عظيمٌ لها ، على تفوقها على الأمم قبلها، بهذه الأوصاف المذكورة في الآية.

٣ــ وجاء قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ .

إن هذه الآية قد اشتملت على مدحٍ عظيمٍ للصَّحابة رضي الله عنهم بقوَّةِ الإيمان، والصبر على البلاء ، وتفويض كل الأمور بالالتجاء إلى الله تبارك وتعالى ، وعلى وعده جلّ وعلا للمتَّقين منهم بالثواب العظيم، وقد فعلوا رضي الله عنهم ، ولا خلاف عند علماء التفسير ، بأن الذين استجابوا لله وللرسول ، هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقعة بدرٍ وأحدٍ ، أما يحقُّ لنا أن نأخذ بأقوالهم ، وما نقلوه وحفظوه؟

٤ــ وجاء في الآية /٥٤/ من سورة المائدة قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

هذه الآية خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة ، ومعناها أن الله عزَّ وجلَّ وعد هذه الأمة أن من يرتدّ منها، فإنه يجيء الله تعالى بقومٍ ينصرون الرسول والدين الإلهي ، وقد قدّم الله تعالى محبَّته لهم على محبَّتهم له؛ وباعتبار أن كل من اتصف بهذه الصفات ، محبة الله ورسوله ودينه، فلا شك أنهم الصحابة الكرام لذا فإني أقتبس سيرة الإمام وما صحَّ عنه، من هؤلاء الذين أحبّوا الله ورضوا عنه ورضي عنهم ، فلا ألام إن تركت كل قول مؤرِّخٍ ، وتمسكت بأقوال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٥ـ قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾

أجمع العلماء أن المراد بالنبيِّ الأميِّ .. إلخ هو محمدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وجمهورهم على أن المراد بقوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول

النبيّ.... إلخ) جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه ، سواء كانوا من بني إسرائيل، أو من غيرهم ، وخرج بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي) اليهود والنصارى من الاشتراك الذي حصل لهم في قوله عز وجل: (فسأكتبها للذين يتقون) إلخ وقد حصلت هذه العزة لأمة محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قطعاً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما، فحري بأن نقول : إن هؤلاء المؤمنين هم أصحاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا فإننا نأخذ بما رووه عن سيدنا الإمام من حديث وفتوى وسيرة، لأنهم أصدق من نطق بالضاد.

٦ــ قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

المعنى أيُّها السادة : هو أن الله تبارك وتعالى هو الذي قوّاك يا محمَّد وأعانك بنصره يوم غزوة بدرٍ الكبرى ، وقوّاك وأعانك بالمؤمنين أي الأنصار وهم الأوس والخزرج ، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى : وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ فنحن نأخذ بأقوال هؤلاء الصحابة لصدقهم وأمانتهم.

٧ــ وقال أيضاً في الآية /٧٢/ من سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ، إن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الثلاث : الإيمان والهجرة والجهاد هم المجاهدون الأولون، الذين نأخذ بأقوالهم مما يروون من سيرة الإمام رضي الله عنه.

٨ــ وقال الله تعالى في الآية /١٠٠/ من سورة التوبة : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. عن هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، نأخذ بروايتهم وما يتحدثون عنه عن الإمام أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه .

٩ــ وقال الله تعالى في سورة التوبة :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ(١١٩)﴾

ذكر العلماء عدّة أقوالٍ في تفسير الصادقين، فقيل : هم الأنبياء ــ أي كونوا معهم لصدقهم وتبليغهم الأمانة ، وقال سعيد بن جبير : مع الصادقين أي مع أبي بكر وعمر ، وقال ابن جريج : مع المهاجرين لقوله تعالى :

(للفقراء المهاجرين) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : مع الذين صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم ، وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى تبوك بإخلاص ونية ، وعلى ما ذكر من أقوال، فنحن نتبع الصادقين ونروي عنهم ، ونجلهم جميعاً ، ونمتثل لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) رواه البخاري ومسلم .

وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم القائل : (الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه). أخرجه الترمذي وابن حبان.

ورسولنا الكريم عليه وعلى آله أتم التسليم يقول : (من سبّ أصحابي فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين) . أخرجه الطبراني عن أبن عباس .

قال العلامة الكبير القرافي رحمه الله تعالى : (أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كانوا بحاراً في العلم على اختلاف أنواعها ، من الشرعيات والعقليات والحسابات والسياسات ، والعلوم الباطنة والظاهرة ، حتى أن سيدنا علياً كرم الله وجهه ــ جلس عند ابن عباس في تفسير حرف الباء ، في بسم الله ، من العشاء إلى أن طلع الفجر ، مع أنهم لم يدرسوا ورقةً ولا قرأوا كتاباً وقد تفرغوا للجهاد ، وقتل الأعداء ، ومع ذلك كانوا على هذه الحالة ؛ حتى قال بعض الأصوليين لو لم يكن لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معجزة إلا أصحابه لكفوه في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام) [1]

---

[1] انظر المصدر السابق ج١ ص١٢.

وجاء في كتب علماء المذاهب كالطحاويّ والغزاليّ وجعفر بن محمَّد والقاضي عيّاض والنووي وابن تيمية والكمال بن همام والهيثميّ ما يؤيد الذي قلناه .

وما أخبرنا به الصادق المصدوق الرسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلّم : (بأن الله تعالى قال لأهل غزوة بدرٍ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال هذا ، ليعرفنا قدرهم ، وينبّهنا على فضلهم ، ويمنعنا عن انتقادهم .

ولمَّا عاد من حجَّةِ الوداع إلى المدينة المنوَّرة ، صعد المنبر ، وخطب خطبةً في فضلهم ، قال في آخرها : (أيُّها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني ، لا يطالبنكم أحدٌ منهم بمظلمة ، فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غداً) . رواه الطبراني عن خالد بن سعيد رضي الله عنه .

وجاء في حديث أبي نعيم والديلمي عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (احفظوني في أصحابي وأصهاري ، فإنه من حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظني فيهم ، تخلَّى الله عنه ومن تخلَّى الله عنه ، يوشك أن يأخذه) .

وحسبكم أيُّها القرَّاء ، في بيان فضل الصحابة الكرام ، من حملوا لنا تعاليم الإسلام ، أن الله تبارك وتعالى ، أنه قد رضي عنهم ، فقال في كتابه العزيز ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1] ، لذا قال

---

[1] من سورة التوبة الآية ١٠٠.

العلماءُ : " إذا ذكر الصحابة بسوءٍ ، كإضافة عيبٍ إليهم ، وجب الإمساك[1]" .

فكّروا معي أيها السادة إلى قول أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي رضي الله عنه ، حينما وقف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد مات وهو مسجى : "" ما أقلّت الغبراء ، ولا أظلّت الخضراء ، أحداً أحبَّ إليَّ ، أن ألقىَ الله تعالى بصحيفته من هذا المسجىَّ وقد دعا له[2] "". قال ابن كثير في كتابه البداية : قد ثبت بالتواتر أن سيدنا الإمام علي رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب على منبر الكوفة : "" أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أبو بكر ثم عمر"" . وقال الحافظ المؤرخ الكبير الذهبي : عن السيد محمد بن الحنفية وأبو جحفة العامري أن الإمام قال { إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر } وساق الذهبي الأسانيد الصحيحة عن ذلك ، ثم ذكر عن طريق التواتر .

وقد أثنى أمير المؤمنين أبو الحسن كرم الله وجهه الثناء البليغ على أبي بكر رضي الله عنه . أخرج البزاز عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه عن أبيه الإمام علي رضي الله عنه أنه خطب فقال :{ من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنتَ ، فقال الإمام : أما إني ما بارزني أحدٌ إلا انتصفتُ منه ، ولكنه أبو بكر ، لقد رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أخذته قريشٌ ، فيجؤُه هذا ، وهذا يتلقاه ، ويقولون له : أنتَ تجعلُ الآلهةَ إلَهاً واحداً ، فوالله ما دما منا أحدٌ إلا أبو بكر ، يضرب هذا ، ويدفع هذا ويقول : ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله ، ثم بكى سيدنا علي ، ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آلُ فرعون أفضل أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال

---

(١)عن المصدر السابق ج١ ص١٣

[2] نفس المصدر السابق ج١ ص٢٠٠.

الإمام علي رضي الله عنه: والله لساعة من أبي بكر خيرٌ منه ، ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا يعلن بإيمانه } .

لذا قال كرم الله وجهه : { من فضلني على أبي بكر وعمر جلدتهُ حدَّ الفرية } . أخرج الحافظان الثقتان أبو ذري الهروي والدار قطني : (أن بعضاً من الناس ، يسبون الشيخين ، ولما أخبر الإمام سيدنا علي رضي الله عنه وقيل للإمام : لولا أنهم يرون أنكَ تضمرُ ما أعلنوا ، ما اجترأوا على ذلك ، فقال الإمام رضي الله عنه : { أعوذ بالله رحمهما الله، ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر ، وأدخله المسجد ، فصعد المنبر ، ثم قبض على لحيته وهي بيضاء ، فجعلت دموعه تتحادر على لحيته ، وجعل ينظر البقاع ، حتى اجتمعت الناس ، ثم خطب خطبة بليغةً من جملتها : { ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش ، وأبوي المسلمين ، وأنا بريٌ مما يذكرون وعليه معاقب ، صحبا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالجد والوفاء ، والجد في أمر الله تعالى ، يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان ، لا يرى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كرأيهما رأياً ، ولا يحب كحبهما حباً ، لما يرى من عزمهما في أمر الله ، فقبض وهو عنهما راضٍ ، والمسلمون راضون ، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمره في حياته ، وبعد مماته ، فقبضا ــ أي ماتا ــ على ذلك رحمهما الله تعالى ؛ فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقي مارق ، وحبهما قربة ، وبغضهما مروق .... ثم قال الإمام : ألا ولا يبلغني عن أحدٍ أنه يبغضهما إلا جلدتهُ حدَّ المفتري[1] } .

---

[1] انظر المصدر السابق ج١ ص٢٠١.

لذا أيها السادة القراء إنني آخذ الرواية الصحيحة عن السادة العلماء المتقدمين عن سيدنا الإمام أبي الحسن أمير المؤمنين ، عن كل جهبذي ثقة عليم ، ولا أهتم بفكرة فلان من الناس ، ولا طائفية أو عصبية ، أو ميول نفسية ، أقول الحق ، وأنقل الصدق ، وأروي الخبر كما وصلني ، وأرويه حسب قناعتي ، وما ألقى الله به ، في كتابنا (المنهل العلي ، في تاريخ أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه) ورضي الله عنه .

ليكون كتابنا صفوة الصفوة ، وزبدة البحث عن سيدنا الإمام ، ليكون كالشمس الساطعة أو القمر المنير ، يشع الطريق للقارئين ، والهدي للسالكين ، والمشعل الوضاء للعارفين ، للكشف عن الحق والحقيقة ، عن هذه الشخصية الفذة من عالمنا البشري في عالم الخلود ، وريّاً للظامئين ، وقوتاً للطالبين .

أسأل الله العلي القدير أن يعينني على إتمامه ، ويتقبله مني بالقبول الحسن ، ويجعله ذخراً لي يوم الدين ، ويحشرني وإياكم مع رسوله المصطفى وابن عمه المرتضى وابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء ، فهو حسبنا ، وعليه توكلنا وإليه المصير ، ولا حول ولا قوة إلا به ، والحمد لله رب العالمين .

(تمهيد بين يدي القارىء الكريم)

بعد المقدمّة وفضل أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَم أقول في كلمة التمهيد :

إنّ كثيراً من الناس ، من يدرس التاريخ للهواية ، ومنهم من يقرأ للدراسة ، وآخرون للعبرة والكشف عن الحقيقة ، فتاريخ حياة الإمام عليّ رضي الله عنه يُقرأ لكل هذا ، لما حواه عصره من عظاتٍ بالغاتٍ ، وعبر عظيماتٍ ، وملاحم كبيرات ، لم تكن بالحسبان ، ولم تدر بخلد إنسان ، مهما يكن هذا الإنسان ، ومهما عاش في هذه الحياة .

في سيرة الإمام علي ، حيدرة أبي الأبطال ،وسيِّد الشجعان وإمام أهل القضاء والعرفان،ملتقى لمحب العاطفة المليئة بالإحساس ، والمتوصل عن طريق الرحمة وسبيل الإكبار لشخصيِّة الشهيد وأبي الشهداء ، والقاضي بالحق بشهادة رسول الله سيدنا محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، التي منحها له بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (وأقضاكم عليٌّ) وفي رواية : (أقضى أمّتي عليّ) إنها مفخرة عظيمة للإمام، وشهادة كبرى تفوق شهادات الجامعات ، ومنح الدراسات ، إنها شهادة اختصاص ، ممهورة بألفاظ سيّد الوجود سيدّنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ويشهد عليها قضاؤه العادل ، الذي شهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه له بقوله حينما قال { لولا عليٌّ لهلك عمر }

ولم يقف سيّدُنا الإمام عليٌّ كرَّمَ الله وجهه عند القضاء للحقِّ فحسب ، بل هو البطل المغوار والشجاع الذي لا يبارى ، فقد شهدتْ له الوقائع والحوادث ، فثباته يوم الهجرة النبويّة في البيت ، والمؤامرة التي دبِّرت للقضاء عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولأداء الأمانات المودعة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم ذاك ، فهي أكبرُ دليل ، وأنصعُ

حجّة تدلُّ على شجاعة الإمام علي وبطولته مع صغر سنّه ، زد على ذلك ما لاقته الأعداء والأقران في الغزوات والملاحم ، لذا سمّي بسيف الله المسلول .

فهو الشجاع الذي لا يصدّ والقويُّ الذي لا يردُّ ، وهو أوّلُ المبارزين يوم بدرٍ الكبرى ، وأوّلُ الثابتين يوم أحدٍ ، وأوّلُ الفاتحين لحصون خيبر ، وأول السابقين يوم فتح مكة .

فسيّدنا عليٌّ كرّم الله وجهه ، أفضل شخصيّةٍ فذّةٍ في عالمنا البشريّ تُدرس ، لذا مهّدتُ لك يا أخي القارىء بهذه الكلمة ، لتكون لكَ متنبهاً لحياة من تدرس ، وحياة من تَطّلع عليها في ضمير الغيب ، من عالمنا ، من عالمنا الراحل ، لمقرٍّ الخلود .

نسب سيدنا الإمام عليّ كرم الله وجهه

هو سيدنا علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[1] ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن الضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . إلى هنا متفق عليه ، وما بعده مختلف فيه ، إلا أنهم اتفقوا على أن النسب يرجع إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله عليهما السلام . وأم سيدنا علي هي السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ، أسلمت وهاجرت وتوفيت في المدينة المنورة ، وشهدها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وتولى دفنها ، ونزع قميصه وألبسها إياه ، وأضطجع في قبرها ، فما سوَّى التراب في البقيع سئل عن ذلك فقال : (ألبستها لتلبس من ثياب الجنة ، وأضطجعت في قبرها لأخفف عنها من ضغط القبر ، إنها كانت أحسن خلقٰ الله صنيعاً إليَّ بعد أبي طالب) .

وروي أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلى عليها وتمرغ في قبرها وبكى ، وقال : (جزاكِ اللهُ من أمّ خيراً ، فقد كنتٍ خير أم) وسماها أماً لأنها ربته .

قال الشاعر العربي :

في قبر فاطمة تمرَّغ أحمدٌ ... كيما يباركُ تُربَ ذاكَ المرقد

وكذا يجعل قميصه كفناً لها ... دفعَ العذابِ عن التي في الملحدِ

---

[1] وأسم أبي طالب عبد مناف كما ذكره أبو الفداء في تاريخه ج١ ص١٧٠.

وقد ولدت لأبي طالب عقيلاً وجعفراً وعلياً ، وأم هانىء ، واسمها فاختة وجمانة ، وكان سيدنا علي أصغرهم[٢] .

فسيدنا الإمام علي كرم الله وجهه هو أول خليفة ، أبواه هاشميان، وفيه اجتمعت خلاصةُ الصفات التي اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة قبل الإسلام وبعده ، من النبل والذكاء والشجاعة والكرم ، والمروءة والإحسان، وقد سمته أمه فاطمة بنت أسد (حيدرة) باسم أبيها أسد بن هاشم ــ والحيدرة ــ هو الأسد ، لذا قال كرم الله وجهه عن نفسه { أنا الذي سمتني أمي حيدرة ...) وقد غير أبوه اسمه وسماه علياً . [١]

وقد اجتمع للإمام سيدنا عليّ كرّم الله وجهه من صفات الكمال ، ومحمود الخصال والشمائل وسناء الحسب مع الفطرة النقية ، والنفس الرضية ، ما لم يهيأ لغيره من الرجال.

---

[٢] انظر كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ج١ ص٥٦.

[١] انظر كتاب نزهة الفتيان في تراجم بعض الشجعان ج١ ص ٢٨.

كنيةُ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ

لم يزل الإمام علي في الجاهلية والإسلام عليّاً ، وكان يكنّى أبا الحسن، وسماه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صديقاً ، وعن معاذة العدوية قالت سمعت عليّاً على منبر البصرة يقول:

(أنا الصِّدّيقُ الأكبر) أخرجه بن قتيبة ، وعن أبي ذرٍ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لعليٍّ : أنت الصِّدّيق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرّق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب الدين. [1]

وروى الإمام أحمد بن حنبل في كتاب المناقب أن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (يا قوم اتّبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وعليٌّ بن أبي طالبٍ هو أفضلهم).

وكنّاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأبي الريحانتين ، وروى الإمام أحمد بن حنبل أن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليٍّ ابن أبي طالب : (سلام عليك يا أبا الريحانتين ، فعن قليل يذهب ركناك، والله خليفتي عليك) فلمّا قبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال عليّ : هذا أحد الركنين ، فلما ماتت فاطمة ، رضي الله عنها ، قال :هذا الركن الآخر.

وكنّاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأبي تراب ، عن سهل ابن سعد قال: (أتى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاطمة قال: أين ابن عمِّك؟ فقالت : هو ذا مضطجع في المسجد ، فخرج النبيّ صلَّى الله عليه

---

[1] اليعسوب فحل النحل ثم أطلق في اللغة على السيّد والمعظم في قومه . والعبارة من كتاب ذخائر العقبى ج١ ص٥٦ .

وآله وسلَّم فوجده نائماً في المسجد ، وقد سقط عنه ردائه ، وأصاب التراب جسده فجاء حتىّ جلس عند رأسه ، وأيقظه ، وجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول له : اجلس أبا تراب، والله ما كان اسم أحب إلى علي منه . أخرجه مسلم ، والبخاري.

وكان يلقبَّ بيضة البلد ، وبالأمين وبالشريف والهادي والمهدي ، وذي الأذن الواعي. [1]

مولدُ سيِّدنا الإمامِ عليٍّ وإسْلامُه ونشأتُهُ

وُلد سيِّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه بمكة المكرمة داخل البيت الحرام ، في السنة الثانية والثلاثين عن ميلاد النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وشبَّ في بيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم متحلياً بمكارم الأخلاق ، ومقتدياً برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أقواله وأفعاله.

عن مجاهد بن جبير قال: كان من نعمة الله تعالى على عليّ بن أبي طالب ، أن قريشاً أصابتهم شدَّة ، وكان أبو طالبٍ ذا عيالٍ ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للعبَّاس وحمزة رضي الله عنهما، أن يحملوا ثقل عمِّه أبي طالب في تلك الأزمة العصيبة التي تمر على أهل البلاد في هذا العام المجدب ، وخاصة أهل مكة وجاءوه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ، ليكفوه أمرهم ، حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهم: دعوا لي عقيلاً ، وخذوا من شئتم ، لأن عقيلاً كان أحبّ أولاده له ، فأخذ العبّاس طالباً ، وأخذ حمزة جعفراً ، وأخذ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليّاً ، كما هو المشهور.

---

[1] انظر المصدر السابق ج١ /ص٥٧.

فخصّه النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعطفه ورعايته، وغمـــره بحبّـه، وشمله بحنانه ، فنشأ سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنـــه عـفّ اللســان ، قـويّ العزيمة، طاهر العقيدة نقيَّ الإيمان ، لم يتدنّس بدنس الجاهليةّ، ولم يتلـوث بعمل الوثنية ، لم يعبد وثناً ، ولم يسجد لصنم قط، ولذا قيل عنه (كـرّم الله وجهه).

ولما بُعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، كـان سـيدّنا علـيّ أوَّل صبيٍّ قد أسلم وسنُّه ثماني سنوات، وقيل : عشر ، وقيل ثلاثة عشـر فـي بيت أبيه مقابل دار النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي ولد بها، وهي تقـع في سوق الليل ، في زاويته حجرٌ مكتوبٌ عليها، أنه كان يسلّم على النبـيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

ولما بلغ مرتبة الرجال،كان سيّدنا الإمام أمير المؤمنين عليٌّ كـرَّم الله وجهه بحراً لا يدرك غوره، في الحلم والحكمة والبلاغـة والشـجاعة والسخاء والكرم راسخ الإيمان ، قويَّ البيان، جواداً رحيماً ، يتصدَّق علـى الفقراء ، واليتامى والمساكين، مع ضيق حاله، أبيّ النفس ، شـديداً علـى الكفّار ، رحيماً على المؤمنين.

وقد جمع الحجا [1] والدين وفيه خلائق تجمع الخير افتئاماً.[2]

---

[1] الحجا : العقل.

[2] افتئاماً : جمع صفات الخير في سيدنا الإمام رضي الله عنه ، عن كتاب فتح العلام شرح بلوغ المرام ج٣ ص ٨٣٥ .

إسلامُهُ رضيَ اللهُ عنهُ

يذكر ابن هشام في كتابه السيرة ج١ ص ٢٦٤ قوله: (فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليّاً فضمه إليه ، فلم يزل عليٌّ رضي الله عنه مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيّاً ، فاتّبعه سيدنا عليٌّ رضي الله عنه ، وآمن به وصدَّقه.

قالَ ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة وخرج معه عليٌّ ابن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه ، وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمِّ ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم. وذكروا أن أبا طالب قال لولده عليٍّ : أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال عليٌّ : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدَّقته بما جاء به، وصلّيتُ معه لله ، واتبعته.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان أوَّل من أسلم عليٌّ بن أبي طالب.[1]

وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: عليّ أول من أسلم بعد خديجة.

---

[1] هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد غزا مع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبع عشرة غزوة، وروى سبعين حديثاً ، وتوفي في الكوفة سنة /٥٦/ هـ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وأبو عبيدة عامر بن الجراح وأبو بكر وجماعة، إذ ضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منكب عليٍّ بن أبي طالب فقال يا عليُّ : أنت أوّلُ المؤمنين إيماناً ، وأنت أوَّل المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى.[1]

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لعليٍّ: أنت أوَّلُ من آمن بي وصدق.

وعن سلمان رضي الله عنه قال : أول هذه الأمة وروداً على نبيِّها الحوض أوَّلها إسلاماً عليُّ بن أبي طالب.

إخاءُ سيِّدِنا عليٍّ لسيِّدِنا رسولِ الله

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، وفي كتابه المناقب عن عليٍّ رضي الله عنه قال: طلبني النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوجدني في حائط ــ أي بستان ــ نائماً ، فضربني برجله وقال : قم فوالله لأُرضينّك، أنت أخي وأبو ولدي ، تقاتل على سنّتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات على دينك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعتْ شمس أو غربتْ.

---

[1] وللحديث تتمة وهي (إلا أنه لا نبي بعدي).

شخصيّةُ سيِّدِنا عليٍّ شخصيّةٌ فذّةٌ في التاريخِ

شخصيّة سيدنا الإمام عليٍّ من الشخصيّات الفذّة ، التي يشار إليها بالبنان ، ويعشقها كرم الله وجهه القلب قبل اللسان، فهو رضي الله عنه سيّد الشباب والكهول، وريحانة الأنصار والمهاجرين، وباب مدينة العلم والشريعة، وتلميذ رسول الإنسانية ، وهادي البريَّة ، سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو رأس المخاطبات ، ومستنبط الإشارات، والعبارات عن سيّد المرسلين ، حامل راية المهتدين ، ونور المطيعين، ووليِّ المتقيّن ، وإمام أهل القضاء والحقوقيّن ، وأقدم المؤمنين إجابة وإيماناً ، وأقومهم يقيناً وعدلاً ، وأفصحهم لساناً ، وأعظمهم حلماً ، وأوقرهم شخصية ، هو قدوة المتّقين وزينة العارفين، والحائز على حقائق التوحيد ، فهو صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، والأذن الواعية ، والعهد الوافي ، فقّاء عيون الكفر، فدفع الناكثين ، ودفع المارقين بحججه الساطعة ، والمطلق للدنيا وشهواتها، رغبةً فيما له عند الله تبارك وتعالى.

هذه هي الشخصيّة الفذّة ، التي نبحثها في كتابنا هذا.

صفةُ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ الجسديّةُ

نشأ سيّدُنا علي رضي الله عنه رجلاً مكين البنيان في الشباب والكهولة ، حافظاً لتكوينه المكين حتى ناهز الستين ؛ قال واصفوه ، وهو في تمام الرجولة : إنه كان رضي الله عنه ربعة أميل إلى القصر ، آدم ــ أي أسمر ــ شديد الأدمة ، أصلع، مبيض الرأس ، واللحية طويلها، تقيل العينين في دعج وسعة ــ أي شدة سواد العينين مع سعتها ــ حسن الوجه،

واضح البشاشة ، أغيد ــ أي أميل العنق ، كأنما عنقه إبريق فضة ، عريض المنكبين ، لهما مشاش كمشاش السبع الضاري ــ والمشاش رأس العظم ــ لا يتبين عضده من ساعده ، قد أدمجت إدماجاً ، وكان أبجر ــ أي كبير البطن ــ يميل إلى السمنة في غير إفراط ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقّها ، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقّها ، شثن الكفّين ، يتكفأ في مشيته ، على نحو يقارب مشية النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ــ أي إذا مشى كأنّما ينحطُّ من صببٍ ، يرفع رجليه بقوة ــ ويقدم في الحرب، فيقدم مهرولاً لا يلوي على شيء ، وتدل أخباره ، كما تدل صفاته،على قوّةٍ جسدية بالغة في المعاني التي أعطاها الله تبارك وتعالى، مما يدل على المكانة والصلابة عمن سواه ، فربّما رفع الفارس بيده عند النزال ، فجلد به الأرض كما جلد بعمرو بن ودّ العامري يوم الخندق، غير جاهد ولا حافل بمن يصرعه، وكان كرم الله وجهه يمسك بذراع الرجل فكأنّما أمسك بنفسه، فلا يستطيع أن يتنفّس ، وقد اشتهر عنه ، أنه لم يصارع أحداً إلا صرعه، ولم يبارز أحداً إلا قتله، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه رجال ، ويحمل الباب الكبير ، يعمي بقلبه الأشدّاء ويصيح الصيحة، فتنخلع لها قلوب الشجعان.

رُويَ أنه دعا معاوية بن أبي سفيان إلى المبارزة ، ليستريح الناس من الحرب ، بقتل أحدهما قال عمرو بن العاص لمعاوية : والله لقد أنصفك أبو الحسن ، فقال له معاوية : ما غششتني منذ صحبتني إلا اليوم. أتأمرني بمبارزة أبي الحسن ؟ وأنت تعلم أنه الشجاع المطبق ، والله إني أراك قد طمعت بالإمارة بعدي.

ومن مكانة تركيبه كرم الله وجهه أنه كان لا يبالي الحرَّ والبرد، ولا يحفل الطوارئ الجوّية في صيف ولا شتاء، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، ولباس الشتاء في الصيف ، وسئل في ذلك فقال: إن رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر ، فقلت يا رسول الله : إني أرمد العين ، فقال (اللهم اذهب عنه الحَّر والبرد) فما وجدت حّراً ولا برداً منذ يومئذٍ...) [1]

زواجُ سيِّدِنا عليٍّ رضي اللهُ عنهُ بفاطمةَ الزهراءِ رضيَ اللهُ عنها

روى ابن عساكر في تاريخه ، وغيره أيضاً ، أنه روى عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه خطب في قران سيدنا عليّ على ابنته السيِّدة فاطمة الزهراء . قال أنس بن مالك رضي الله عنه دعاني النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادع لي ، أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وعدّةً من الأنصار ــ رضي الله عنهم ــ فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم ، وكان الإمام عليٌّ غائباً ، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : الخطبة الآتية التي رواها الطبراني ، ثم دعا بطبقٍ من بُسْرٍ (تمر) ثم قال انتبهوا ، فانتبهنا ، ودخل عليٌّ رضي الله عنهم فتبسّم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : إن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أزوِّجك فاطمة على أربعمائة درهم ، فِضّة ، أرضيت ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه رضيتُ يا رسول الله ، ثم خرّ ساجداً شكراً لله تعالى : وكان عمره إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر.

وعمر السيدة فاطمة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف.

---

(١)انظر عبقرية العقاد في وصف سيّدنا عليّ ج١ ص ١٨٠ ــ طبع دار الهلال.

خطابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّمَ في قِرانِ عليٍّ وفاطمةَ.

الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرتـــه، المطـــاع بســـلطانه، المرهوب من عذابه، وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ودبَّرهم بحكمته ، ومَيَّزهم بأحكامـــــه ، وأعزَّهُـــم بدينـــه. وأكرمهم بنبيِّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

إن الله تبارك اسمه ، وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً ، وأمـــراً مفترضاً ، أوشج [1]به الأرحام . وأزال به الآثام ، وأكرم الآنام ، فقال عـــزّ من قائل : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2]

فأمر الله تعالى ، يجري إلى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قـــدره ، ولكـــلّ قضاء وقدر، ولكل قدرٍ أجل ، ولكلِّ أجلٍ كتـــاب ، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3]

ثم إن الله تعالى ، أمرني أن أزوِّج فاطمة من عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، وقد أجبت على أربعمائة مثقال من فضَّةٍ إن رضي بذلك عليٌّ فقال علـــيٌّ:

---

[1] أوشج : أي شبك.

[2] الآية /٥٤/ من سورة الفرقان.

[3] الآية /٣٩/ من سورة الرعد.

رضيت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : جمع الله شملكما ، وأسعد جدَّكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيراً طيِّباً) رواه الطبراني . [1]

وتمَّ هذا القران في السنة الثانية من الهجرة وسنّ فاطمة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر كما مر سابقا وكان عمر سيدنا الإمام عليٍّ رضي الله عنه اثنتين وعشرين سنة ، لأنه ولد قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة وكان زواجه في السنة الثانية من الهجرة كما ذكره العلّامة الخضري في كتابه محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية .

لمحةٌ وجيزةٌ عن السيِّدةِ فاطمةَ الزهراءِ رضيَ اللهُ عَنْها

في بيت النبوَّة ، ومعقل الرسالة المحمدية ، ولدت السيِّدة فاطمة الزهراء بنت سيِّدنا محمّد بن عبد الله ، الذي بعثه الله للناس هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وأمُّها خديجة بنت خويلد، سيدة نساء قريش ، وأعرقهنَّ نسباً، وأكرمهنّ محتداً .

وفي هذا البيت الذي انبثق منه النور العظيم الذي أخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال، إلى نور الهداية والعرفان ، نشأت السيدة فاطمة رضي الله عنها ، في كنف أبويها ، يحيطانها بحبِّهما ، الفيّاض ويكلآنها برعايتهما وعنايتهما ، ويظلانها بعطفهما...

ولما أمر الرسول عليه وآله الصلاة والسلام بالهجرة ، رافقته فاطمة وهي في الخامسة من عمرها، وأخذت تكرِّسُ حياتها على خدمة

---

[1] والخطاب في مجموعة خطب القاسمي الدمشقي.

أبيها، والعناية بشؤونه ، والاهتمام براحته ، على الرغم من صغر سـنها، وفي هذا المعهد العالي للتربية عاشت السيّدة فاطمة ، فلقّنت أشرف مبادئ التربية والتهذيب ، وأعلى مراتب الأخلاق والآداب ، ونالت أسمى المعارف والعلوم، فنشأت رضي الله عنها، كاملة الثقافة ، عالية الخلق ، عظيمة النفس ، فبرزت كوكباً زاهراً في سماء بيت النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لذلك سمِّيتْ بالزهراء ، وكان من شدة حبّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لها ، لا يطيق أن يراها متكدِّرة أو منزعجة.

وأخذ عودها ينمو ويترعرع ، وزهر أنوثتها يتفتَّح ، حتى إذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها .أخذت الخواطر تطوف برؤوس أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لخطبتها ، فقد أصبحت السيّدة فاطمة في السنّ التي تؤهلها أن تكون زوجة ، وإنَّهُ لأعظم شرف أن يصاهر صحابيّ الرسول الكريم ، وأن تصبح السيدة فاطمة ريحانة بيته، وكان أوَّل من طاف برأسه هذا الخاطر أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فعزم على طلبها من أبيها ، فلما ذهب وخطبها إليه، أطرق الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قليلاً ، ثم قال في رقَّةٍ : انتظر بها القضاء ، وتبع أبا بكر عمر رضي الله عنهما ، فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما قال لأبي بكر.

وعلمت أسماء بنت عميس ما كان من أمر أبي بكر وعمر ، فذهبت إلى الإمام علي رضي الله عنه وأخبرته ، بما علمت ، فأحسّ انقباضاً في صدره . وألماً في نفسه ، فهو يتمنّى أن تكون السيدة فاطمة زوجاً له. لما يكنُّه لها من حبٍّ عظيم ، فقد ربيا في بيت النبوة العظيم .

فنشأ بينهما الحبّ والتآلف ؛ فلما رأت ذلك أسماء قالت لعليٍّ : (ما يمنعك أن تخطبها من الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتتزوجها ، فقال لها الإمام سيّدنا عليٌّ كرَّم الله وجهه : وأين لي ما أتزوَّج به ؟ فقالت له : إنَّك

إن أتيت محمداً ، زوجك بها ، وجعلت تدفعه وتشجعه ، وهو محجمٌ عن القدوم ، حياءً من ابن عمه سيدنا محمد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، لما يحسه من رهبةٍ ووجل وما زالت به أسماء ، حتى وعدها ، أن يذهب إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وذهب إليه ، وهو يتعثر ويرتجف ؛ فلما مثل بين يديه ، أفحم على بلاغته وبيانه ، وقد احتبست الكلمات في فمه، فما استطاع أن ينطق بكلمة، هيبةً وأدباً وإجلالاً ، فنظر إليه الرسول الأعظم سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبتسماً ضاحكاً، وقال له : لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقال سيدنا الإمام علي : نعم يا رسول الله فقال له النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : مرحباً وأهلاً .

ثم انتقلت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها إلى بيت الزوجية، بعد أن جهزها الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خميلٍ وقربة ووسادة أدم ، حشوها إذخر ، بعد أن جمع الصحابة وأجرى العقد عليها ، وخطب في ابتدائه خطبة القران المذكورة سابقاً ، وشهد على ذلك الصحابة الكرام ...

لقد أضفت على بيت زوجها ، جواً جديداً ، ملؤه الطمأنينة والهدوء والسعادة والهناء، على رغم ما عرف به بيت علي من الفقر ، وشظف العيش، وقسوة الحياة ، فكانت خير مثال يقتدى به ، كما كان عليّ نعم الرجل الفذ العظيم.

وكانت فاطمة وعليّ يعانيان أشد الضيق ، وأقسى أنواع الفقر ، ولكنهما كانا أكثر الناس كرماً بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وأبرّهم بالمساكين واليتامى والفقراء ، فقد حكي أنهما صاما يوماً ، فلما اقترب المغرب ، وأعدا ما يفطران به ، طرق الباب مسكينٌ يسأل شيئاً من فضل الله ، فأعطياه طعامهما، وباتا على الطوى ــ الجوع ــ وفي اليوم

الثاني. [1] جاءهما يتيمٌ فأعطياهُ ما يفطران به ،وباتا على الطوى ، وفي اليوم الثالث جاءهما أسير فأعطياه ما عندهما ، وقضيا لياتهما الثالثة بغير طعام ، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2] .

وكانت السيّدة فاطمة رضي الله عنها إذا خرج المسلمون لقتال عدوٍّ مغيرٍ ، أو لغزو إحدى القبائل خاضت معهم القتال ، تسقي المجاهدين الماء وتضمّد جراح المصابين وتواسيهم، وفي غزوة أُحدٍ عندما اشتدَّ وطيس القتال ــ أي الحرب ــ وجُرح النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقُتل عمُّه حمزة ، كانت أول من أسرع إليه تُضمّد جراحه وتواسي حزنه لمقتل عمه، فخفّفت آلام جرحه بيدها الرقيقة ، وأذهبت عنه بعض أحزانه بكلماتها العذبة .

ولمّا عاد الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حجَّة الوداع ، كان يأتي دار السيِّدة فاطمة كلَّ صباح ،فيقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [3]﴾ .

---

[1] انظر مجلة لواء الإسلام (العدد السادس السنة الثالثة غرة شهر صفر /١٣٦٩/ ص٥٧.

[2] من سورة الإنسان آية /٨/.

[3] من سورة الأحزاب آية /٣٣/.

وأشتكى النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فلازمته ،تمرضه وتسهر على راحته، فلما أشتد به المرض وثقلت عليه العلة، وأجتمع نساؤه عنده ، أقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها ، فلما رآها قال برغم ضعفه وشدة آلامه : مرحباً يا بنيتي ، ثم أجلسها عن يمينه ،وأسرَّ إليها بما ينبىء بقرب أجله ، فبكت، ثم أسر إليها أنها ستكون أولَ من يلحق بع ، فسرّت وضحكت ، سرت لهذه البشرى ولم تجد من الموت فزعاً ، ولا رهبة ، لأنه سيقربها إلى من تحب .. ولما أخذته سكرة الموت ، ورأت ما يعانيه من ألم سالت دموعها ، وقالت : واكرب أبتاه ، فنظر إليها النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم عاتباً وقال : ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم ، فلما صعدت روحه إلى الرفيق الأعلى ، جعلت فاطمة تبكي وتقول : واأبتاه ، أجاب داعٍ دعاه ، يا أبتاه الفردوس مأواه ، إلى جبريل ننعاه .

ووقفت على قبره الشريف ، وأخذت تنشد :

ماذا على من شَّم تربةَ أحمدٍ ألا يشمّ مدى الزمان غواليا

صُبّت عليَّ مصائبٌ لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

ولما أستتب الأمر لأبي بكر رضي الله عنه ، ذهبت إليه ميراثها في أبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبرها لأبو بكر أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة) ثم قال لها : ولكنني أنفق على من كان ينفق عليهم الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وأعول من كان يعولهم .

فخرجت فاطمة من عنده غاضبة ، فساءهُ وعمر غضبُها فقال عمر لأبي بكر : لقد أغضبنا فاطمة ، فأنطلق بنا إليها ، فلما جاءها ، قال أبو بكر : يا حبيبة رسول الله ، والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ، وإنك أحب إلي من عائشة ابنتي أفترينني أعرفك وأعرف فضلك ، وشرفكِ وأمنعكِ ميراثكِ من رسول الله .....؟ .

حزنت فاطمة لفقد أبيها أشدَّ الحزن ، وبكت أحرَّ البكاء ، فنحل جسمها ، فأدرك عليٌّ أن فاطمة لاحقة بأبيها ، فأحسَّ الحسرة واستشعر المرارة والحزن ، فإنَّ أحباءه يمضون سراعاً ، تاركيه لأعدائه الذين يتربَّصون به الدوائر .

ولمّا سمع أبو بكر بمرضها ، جاءها وأستأذن عليها ، فلمّا أذنت له ، جعل يترضّاها وهو يقول : يا حبيبة رسول الله ، والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله،ومرضاتكم أهل البيت .. وما زال بها حتّى رضيتْ ، فخرج من عندها مسروراً برضائها عنه ، فلما ماتت أحسّ سيِّدنا عليّ نار الحزن تكوي قلبه ، وسهام الأسى تفري كبده ، فما استطاع أن يكبت ما به ،فوقف على جسدها المسجَّى في الكفن ينعاها ، ثم وقف على قبرها يناجي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويقول : " السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، السريعة اللحاق بك ، قَلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ، ورَقَّ عنها تجلُّدي ، إلا إنَّ لي في التأسي بعظيم فرقتك ، وفادح مصيبتك ، موضع تعزٍّ ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، والسلام عليكم سلام مُودعٍ ، لا قالٍ ولا سئمٍ فإن أنصرفُ فلا عن ملالةٍ ، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ ، بما وعد الله الصابرين [1].

---

[1] من مقال الأستاذ الشيخ عبد الموجود عبد الحافظ القاهري .

كلماتٌ خالداتٌ في فضل السيِّدةِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها

١ــ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : خطّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ،في الأرض أربعة خطوط ، وقال : (تدرون ما هذا ؟)فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال غليه الصلاة والسلام : (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمدٍ ، ومريم بنت عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون) . أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وأبو حاتم وهو في كتاب " ذخائر العقبى " ج١ ص٤٢.

٢ــ وعن أبي أيّوبٍ الأنصاريّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لفاطمة رضي الله عنها : (نبيُّنا خير الأنبياء وهو أبوك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمُّ أبيك حمزة ، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنَّة حيث شاء ، وهو ابن عمِّ أبيك جعفر ، ومنا سبطا هذه الأمّة الحسن والحسين وهما ابناكِ ، ومنّا المهديُّ) أخرجه الطبرانيُّ في معجمه .

٣ــ وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " ما رأيتُ أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة ، إلّا أن يكون الذي ولدها صلّى الله عليه وآله وسلّم " أخرجه المحدث أبو عمر .

٤ــ وعن عبد الله بن مسعود رضيْ الله عنه قال : ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا على قريش غير يوم واحدٍ ، فإنهُ كان يُصلّي ورهط من قريش جلوس ، وسلي جزور قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلي ؟ فيلقيه على ظهره ، فقام رجل وألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهره ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (اللهمَّ عليك الملأ من قريش ، اللهمّ عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهمّ عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهمَّ عليكَ بأبي

جهل بن هشام ، اللهمّ عليكَ بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهمَّ عليكَ بأُبَيّ بن خلف ، وأمية بن خلف) .

٥ــ وعن أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه قال :" قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (إذا كان يوم القيامة ، نادى منادٍ من بطنان العرش يا أهل الجمع : نكسوا رؤوسكم ، وغضُّوا أبصاركم ، حتى تمرَّ فاطمةُ بنت محمّدٍ على الصراط ، فتمرّ ومعها سبعون ألف جارية من الجوارِي العين ، كالبرق اللامع). أخرجه أبو سعيد محمد بن علي بن همر النتاش في فوائد العراقيين .

ومعنى بطنان العرش : وسطه ، وكذا بطنان الجنَّة ، قاله الجوهريُّ:كانت وفاتها بعد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بستة أشهر ليلة الثلاثاء ، لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة وهي ابنة تسعٍ وعشرين سنة ، ودفنت بالمدينة المنورّة في البقيع .

هذا ما أردت بيانه من سيرة السيّدة البتول ابنة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، لأتشرَّف بهذه السيّدة العصماء بنت سيِّد الأنبياء ، وإمام الأصفياء ، وزوجة الأسد الكرَّار والبطل المغوار ، ناشر العلم والفضيلة ، وباعث العزَّة والكرامة ، من صان الله وجهه عن السجود لغيره ، كرَّم الله وجهه الشريف ورضي الله عنه .

وقد ولدت لسيِّدنا عليّ كرم الله وجهه ، الحسن والحسين ومحسناً درج صغيراً ، وأم كلثوم الكبرى أمَّ زيد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وكان مهرها أربعين ألف درهم ، فولدت له زيداً لعمر بن الخطاب .

وتوفيت بوقت واحد هي وابنها زيد ، وصلى عليهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

كما ولدت فاطمة لسيِّدنا علي : زينب الكبرى وكانت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له جعفراً الأكبر ــ وعليّاً ، وعوناً الأكبر ، وعبّاساً وأمّ كلثوم رضي الله عنهم أجمعين .

قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : " لما تزوَّج عليٌّ فاطمة رضي الله عنها قال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (أعطها شيئاً فقال عليٌّ ما عندي شيء ، فقال : فأين درعك الحطيمة ؟) . رواه أبو داود والنسائي ، وصحّحه الحاكم .

وفاطمة الزهراء رضي الله عنها ، هي سيّدة نساء العالمين ، تزوّجها سيّدنا أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في السنة الثانية للهجرة في شهر رمضان ، وبنى عليها في ذي الحجّة ،وقد ولدت له الحسن والحسين والمحسن ، وزينب ورقيّة وأم كلثوم ، وماتت بالمدينة بعد موته رضي الله عنه ، بثلاثة أشهر ، وقد تقدّم سابقاً بياناً كافياً عن ذلك .

سيِّدُنا الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ سيِّدُ العَرَبِ

روى أبو نعيم الأصفهانيُّ في كتابه " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" في الجزء الأول ص٦٣ : عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال آمراً : (ادعوا لي سيِّد العرب ــ يعني علي بن أبي طالب ــ فقالت عائشة : ألستَ سيِّد العرب يا رسول الله ؟ فقال : (أنا سيِّد ولد آدم ــ ولا فخر ــ وعليٌّ سيّد العرب) . رواه الحاكم في صحيحه .

فلما جاء الإمام عليٌّ ، أرسل النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الأنصار فأتوه ، فقال : (يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : هذا عليّ فأحِبُّوهُ بحبيِّ ،

وأكرموه بكرامتي ، فإن جبريل أمرني بالذي قلتُ لكم من الله عزّ وجلّ).
رواه سعيد بن جُبير عن عائشة .

سيِّدُنا عليٌّ سيِّدُ المسلمين ، وأميرُهم

وروى أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (يا أنس اسكب لي وضوءاً ،ثم قام فصلىَّ ركعتين، ثم قال : يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب ، أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغرِّ المحجلين ، قال أنس : قلت اللهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته ــ لأن أنساً من الأنصار ــ إذ جاء الإمام عليّ رضي الله عنه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (من هذا يا أنس ؟ فقلت : عليّ فقام مستبشراً ، فأعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق الإمام على وجهه ، فقال الإمام عليّ : يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل ؟ قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : وما يمنعني وأنت تؤدّي عني . وتسمعهم صوتي ، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي) .
وقال صلّى الله عليه وسلّم : (أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها) .

وصيّةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهَهُ

وروي أيضاً عن الإمام علي رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله : أوصني ، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (قل ربِّي الله ، ثم استقم ، قال قلت : الله ربي ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكَّلت وإليه أنيب ،فقال: ليهنك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربتَ العلم شرباً ، ونهلته نهلاً) .

شهادةُ اللهِ في آلِ بيتِ رسولِ اللهِ

روى الترمذي في صحيحه ، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : (أنزلتْ هذه الآية على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [1] ﴾ في بيت أمّ سلمة ، فدعا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجلّلهم بكساءٍ ، وعليٌّ خلف ظهره ، ثمَّ قال : اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أمُّ سلمة : وأنا معهم يا نبيَّ الله ؟ ، قال : أنتِ على مكانكِ ، وأنتِ إلى خير) .

بعثُ الرسولِ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليٍّ لليمنِ

بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً لليمن ، وأمره أن يقتل خالد بن الوليد ومن أتبعهُ إلا من أراد البقاء مع عليٍ كرّم الله وجهه .
قال البراء بن عازب رضي الله عنه : فكنت في منْ عقّب مع عليّ ، فلمّا انتهينا إلى وائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا إليه ، فصلى عليٌّ رضي الله عنه صلاة الفجر ، فلما فرغ صفّنا صفاً واحداً ، ثم تقدّم بين

---

[1] من سورة الأحزاب آية ٣٣.والحديث من كتاب الجوهرة / للبري التلمساني ص /٦٥/.

أيدينا ، فحمد الله ثم أثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلّـــى الله عليه وآله وسلّم ، فأسلمت همدان كلّها في يوم واحدٍ ، وكتب إلـــى النبـــيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهـــه ، ولما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتابه خرّ ساجداً لله تعـــالى ، ثمّ جلس فقال : (السلام على همدان ، السلام على همدان)[1]

وتابع أهل اليمن على الإسلام ، على يد سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه.

شهادةُ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بخصالٍ خاصّةٍ بعليٍّ كرّم اللهُ وَجْهَهُ

وروي أيضاً : عن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلّـى الله عليه وآله وسلّم : (يا عليّ أُخصمُكَ بالنبوّة ولا نبوّةَ بعدي ، وتخصـــم الناس بسبعٍ ، ولا يحاجُّكَ فيها أحدٌ من قريش : أنت أوّلُهم إيمانـــاً بـــالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلـــهم فـــي الرعيّة ، وأبصرهم بالقضيّة ، وأعظمهم عند الله مزيّة) .

وفي رواية : عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليٍّ ــ وضرب بين كتفيه ــ : (يا علـــيّ لـــك سبع خصالٍ ، لا يحاجُّك فيهن أحدٌ يوم القيامة ، أنت أوّلُ المؤمنيـــن بـــالله إيماناً ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرفقهم بالرعيَّةِ ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعلمهم بالقضيَّة ، وأعظمهم مزيّةً يوم القيامة) .

وعن الشعبيّ قال : قال الإمام عليٌّ : قال لي رسول الله صلّـــى الله عليـــه وآله وسلّم : (مرحباً بسيّد المسلمين ، وإمام المتّقين) ، قيل لعليٍّ رضـــي

---

[1] عن المصدر السابق ص/٦٦/ . رواه البخاري ،

الله عنه : فأي شيء كان من شكرك ؟ قال : حمدتُ الله تعالى علـــى مـــا آتاني ، وسألته الشكر على ما أولاني ، وأن يزيدني مما أعطاني " .

البيعة بالخلافة لسيدنا الإمام علي كرم الله وجهه

بويع لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد حادث مؤلـــمٍ جداً ، يعدُّ من أفجع الحوادث الدامية في تاريخ الإسلام . ونعني به مقتـــل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو في شيخوخته المتضعضعـــة ، بعد أن حُوصر في بيته ، وأوشك الظمأ أن يقتله ، لو أمهله القتلة بضعـــة أيام.

أفجع ما كان في هذه الحادثة ، أنها بلاءٌ لا يدفع ، وقضاءٌ لا حيلـــة لأحـــدٍ في إيقافه ، لأن المسؤولين عنه كثيرون متفرقون في كل جانبٍ يُنـــاصرهُ أو يعاديه .

هجم الثوار على باب الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فمنعهم الحســـن بـــن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وابن الزبير، وطائفـــــة مـــن أبنـــاء الصحابة ،وكان جنود الأمصار كثيرين ولكنهم بعيدون عما يحدث فـــي دار الخلافة ، وكذلك المرابطون في الثغور ، وقد شغل العمال في أعمالـــــهم ، واجتلد الحراس والثوار ، فمنعهم عثمان رضي الله عنه وقال لـــهم : أنتـــم في حلٍ من نصرتي ، وفتح البابَ ليمنع الجلا حوله ، ولكن الثوار أبـــوا أن يدخلوا من هذا الباب الذي فتح ، بل اقتحموا الدار من الدور التي حولـــها ، وأقدموا على فعلتهم النكراء ، فقتل الخليفة عثمان رضـــي الله عنـــه بعـــد إحجام كثير .

ولقد كان الدافع للثوار ،أن يقدموا على هذه الفعلة النكراء سببين هيأ لـــــهم سبيل التعجيل بمقتل الخليفة عثمان ،فأما أحدهما : فإمعـــان الخليفـــة فـــي

الشيخوخة ،وأما الآخر : فاستمرار الأعوان والمُقرّبين ، لما نعموا به من لين الخليفة ، ولين الرغد والمتاع وكان زعيم هذه السياسة الخرقاء ، وزيره الأوّل ، مروان بن الحكم ، الذي استبد بالأمر حتى على الخليفة نفسه ، عليه من الله ما يستحقّ من أليم العذاب .

ولما حمل عمّار بن ياسر صحيفة الشكايات من الشعب ، وقدّمها للخليفة عثمان ، غضب وزيره مروان بن الحكم وقال له ": إن هذا العبد الأسود ، قد جرّأ عليك الناس ، وإنك أن قتلته نكلّتَ به من وراءه ، فضربوه حتى غشي عليه .

وكان بعض الوفود يشكون للخليفة عثمان ولاتهم ، فإذا عادوا إلى بلادهم تلقّاهم أولئك الولاة بالأذى ، وقتلوا بعضهم ضرباً على ملأٍ من الشاكين الذين ينتظرون إنصاف الخليفة . فمروان بن الحكم هو عنصر السوء في هذه المأساة المفجعة كلها ، كما فعل بوفد مصرَ حينما شكوا واليهم .

وجاء في رواية (شدّاد بن أوسٍ رضي الله عنه) أن علياً رضي الله عنه خرج من منزله يومئذٍ معتمّاً بعمامة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، متقلِّداً سيفه ، أمامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفرٍ من المهاجرين والأنصار ، حتى جمهروا على الناس وفرقوهم ، ثم دخلوا على الخليفة ، فسلَّم عليه سيِّدنا عليّ رضي الله عنه وقال بعد تمهيد وجيز : (لا أرى القوم إلا قاتليك فمرنا فلنقاتل ، فقال الخليفة : أنشد الله رجلاً رأى الله حقاً، وأقرَّ أن لي عليه حقاً أن يهريق في سببي ملءَ محجمة من دمٍ ، أو يهريق دمه فيَّ ، فأعاد سيدنا عليّ القول ، فأعاد عليه هذا الجواب ، ثم خرج سيدنا عليّ من عنده إلى المسجد ، وحضرت الصلاة ، فنادوا : يا أبا الحسن تقدَّمْ فصلِّ بالناس ، فقال : لا أصلّي بكم والإمامُ محصورٌ ، ولكنّني أصلّي وحدي ، ثم صلَّى وحده ، وانصرف إلى منزله ، وترك ابنيه الحسن والحسين مع أبناء زمرة من الصحابة في حراسة دار الخليفة ، ليعلم الثوار

أنهم معتدون على كلِّ ذي خطرٍ في الإسلام ، إن وصلوا إلى الخليفة باعتداء . عساهم إن علموا ذلك أن يتهيَّبوا المركب الخطر ، فلا ينزعوا بالشرِّ غاية منزعه ، إلا أن الثوّارَ علموا أنهم مأخوذون بالانتظار ، مغلوبون بالمطاولة ، فتسوَّروا الدار وولغوا في دمٍ طهورٍ ، لو هان على صاحبه أن تسفك الدماء في سبيله ، لعزَّ عليهم أن يسفكوه [1].

والحقُّ الواضح أن سيِّدَنا علياً رضي الله عنه غير متّهمٍ بالتفريط في دم عثمان رضي الله عنه ، بعد أن نصحه ، واختار له من الحرّاس من لا يفرّط ولا يُتّهم .

وبعد استشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه ظلَّ المسلمون حيارى بعد مقتل الخليفة المظلوم ، ولا يجدون ملجأ ، واختلف الناسُ في أمر الخلافة، وتحزَّبوا أحزاباً ، غير أن الحزب الأقوى ، كان مع سيدنا عليّ لتزكيته من أكابر الأنصار والمهاجرين وغالب الصحابة المُعتبرين ، فلما ذهبوا لمبايعته امتنع وقال لهم : (أكون وزيراً لكم ، خيراً من أن أكونَ أميراً ، ومن اخترتم رضيته ، فإنَّا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان [2] لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . فناشدوه الله والدين ، وألحّوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ منك ، ولا نختار غيرك . فأبى ، فخوّفوه الله في مراقبة الإسلام والمسلمين حتّى غلبوه في ذلك .

وذكر ابن جرير الطبريُّ في تاريخه ج٥ ص ١٥٦ ، قوله : لمّا كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه ، جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ، ووجدوا طلحة في حائط ــ بستان ــ له ووجدوا بني أمية قد هربوا إلّا من لم يُطق الهرب ، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أوَّلِ من خرج ، وتبعهم مروان ، وتتابع على

---

[1] انظر عبقرية العقاد طبعة دار الهلال ص/٧٤/ .

[2] كما في إتمام الوفا في سيرة الخلفا ج١ ص ١٦٨.

ذلك من تتابع ، فلما اجتمع لهم أهل المدينة ، قال لهم أهل مصر : " أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامة ، وأمركم عابر على الأمَّة فانظروا رجلاً تنصّبونه ، ونحن لكم تبع ، فقال الجمهور للإمام عليّ بن أبي طالب نحن به راضون ". ... ثم قال : فقال سيِّدُنا عليٌّ لطلحة : ابسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة : أنت أحقُّ ،وأنت أمير المؤمنين ، فأبسط يدك قال: فبسط سيِّدُنا عليٌّ يده فبايعه ، ثم بايعه الجمهور بالخلافة ، وذلك في يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين للهجرة . وكان عل رأس المبايعين ، مالك بن الأشتر رضي الله عنه .

وما تخلَّف عن مبايعته إلا نفر قليل ، منهم مروان ، وسعد بن أبي وقّاصٍ، وسعيد بن زيد[1] ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن سلام ، وقدامة بن مظعون ، وأبو سعيد الخدري ، وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وحسّانُ بن ثابت ، وغيرهم من بني أميّة ، ولحقوا بالشام عند معاوية ، ومعهم قميصُ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ليطالبوا بدمه ، مع أنّ سيِّدَنا عليّاً رضي الله عنه أخذ يسأل عن قاتل عثمان ويبحث عنه فلم يهتدِ إلى الحقيقة .

---

[1] انظر كتاب : أحسن القصص ــ الخلفاء الراشدون ج٣ ص ١٨٤.

الخطابُ التاريخيُّ للخليفةِ الجديدِ سيِّدنا عليٍّ كرّمَ اللهُ وجهَهُ

بعد أن تّمت البيعة للخليفة الإمام سيّدنا علي رضي الله عنه ، وقف خطيباً معلناً منهجه ودستوره فيه ، ليكون الشعب متفهّماً خطّته التي يسير عليها في خلافته ، وهو أوّلُ خطاب له : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أيُّها الناس إن الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرَّ فخذوا بالخير ، ودعوا الشرَّ ، الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه، يؤدِّكم إلى الجنّة ، إن الله حرّم حرماً غير مجهولةٍ ، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، إلا بالحقّ ، لا يحلّ أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامّة ، وخاصّة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم تخفّفوا تلحقوا ، فإنّما ينتظر الناس أُخراهم ــ اتّقوا الله عباده في عباده وبلاده ، إنّكم مسؤولون حتى من البقاع والبهائم ، أطيعوا الله عزَّ وجلَّ ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الشرَّ فدعوه ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض. [1]

ولما فرغ من خطبته هذه ، وهو على المنبر ، قال المصريّون:
خذها إليك واحذرنَّ أبا حسن[2]

---

[1] انظر محاضرات الأمم الإسلامية للعلامة الشيخ

[2] انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج٥ ص ١٥٨ ، وتاريخ الخلفاء الراشدين ج٣ ص ٢٢٨.

في هذا الوقتِ الحاضرِ

لمّا بُويع سيّدنا الإمام علي بالخلافة في هـذه الثـورة الجامحـة ، وفورة هذه النفوس الطامحة ، كان ذلك إيذانـاً لسـيّدنا علـيّ الخليفـة ، ومعاوية الوالي ، وهما الندّان المتصارعان ، في هذا الوقت الحـاضر أن ينظم كلٌّ منهما صفّه ، ليقهر خصمه ولتتحقّق الغاية المأمولـة فـي هـذا الصراع المحتوم ، إمّا بانتهاء الخلافة ، أو انتهاء الملك ، ولقد كان انتـهاء الملك في هذه الفترة جدٌّ عسيرٍ بل قريباً من المحال، كما يعسر إطفاء النـار وهي تهبُّ بالاشتعال ، وتنذر بسوء العاقبة.

سِياسةُ سيِّدنا الإمامِ عليٍّ في خلافتِه الدينيةِ الحقّةِ

اتّبع سيّدُنا الإمامُ عليٌّ كرّم الله وجهه من اليوم الأول في خلافتـه، أحسن السياسات وأحكمها، والتي كان جديراً أن يتّبعها ، فلا نعرف سياسـة أخرى ، أشار بها ناقدوه أو مؤرخوه، ثم أقاموا الدليل على أنها خيرٌ مـن سياسته الحكيمة في صدق الرأي ، وأمان العاقبة أو أنّـها كـانت كفيلـةً باجتناب المآزق التي ساقته الحوادث إليها.

فمنذ اللحظة الأولى عمد سيّدنا الإمامُ عليّ رضي الله عنـه إلـى تجنيد قوى الخلافة الدينية التي لا قُوَّة له بغيرها.

فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة ، وتمرّغـوا بالدنيـا وحبّها، وطمعوا في شهواتها وملذّاتها ، وأطعموا رعاياهم من بيـت مـال المسلمين وأثاروا على عثمان رضي الله عنه سخط السواد وسخط الرعيّـة، وسخط الفقهاء المتحرّجين، والحفّاظ الغيورين علـى فضـائل الديـن،وردّ

القطائع التي وزّعتها بطانة عثمان بين المقرّبين وذوي الأرحـــام منـــهم ، فصرفتها عن وجوهها التي جعلت لها من إصلاح المرافق، وإغاثة الفقـراء المحتاجين إليها على شرعة الإنصاف والمساواة بين عموم المسلمين.

نقل دارِ الخلافةِ من المدينةِ إلى الكوفةِ.

لقد نقل سيِّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه عاصمـــة الخلافـــة مـــن المدينة المنوّرة إلى الكوفة لأنه يعلم أن قريشاً لا ينصرونه ، ولـــم تمـــض أيّامٌ معدودات على مبايعة الخليفة الجديد حتى انتظمت صفوف الحجاز كلِّـه له أو عليه ، فكان معه جميع الشاكين لأسبابٍ دينيّةٍ أو دنيويّة وكان عليـــه جميع الولاة الذين انتفعوا في عهد الخليفـــة عثمـــان الراحـــل ، وجميـــع الطامعين في الانتفاع بالولاية والأموال العامة ، وقد حالت الخلافة الجديـدة بينهم وبين ما طمعوا فيه ، لذا نقل سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه ، عاصمـــة خلافته إلى الكوفة.

الكوفةُ وبناؤُها وبعضُ آثارِها

الكوفة : مدينةٌ إسلاميّة عربيّة ، مصّرها الصحابي الجليل والقـــائد المخلص سعدُ بن أبي وقّاص رضي الله عنه .

وفي السنة السابعة عشرة للهجرة ، على عهد الخليفة العادل عمـــر ابن الخطّاب رضي الله عنه بعد أن فتح العراق ؛ وقد أشار على سعد بـــن أبي وقّاص رضي الله عنه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بأن يقيم فـــي

مكان لا يحول بينه وبين المدينة المنورة بحرٌ ولا جسرٌ ، حتى إذا أراد أن يقدم إليه على راحلته قدم . [١]

فبنى سعد رضي الله عنه الكوفة في غربيِّ الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة ، بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلاً .

وكان بناؤها في أوّلِ أمرها بالقصب ، فأصابها حريق.. فاستأذنوا الخليفة عمر في بنائها بالطوب النيء ، فقال عمر : (افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة بيوت ، ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنّة يلزمكم الدولة) ففعلوا ذلك ، وجعلوا طرقها نوعين : المناهج والأزقّة ، وجعلوا عرض المنهج عشرين ذراعاً ، وعرض الزقاق سبعة أذرع ... وما بين المناهج أماكن البناء أربعون ذراعاً ، والقطائع ستون ذراعاً ، وأوّل شيء خطّوه فيها المسجد ، فوقف في وسط المدينة شديد النزعة ، رمى إلى كلِّ جهةٍ بسهمٍ ، وأمروا أن يبنى ما وراء ذلك ؛ وأما الساحة حول ذلك الرامي إلى مرمى سهامه فتبقى للمسجد.

وبنوا في مقدّمة المسجد ظِلّةً أو رواقاً ، أقاموه على أساطين من رخام من بناء الأكاسرة، نقلوها من الحيرة ، وجعلوا على الصحن خندقاً لئلّا يقتحمه أحد ببنيان ، وبنوا لسعد بن أبي وقّاصٍ قصراً بجانب المسجد نقلوا حجارته من آجر ، بنيان الأكاسرة ، وسمّوه قصر سعد . [٢]

وما زالت الكوفة تعمر ، حتى اتّخذها الخليفة سيّدنا الإمامُ عليٌّ كرم الله وجهه مقرّاً له بعد وقعة الجمل سنة (٣٦) هـ فازدادت عمارتُها بمن تقاطر عليها من الناس ، بعد أن صارت عاصمة الخلافة ، وتكاثرت

---

[١] ذكره ابن الأثير في الجزء الثالث.

[٢] عن المصدر السابق.

فيها الأبنية ، وعمرت الأسواق ، وأنشئت حولها الحدائق والبساتين مما يلي بحيرتها.

دستور سيدنا الإمام علي للأمة

إن لسيدنا علي رضي الله عنه دستوراً هو في الحق أبو الدساتير، فهو يقرر حقوق الأمة ويحدد السلطات ، ويحصن القضاء ، ويحمي القضاة من العزل ، قبل أن تفكر بذلك الحكومات الحديثة منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفٍ ، وهو دستور السياسة الإسلامية لرجل الإسلام سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

يقول سيدنا علي رضي الله عنه لواليه فيما يجب على الوالي لرعيته:

(أشعر قلبك الرحمة بالرعية ، والمحبّة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، وممن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك ألا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله ، كان الله خصمه دون عباده وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم ــ أي أبغضهم عندك ، أطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً ، الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك ، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ ، فإن الساعي عاش ، وإن تشبه بالناصحين ، ولا يكونّن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان تشجيعاً لأهل الإساءة ، على الإساءة.

ويقول في رعاية خراج الدولة والرفق في الجباية

يقول لواليه : وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال الله ، وكلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكا الناس ثقلاً . أو علّة ، أو انقطاع شرب، أو غرقاً غمر الأرض ، أو عطشاً ، أجحف بها ، خفّفت به المؤونة عنهم إنما يؤتى خراج الأرض من إعواز أهلها.

فهل رأيتم معشر القراء حناناً من الراعي على رعيته، أبلغ من ذلك الحنان؟

وهل رأيتم سياسة عمرانية أنزه وأكمل من تلك السياسة الإسلامية البارة من هذه السياسة ؟

إنها سياسة ملؤها الحب والعطف ، والشفقة والحنو ، فاضت بها تعاليم هذا الإمام الذي صهر الحياة علماً ونظاماً وعمراناً ، هي سياسة الإمام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

دستور الإمام علي في تحصين القضاء وحماية القضاة

حصّن سيدنا الإمام علي رضي الله عنه ، القضاء ، وحمى القضاة، من قبل أن تعرف هذه المبادئ في النظم الحديثة ، وتلك لعمر

الحقّ عظيمة من عظيمات الإسلام فقد قال الإمام سيّدنا علـــيّ رضـــي الله عنه لواليه:

واختبر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ممّنْ لا تضيق به الأمور ، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه، وليكن القاضي أوقـــف النـــاس عند الشبهات ، وآخذ بالحجج وأقلهم تبرُّماً بمراجعة الخصوم ، وأصـــبرهم على كشف الأمور ، وأحرصهم عند اتضاح الحق ، ممن لا يزدهيه إطـراء ولا يستمليه إغراء وأولئك قليل.

ثم أكثر بعد ذلك تعهّد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيل علّتـــه، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مـــا لا يطمـــع فيـــه غيره من خاصّتك . ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

فانظر أيها القارئ الكريم في هذا التوجيه السامي نظـــر مُدَّكِـــرٍ ، تظهر لك بلاغته وجدَّتُه فتحكم على بلاغة الإمام وسياسته الحكيمة.

تلك بعض آيات الدستور في عصر سيّدنا الإمامِ رضي الله عنه

فاقرأه قراءة الفاحص المتعلّم وتدبّره تدبّرَ العامل المتّزن تجده كمـــا وجدته أنا ، خير دستور وضع للأمّة في الأحكام والإحكام ، فـــي عصـــر متلبِّدٍ بالغيوم والفتن.

وصيّةُ سيِّدِنا عليٍّ لمن استعملَهُ على الصَّدقاتِ

قال كرّم الله وجهه : انطلق على تقوى الله وحده ، لا شريك لـــه ، ولا تردَ عَنَّ مسلماً ، ولا تجتازنّ كارهاً ، ولا تأخذنَّ منهُ أكثر من حـقِّ الله في ماله ، فإذا قدمت الحيَّ فانزل بمائهم ، من غير أن تخالط أبياتهم ، ثـــم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ثم تقول: عبـــاد

الله، أرسلني وليُّ الله وخليفته ، لآخذ منكم حقَّ الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حقّ ، فتؤدّونه إلى وليّه ؟ فإن قال قائل : لا فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منعم فانطلقْ معه من غير أن تخيفه ، أو تتوعّده ، أو تعسفه ، أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية ، أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلِّطٍ عليه ولا عنيف به ، ولا تُنفرنّ بهيمة ، ولا تُفزِ عنّها ، ولا تسوءنّ صاحبها فيها.

هكذا يا أخي القارئ تطّلع على تلك الآثار الجليلة ، والمعلومات القيّمة التي أودعها لنا سيِّدُنا عليٌّ رضي الله عنه ,

رأيٌ يُبدئ للخليفةِ الجديدِ

ذكر أبو الفداء في تاريخه ج١ ص ١٧٢ قوله : كان ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما بمكّة المكرّمة ، لما قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ثمّ قدم المدينة المنورة بعد البيعة لعليٍّ رضي الله عنه ، فوجد عليّاً مستخلياً المغيره بن شعبة قال : فسألته عمّا قال له ؟ فقال عليّ : أشار عليّ بإقرار معاوية وغيره ، من عمّالِ عثمان إلى أن يبايعوا ، ويستقرّ الأمر ، فأبيتُ ثم أتاني الآن ، وقال الرأي ما رأيته فقال ابن عبّاسٍ نصحك في المرّةِ الأولى ، وغشّك في الثانية ، وإنّي أخشى أن ينتقض عليك الشام ، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يخرجا عليك وأنا أشيرُ عليك أن تقرَّ معاوية، فإن بايع لك فعليّ أن أقتلعه لك من منزله متى شئت فقال علي : والله لا أعطيه إلا السيف ، ثم تمثّل :

وما ميتةٌ إن متّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذ ما غالت النفس غولُها.فقلت : يا أميرَ المؤمنين : أنت رجلٌ شجاع ، ولستَ صاحبَ رأيٍ ، فقال عليٌّ : إذا

عصيتك فأطعني فقال ابن عباس : أفعل إن أيسر مالك عندي الطاعة، وخرج المغيرة ولحق بمكة المكرمة وذلك عام خمس وثلاثين للهجرة.

باكورة أعمال الإمام الخليفة سيّدنا عليّ

أول ما قام به الخليفة سيدنا الإمام عليّ رضي الله عنه في سنة ست وثلاثين للهجرة أن أرسل إلى البلاد عماله ، فبعث إلى الكوفة (عمارة ابن شهاب) رضي الله عنه وكان من المهاجرين ، وولّى (عثمان بن حنيف الأنصاري) رضي الله عنه البصرة ، وولى (عبد الله بن عباس) رضي الله عنه اليمن ، وكان من المشهورين بالجود ، وولى (قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري) مصر ، تولّى سهل بن خليفة الأنصاري الشام ، فلما وصل تبوك ، لقيته خيلٌ فقالوا : من أنت ؟ قال : أمير على الشام، فقالوا : إن كان بعثك غير عثمان بن عفان فارجع ، قال: أو ما سمعتم بالذي كان ، قالوا : بلى ، فرجع إلى عليّ ، ومضى قيس بن سعد إلى مصر فوليها واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانيين، وأبوا أن يدخلوا في طاعة علي إلا أن يقتل قاتل عثمان ، ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها واتبعته فرقة ، وخالفته فرقة ، ومضى عمارة بن شهاب إلى الكوفة فلقيه طلحة بن خويلد الأسدي الذي كان قد ادعى النبوة في خلافة أبي بكر، فقال له : إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم فرجع إلى عليّ ، وكان على الكوفة من قبل عثمان بن عفان أبو موسى الأشعري ومضى عبيد الله إلى اليمن ، وكان العامل بها من جهة عثمان بن عفان يعلي بن منبه فوليها عبد الله وخرج يعلي وأخذ ما كان حاصلاً من المال ، ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم إليهم المال.

استئذان طلحة والزبير سيدنا الإمام علياً للعمرة

استأذن طلحة والزبير سيدنا عليّاً في العمرة ، فأذن لهما فلحقا بمكة وأحب أهل المدينة أن يعملوا ما رأي علي في معاوية وانتفاضة ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة أيجسر عليه أو ينكل عنه ؟ وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي ، وكان منقطعاً إلى سيدنا عليّ ، فدخل عليه ، فجلس إليه ساعة ثم قال له علي : يا زياد تيسر فقال : لأي شيءٍ ؟ فقال : تغزو الشام ، فقال زياد: ألأناة والرفق أمثل ، فقال: ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم قمثل عليّ وكأنه لا يريده .

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وآنفاً حمياً تجنبك المظالم ، فخرج زياد على الناس ، والناس ينتظرونه ، فقالوا : ما ورائك ؟ ، فقال السيف يا قوم ، فعرفوا ما هو فاعل ، ودعا سيدنا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس ميمنته ،وعمر بن أبي سلمة أو عمر بن سفيان بن عبد الأسد ولاه ميسرته ، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح أخي أبي عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته ، واستخلف على المدينة قثم بن عباس ولم يول ممن خرج على عثمان أحداً ، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام ، وإلى عثمان بن حنيف ، وإلى أبي موسى مثل ذلك وأقبل على التهيؤ والتجهز وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال: إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق ، وأمر قائم واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن المبتدعات والشبهات هي المهلكات إلا من حفظ الله ، وإن في سلطان الله عصمة ، أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ، ولا مستكره بها،

والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ، ثم لا ينقله إليكم أيداً حتى يأرز الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفرقة جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق ، وتقصون الذي عليكم. [1]

مسيرة عائشة وطلحة والزبير وابن عامر إلى البصرة

لما بلغ عائشة قتل عثمان رضي الله عنه أعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه ، وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بني أمية ، وجمعوا جمعاً عظيماً واتفق رأيها على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها، وقالوا : معاوية بالشام قد كفانا أمرها ، وكلن عبد الله بن عمر قد قدم إلى المدينة ، فدعوه إلى المسير معهم فامتنع، وساروا وأعطى لعلي بن منبه عائشة الجمل المسمى (بعسكر) اشتراه بمائة دينار ، فركبته، وضربوا في طريقهم مكاناً يقال له : الحوأب ، فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة : أي ماء هو هذا ؟ فقيل : هذا ماء الحوأب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول وعنده نساؤه : ليت شِعري أيتكنّ نبحها كلاب الحوأب ؟ ثم ضربت عضد بعيرها فأناختـه ، وقالت: ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب ــ وهذا من علامات صدق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ــ فأناخوه يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير: إنه كذب، يعني ليس هذا ماء الحوأب ، ولم يزل بها وهي تمتنع ــ وهذا دليل على أن الجماعة استغلوها في غزوهم ليبرروا بها عملهم ــ

---

[1] انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٥ ص ١٦٣ و ١٦٤.

النجاء فقد أدرككم عليّ بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصـــرة ، فاســتولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف فقتل من أصحاب عثمان بـــن حنيـف أربعون رجلاً ، وأُمسك عثمان بن حنيف فنتفت لحيته وحواجبه وسجن ثـم أطلقته.

مسيرُ سيِّدنا عليّ كرّم الله وجهَهُ إلى البصرةِ بجيشِهِ

لما بلغ الخبر سيِّدَنا علياً مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصـرة سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة المنوّرة ، فيهم أربعمائة ممّـن بايع تحت الشجرة لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وثمانمائـة مـن الأنصار ، ورايته مع ابنه محمّد بنِ الحنفيّةِ ، وعلى ميمنته الحسن، وعلـى ميسرته الحُسين ، وعلى الخيل عمّارُ بن ياسر وعلى الرجّالة محمّد بن أبي بكر الصديق وعلى مقدمته عبد الله بن عباس ، وكان مسـيره فـي ربيـع الآخر سنة ست وثلاثين للهجرة ؛ ولما وصل سيدنا عليّ إلى ذي قار أتـاه عثمانُ بن حنيف وقال له : يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وجئتك أمـرداً، فقال سيدنا عليّ : أصبت أجراً وخيراً ، وقال سيدنا عليّ : إن الناس وليـهم قبلي رجلان ، فعملا بالكتاب والسُنّة ، ثم وليهم ثالث فقـالوا فـي حقِّـه ، وفعلوا، ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثـم نكثـا ، ومـن العجـب ، انقيادُهما لأبي بكر وعمر وعثمان ، وخلافهما عليّ والله ، إنـهما يعلمـان أني لست بدون رجلٍ ممّن تقدم. [1]

---

[1] انظر تاريخ أبي الفداء ج١ ص ١٧٣.

وَقْعَةُ الجَمَلِ

اجتمع إلى سيدنا عليّ رضي الله عنه من أهل الكوفة جمع كبير، واجتمع إلى عائشة وطلحة والزبير جمع ، وسار بعضهم إلى بعض ، فالتقوا بمكان يقال له (الخربة) في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودعا سيّدُنا عليٌّ الزبير إلى الاجتماع به ، فاجتمع به ، فذكره سيدنا عليّ وقال : أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بني غنم فنظر إليّ فضحكت وضحك إليَّ ، فقلت لا يدعُ ابن أبي طالب زهوه ، فقال الزبير : اللهم نعم ، ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا، فقيل : إنه اعتزل القتال ، وقيل : بل عيّره ولده عبد الله وقال له : خفت من رايات ابن أبي طالب ، فقال الزبير : إني حلفت أن لا أقاتله فقال له ابنه : كفِّرْ عن يمينِكَ ، فعتق غلامه مكحولاً وقاتل ، ووقع القتال وعائشة راكبة الجمل المسمى عسكراً في هودج وقد صار كالقنفذ من النشّاب، وتمّت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير. ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله ، وكلاهما كانا مع عائشة قيل : إنه طلب بذلك أخذ ثأر عثمان بن عفان رضي الله عنه منه، لأنه نسبه إلى أنه أعان على قتل عثمان؛ وانهزم الزبير طالباً المدينة ، وقد مرَّ بماءٍ لبني تميم ، ومعه الأحنف بن قيس فقيل للأحنف وكان معتزلاً القتال : هذا الزبير قد أقبل، فقال قد جمع بين هذين العارين يعني العسكرين وتركهم وأقبل وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعيّ فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبع الزبير حتى وجده بوادي السباع نائماً فقتله ، ثم أقبل برأسه إلى سيِّدنا عليّ رضي الله عنه ، فقال سيّدنا عليٌّ : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: (بشِّروا قاتل الزبير بالنار) فقال عمرو بن جرموز : خيبة الله عليه:

أتيـتُ عليّـاً بـرأس الزبـير وقـد كنـت أحسـبها زلفـة
فبشّـر بالنـار قبـل العيـان فبئـس البشـارة والتحفـة
وسـيان عنـدي قتـل الزبـير وضرطة عيرٍ[1] بـذي الجحفـه

ولما كثر القتل حول خطام الجمل ، قال سـيدنا علـيّ : اعقـروا الجمـل فضربه رجل ، فسقط فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل وأدخلها محمـد أبي بكر أخوها إلى البصرة وأنزلها في دار عبد الله بن خلـف ، وطـاف سيدنا علي، على القتلى من أصحاب الجمل، وصلّى عليهم ودفنهم، ولمـا رأى طلحة قتيلاً قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكـره أن أرى قريشاً صرعى . أنت والله كما قال الشاعر:

فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنَى ويبعدهُ الفقرُ

وصلى على طلحة ، ثم دفنه ، ثم أمر سيدنا عليّ عائشة بـالرجوع إلـى المدينة وأن تستقر في بيتها فسارت في مستهلِّ شهر رجب في هذه السـنة سنة (٣٦) ست وثلاثين للهجرة ، وقد شيّعها الناس ، وجّهزها سيدنا علـيّ بما احتاجت إليه ، وسيّر معها أولاده مسيرة يوم، وتوجّـهت إلـى مكّـة، فأقامت للحج تلك السنة، ثم رجعت إلى المدينة وسمّيت هذه الوقعة (وقعـة الجمل) التي كانت حصيلتها عشرة آلاف قتيل اللهم لا حـول ولا قـوة إلا بالله، ولا حول ولا قوّة إلا به.

وأما علي فقد صلّى على الموتى ، ثم ذهب إلى عائشة فـي البيـت الـذي نزلت فيه، فسلم عليها ، وقعد عندها ثم أمر بـأن تجـهز إلـى المدينـة ، فجهزت خير جهاز، وودعها بنفسه في يوم السبت لغرة رجـب سـنة ٣٦ ست وثلاثين للهجرة، وشيعها من البصرة وسار معها أميالاً .[2]

---

[1] العير : الحمار

[2] انظر كتاب محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد خضري .

ذكر وقعة صفين وأسبابها [1]

بعد أن أزال الخليفة سيدنا عليّ رضي الله عنه من طريق خلافته الإيمانية ، أول عثرةٍ اعترضتْ سبيله، والقوى الثائرة المتآمرة عليه بحجة قتله الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهت بفاجعة مؤلمة كان حصيلتها ألوف القتلى في وقعةٍ هوجاء (وقعة الجمل) بدأ سيدنا عليّ والقلب يعصر دماً على ما سال من الدماء فيه ــ وعادت عائشة إلى المدينة بعدما اعتمرت . بدأ الإمام سيدنا علي رضي الله عنه بإزالة العثرة الثانية المستعصية عليه معاوية وجيشه في الشام ، فعمد كرم الله وجهه إلى خطته الحكيمة التي جرى عليها مع خصومه كافة حيث كانوا ، وأنى وجدوا، ومهما كانوا عليه من الجاه والقوة والمال ويعني بها خطة المسالمة والبدء بالإقناع ، والحكمة والموعظة الحسنة ، حقناً للدماء وحفظاً للأرواح، وقد طالت المراسلة من الخليفة عليّ إلى معاوية ، ومن معاوية إلى سيدنا عليّ الخليفة وإلى بعض رسائلهما ، لتتبصر وتحكم عليها في هذا الشأن.

---

[1] صفين كسجين : محلة عدّها الجغرافيين من بلاد العرب (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سورية وهي الآن تابعة لحلب.

مِنْ رسائلِ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ إلى مُعاويةَ [1]

كتب إلى معاوية بن أبي سفيان بعد وقعة الجمل ، وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة:

(سلامٌ عليك ، أمّا بعد : فإن بيعتي بالمدينة لزمتك ، وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجلٍ ، وسمّوه إماماً ، كان ذلك لله رضى وإن خرج عن أمرهم ردّوه إلى ما خرج عنه ، فإن أبى قاتلوه ، على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى ، وأصلاه جهنّم وساءت مصيراً ، وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما، وكان نقضهما ردّهما، فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما، حتى جاء الحقّ ، وظهر أمر الله، وهم كارهون فادخلْ فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية ، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فإن رجعت عن رأيك، وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكمت القوم إلى حملتك وإياهم على كتاب الله وإما تلك التي تريدها ــ يعني الخلافة ــ فهي خدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لأن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنك من الطلقاء [2] ، الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا يدخلون في الشورى وقد بعثتُ إليك ، وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعْهُ ، ولا قوة إلا بالله).

فردَّ عليه معاويةُ بن أبي سفيان بما يلي:

---

[1] انظر عبقرية علي لعباس محمود العقاد ص ٩٢ طبعة دار الهلال.

[2] لقد أطلق معاوية وأبوه من الأسر يوم فتح مكة المكرمة.

ردُّ مُعاويةَ لسيِّدِنا عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ [1]

سلامٌ عليك ، أمّا بعد : فلعمري لو بايعك الذين ذكرت وأنت برئ من دمِ عثمان ، لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنَّك أغريتَ بدم عثمان ، وخذلت الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف، وقد أتى أهل الشام إلى قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت الشورى بين المسلمين (وإنما كان الحجازيّون وهم الحكّام على الناس أهل الشام) ، ولعمري ما حجّتك على أهل الشام إلا كحجّتك على طلحة والزبير، إن كانا بايعاك فلم أبايعك أنا ، فأمّا فضلك في الإسلام ، وقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فلست أدفعه.

التعقيبُ على رسالةِ مُعاوية

إذا نظر القارئ إلى الرسالتين ، وأمعنَ النظرَ فيهما ، رأى نور الحقِّ ينبلج من خلال رسالة الإمام سيدنا عليّ ، ورأى من ردِّ معاوية هذا، تبدو منه النية الواضحة في فتح أبواب الخلاف، واحداً بعد واحدٍ ، كلّما أغلق باباً منها بقي من ورائه باب مفتوح ، لا ينتهي الخلاف بإغلاقه.

لذا فلا بدَّ من قمع المتخلفين عن بيعة الإمام ، ورد المسلمين إلى حظيرة الخلافة ، لجمع الكلمة وتوحيد الصفِّ ورأب الصدع ، فكاتب معاوية لهذا الأمر ، فراسله ليبسط له أوجه الحقّ ، ويدلّه على سبل

---

[1] نفس المصدر السابق ص ٩٣.

السلام، وحقن الدماء. وإليك رسالة معاوية الثانية للإمام ، ليظهر للسادة القراء مضمون سرّ معاوية الحاقد الثائر:

رسالةٌ من معاويةَ إلى سيِّدنا الإمامِ [1]

أمّا بعدُ : فإن الله اصطفى محمّداً ، وجعله الأمين على وحيِه ، والرسول إلى خلقه واختار له من المسلمين أعواناً أيّده بهم ، وكانوا في منازلهم على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله، الخليفة وخليفة الخليفة ، فكلّهم حسدت ، وعلى كلِّهم بغيت ، عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وتنفسك الصعداء ، وإبطائك على الخلفاء وأنت في كلِّ ذلك تقاد كما يقاد البعير المحشوش ــ الناقر حتى تبايع وأنت كارهٌ ، ولم تكن لأحد منهم أشدّ حسداً منك لابن عمك عثمان ، كان أحقهم أن لا تفعل به ذلك لقرابته وصهره، فقطعت رحمه، وقبَّحْتَ محاسنه، وألّبتَ عليهِ الناس حتّى ضربت إليه آباط الإبل، وشهر عليه السيف في حرم الرسول فقتل معك في المحلّة ، وأنت تسمع في داره الهائمة، لا تؤدي عن نفسك في أمره بقولٍ ، ولا فعل برٍّ ، أقسم قسماً صادقاً لو قمت في أمره مقاماً واحداً ، تنهينّ الناس عنه، ما عدل بك من الناس أحد ، ولمحاذلكَ عنكَ ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان، والبغي عليه ، وأخرى أنت بها عند ابن عفان ضنين ، وهي إيواؤك قتلة عثمان ، فهم بطانتك وعضدك وأنصارك، فقد بلغني أنك تنتفي من دمه، فإن كنْت صادقاً ، فادفعْ إلينا قتلته نقتلهم به ، ثم نحن أسرع الناس إليك، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف ، والذي نفس معاوية بيده

---

[1] انظر كتاب مع الأعلام من رجالات العروبة والإسلام : ج١ ص ٧٥.

لأطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله.

كلمةٌ لا بُدَّ مِنْها

هذا هو خطابُ معاوية ،إنه خطاب ثائر حانق ، يتوعّدُ فيه ويهدّد، ويرغي ويزبد ويكشف فيه عمّا تنطوي عليه نفسه الحاقدة من حب التسلّط، وقد اتّخذَ من قتل عثمان سبيلاً للطعن بابن عمٍّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.والمعروف إجماعاً عند رجال التاريخ أن عليّاً رضي الله عنه دافع عن عثمان ، ونصحه مراراً ، وأرسل من أبنائه من يصدُّ الثائرين بل من يقاتل دونه لإنقاذه ، ولكنّها السياسة المرسومة والفرصة السانحة لمعاوية ، ونيته الحاقدة كتب متوعّداً ومهدّداً ، وقد أجابه الإمام سيّدنا عليٌّ بالجواب التالي ، الذي هو آية من آيات الصدق والأمانة والبلاغة ، شرح الموقف فيه شرحاً واضحاً وكشف عما تجيش به نفس معاوية وأبرز فيه الخفيّات والأسرار التي يطويها معاوية ويتظاهر بغيرها، ثم أوضح الحقَّ، ووضع الأمور في نصابها ، وإليك يا أخي جواب الإمام إلى معاوية.

جوابُ الإمامِ سيِّدنا عليٍّ لمعاويةَ على رِسالتِهِ

أمّا بعدُ : فقد أتاني كتابك ،تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وتأييداً إياه ، بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ، فطفقت تخبرنا بما خصَّه الله بنا ونعمته علينا في نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم تدعو إلى النضال ببلوغ الآمال ، وزعمتَ أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان.

فذكرت أمراً إن تمم اعتزالك كله وإن نقص لم يلحقك منه ثلمة ، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس ، وما للطلقاء ، وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات هيهات : لقد حنّ قدحٌ ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا ترجعُ أيُّها الإنسان عن ظلمك؟ وتعرف قصور ذرعك وتتأخَّر حيث أخرّك القدر ، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر ، وإنك لذهّابٌ في التيه ، روّاغٌ عن القصد ، ألا ترى ــ غير مخيّرٍ لك ــ ولكن بنعمة الله أحدّث ، أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل : سيّد الشهداء ، وخصّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، أو لا ترى أن قوماً قُطعت أيديهم في سبيل الله ــ ولكلٍّ فضلٌ ــ حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم ، قيل ، الطيّار في الجنة ، وذو الجناحين ، ولولا ما ينهى الله عنه من تزكية المرء نفسه ، لذكر ذاكرٌ فضائل جمّةً ، تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السامعين . إنا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا ، ومديد طولنا على قومك ، أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا [1] فعل الأكفاء ، ولستم بذاك ولا هناك ، وأنى يكون ذلك كذلك ؟؟ ومنا النبيّ ومنكم المكذّب ، ومنّا أسد الله ، ومنكم أسد الأجلاف ، ومنا خير نساء العالمين ، ومنّا سيد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار ومنكم حمّالة الحطب ،فإسلامنا قد سُمع وجاهليتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنا ،وهو قوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

---

[1] يشير إلى المصاهرات بين بني أمية وبني هاشم.

﴿أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة، ومرة أولى بالطاعة...

وزعمتُ أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت ، فأنَّى لك ذلك كذلك ، فليست الخبابة عليك ، فتكون المعذرة إليك ــ وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها.

وقل إني كنت أقود كما يقاد الجمال المحشوش حتى أبايع ولعمر الله لقد أردت أن تذم فحمدت ، وأن تفصح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ، ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً في يقينه ، وهذه حجتي ولكني أطلقتها إلى غيرك قصدتها لك منها بقدر ما سنح لك من ذكرها..

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان ، فلك أن تُجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له ، وأهدى إلى مقاتله أمن بذلك له نصرته فاستقعده واستكفه؟

هو الإمام ــ أمن استنصره وتراخى عنه ؟ ــ بمسيرة عثمان بن أمية ، وبث البنون إليه ، حتى وأتى قدره عليه ؟ كلا والله : **(لقد علم المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً)**[1] وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه ، إرشادي وهدايتي له ، فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح **(وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب**[2]**)**.

وذكرتُ أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار بكاء ــ متى ألفيت ــ وجدت ــ بني عبد المطلب عن الأعداء

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية /١٨/ .

[2] سورة هود ، الآية /٨٨/ .

تأكلين ــ متأخرين وبالسيف مخوفين ؟ لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد ، وأنا مرقل نحوك ــ أي مسرع ــ في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قتامهم ــ أي غبارهم مسربلين سربال الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم ، فقد صحبتهم ذرية بدرية ، وسيوف هاشمية ، وقد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك (وما هي من الظالمين ببعيد) [1]

وثيقة تاريخية للإمام يسجلها للأنام

إن هذا الكتاب البليغ ، والخطاب القيم الرفيع ، هو وثيقة تاريخية لسيدنا علي يسجلها للأنام ليحكموا على معاوية بالعصيان ، إنها لم تدع حجة إلا أقامتها على الحق الناصع وقد أنذرتْ بما كان وبما وقع.. وذلك (تقدير العزيز العليم وأمره نافذ) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

شروط سرية أو وثيقة خاصة بين عمرو بن العاص ومعاوية

بعد أن استتب الأمر لسيدنا الإمام عليّ رضي الله عنه في البصرة والكوفة ، وانتظم له الأمر في العراق ومصر واليمن والحرمين وبلاد فارس وخراسان ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام وفيه معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام مطيعون له ، فأرسل إليه سيدنا علي : جرير بن

---

(١)عن كتاب نهج البلاغة ج٣ ص ٣٤ــ٤٠ .

عبـــد الله البجلي ليأخذ له البيعة من معاوية ، ويطلب منه الدخول فيمـــا دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فسار جريـــر إلـــى معاويـــة ، فماطلـــه معاويةُ، وكان عمرو بن العاص بفلسطين ، حتى قدم إلى معاوية ، فوجـــد أهل الشام يحضّون على الطلب بدمِ عثمان ، فقال لهم عمرو بن العـــاص: أنتم على حقٍّ ، واتّفقَ عمرو ومعاويةُ على قتال الخليفة سيّدنا عليّ.

وقد شرط عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان إذا ظفـــر أن يوليه مصر [1] ، فأجابه معاويةُ إلى ذلك.

وَقعةُ صِفّينَ الحربيّةُ

لما قدم عمرٌو بن العاص على معاويةَ بن أبي سفيان ، وتم الاتفـاق بينهما كما ذكرناه ، واتّفقا بعد ذلك على حرب عليّ بن أبي طـــالب وقـدم جرير بن عبد الله البجلي على سيّدنا عليّ رضي الله عنه فأعلمه بما تمّ بين معاوية وعمرو ، فسار سيّدُنا عليٌّ من الكوفة إلى جهة معاوية، وقـد قـدم عبد الله بن عبّاس ومن معه من أهل البصرة على سيّدنا عليّ رضـــي الله عنه .

ولمّا علم سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه ، مسير من سار مـــن جيـش معاوية نحو البصرة وكان في الرَّبذة فبعث إلى أهل الكوفة ، يطلبُ إليـــهم أن ينفروا إلى معاونته على المخالفين ، ولما وصلت رسله إلـــى الكوفـة، جاء الناس إلى أميرهم أبي موسى يستشيرونه في الأمر ، فقام فيهم خطيباً، وكان من كلامه قوله: (أما إذا كان ما كان ، فإنها فتنةٌ صمّاء ، النائم فيـها خيرٌ من اليقظان ، واليقظانُ فيها خيرٌ من القاعد ، والقاعدُ فيها خيرٌ مـــن القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومةً مـــن جراثيـم العـرب

---

[1] انظر تاريخ أبي الفداء ج١ ص ١٧٤.

فأُغمِدوا السيوف وأنصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة.

ولما سمعت الرسل لقوله ، أغلظت له القول ، وكان الحسن بن سيدنا عليّ حاضراً لأنه كان من جملة الرسل الذين أرسلهم الإمام لأهل الكوفة قام خطيباً فيهم وقال : (يا أيُّها الناس أجيبوا دعوى أميركم، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يأتيه أولو النهي أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتَنا، وأعينونا على ما ابتُلينا وابتليتم به) فسامح الناس وأجابوا ورضوا به ، ثم قال لهم سيِّدُنا الحسن بن سيدنا عليّ رضي الله عنهما : إني عادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ، ومن شاء فليخرج من الماء، فقفز من أهل الكوفة تسعة آلاف ، أخذ بعضهم البرّ ، وأخذ بعضهم الماء ، وقد قابلته الجنود البرّية بذي قار ؛ فقال لهم : قد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد ، وإن يلحوا داوَيْناهم بالرفق وباينّاهم ، حتى يبدأوا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه من صلاح إن شاء الله . [1]

وسار معاوية وعمرو بن العاص من دمشق بأهل الشام إلى جهة سيّدنا عليّ ، وقد تأنّى معاوية في مسيره ، حتى اجتمعت الجموع بصفّين ، في شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة ، فوجد جيش عليّ جيش معاوية على الماء ، فنحّاه عنه سيدنا عليّ عن الماء ، ولم يحرمهم منه ، بعد أن أبى عليه معاوية أن ينحيَّهُ بغير قتال.

وبدأت العثراتُ تبدو ، وعلاماتُ الحرب تلوح، وقد تصاولوا في وقعاتٍ شتّى ، غامرت بها طائفة من هنا وطائفة من هناك، نيفاً وثمانين وقعة، في مدّة مائة وعشرة أيام وقلّما اشتبك فيها الجيشان ، أملاً في بارق

---

[1] انظر كتاب محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الجزء الثاني ص ٥٦.

نور يلوح بالسلام بينهما ، وكان سيدنا عليّ لم يبدأ بالقتال ، وقد أمر جيشه بذلك وأنذره أن لا يبدأهم ولا يقتلوا مدبراً ولا يأخذوا شيئاً من أموالهم وأن لا يكشفوا عورة أحد.

لقد بدأ معاوية وعمرو بن العاص بالقتال، وكانت حصيلة القتال أن انهزم جيش معاوية وعمرو، ونادى سيدنا عليّ بأعلى صوته : يا معاوية علام تقتل الناس ما بيننا هلمّ أحاكمك إلى الله عزّ وجل ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال عمرو بن العاص : فقد أنصفك ابن عمك ، فقال معاوية : ما أنصف ، إنك تعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله، فقال عمرو: وما يحسن بك ترك مبارزته ، فقال معاوية : طمعت في الأمر بعدي ؛ ثم تقاتلوا إلى الصبح ، وقد روي أن سيدنا عليّاً كبر تلك الليلة أربعمائة تكبيرة، وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبر، ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة وقاتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه مع سيدنا عليّ رضي الله عنه قتالاً عظيماً ، وكان قد نيّف عمره على تسعين سنة، وكانت الحربة في يده، ويده ترعد ، وقال: هذه حربة قاتلت بها مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثلاث مرات ، وهذه الرابعة ودعا بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله:

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : إن آخر رزقي من الدنيا ضيحة لبنٍ ــ والضيح : اللبن الرقيق الممزوج ــ وحمل حملة عمار يقاتل ، حتى استشهد رضي الله عنه .

جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه ، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (يقتل عماراً الفئة الباغية).

والذي قتله (أبو عادية) برمح ، فسقط عمار ، فجاء آخر فاحتز رأسه وأقبلا يختصمان إلى عمرو ومعاوية كل منهما يقول: أنا قتلته ، فقال

عمرو : إنّكُما في النار . وكان عمّارُ قائداً على اثني عشر ألفـــا ، وحمـــل بهم على جيش معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقضَ وتمزَّقَ .
وقاتل الأشتر النخعي قتالاً عظيمًا ، حتى انتهى إلى معســـكرهم ، وأمـــدّهُ سيّدُنا علي كرم الله وجهه بالرجال.

خُدْعةُ التَّحْكيمِ

لمّا رأى عمرو بن العاص ما حلَّ بجيش قرينه معاوية من الهزيمة قال لمعاوية : هلمَّ نرفع المصاحفَ على الرماح ونقول: هذا كتاب الله بيننـــا وبينكم ففعلوا ذلك. ولما رأى أهل العراق ذلك ، قالوا لعليٍّ : ألا تجيبُ إلـــى كتاب الله ؟ فقال سيّدُنا علي : أمضوا على حقّكـــم وصدقكـــم فـــي قتـــال عدوّكم... ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعةً ومكيدةً ، فقالوا : لا تمنعنـــا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى ، فقال سيدنا علي : إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكـم الله ، فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، فقال له مسعود بن فـــدك التميمـــي، وزيد بن حصين الطائي في عصابة من الذين صاروا خوارج : يـــا علـــيُّ أجبْ إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ، ونفعـــل بك ما فعلنا بابن عفّان ، فقال سيدنا علـــي : إن تطيعونـــي فقـــاتلوا، وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك ، فبعث إليـــه يدعوه ، فقال الأشتر : ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلنـــي عـــن موقفي، فرجع الرسول وأخبره بالخبر، وارتفعت الأصوات وكثر الرهـــج من جهة الأشتر ، فقالوا لعليٍّ : ما نراك أمرته إلا بالقتال ، فقـــال : هـــل رأيتموني سررتُ الرسول إليه ؟ أليس كلمته وأنتـــم تســـمعون ؟ فقـــالوا: فابعث إليه ليأتك وإلا اعتزلناك ، فرجع الرسول إلى الأشتر فأعلمه، فقـــال: لقد علمت والله إن رفع المصاحف يوقعُ اختلافـــا ، وإنـــها مشـــورة ابـــن

العاهرة، فرجع الأشتر إلى سيّدنا عليٍّ وقال: خُدِعْتم فانخدعتم ، وكان غالب تلك العصابة الذين نهوا عن القتال قرّاء ؟ ولما كفّوا عن القتال سألوا معاوية ، لأي شيء رفعت المصاحف ؟ فقال تنصبوا حكماً منكم وحكماً منّا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ثم نتبع ما اتفقنا عليه ، فوقعت الإجابة من الفريقين إلى ذلك، فقال الأشعثُ بن قيس وهو من أكبر الخوارج : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، فقال سيّدُنا عليٌّ قد عصيتموني في أول الأمر ، فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن أولي أبا موسى ، فقالوا : لا نرضى إلا به ، فقال سيّدنا عليٌّ : إنه ليس بثقة قد فارقني وخذل عنّي الناس ثم هرب منّي حتى أمنته بعد أشهر ، ولكن ابن عبّاس أولى منه، فقالوا : ابنُ عبّاسٍ ابنُ عمّك ، ولا نريدُ إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، قال سيّدنا عليٌّ : فالأشتر ، فأبوا وقالوا هل أسعرُها إلا الأشتر ، فاضطر سيّدنا عليٌّ إلى إجابتهم ، وأخرج أبا موسى، وأخرج معاوية عمرو بن العاص واجتمع الحكمان عند عليّ رضي الله عنه وكتب بحضوره كتاب القصة.

نصُّ كتابِ التَّحْكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى أمير المؤمنين عليّ ــ فقال عمرو هو أميركم وأما أميرنا فلا ، فقال الأحنف : لا تمح اسم أمير المؤمنين فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم ، فأجاب سيّدنا علي ومحاه وقال : الله أكبر سنّة بسنّة، والله إني لكاتب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الحديبية ، فكتبتُ محمد رسول الله فقالوا : لست برسول الله ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمحوه، فقلتُ : لا

أستطيع فقال : فارني فمحاه بيده ، فقال لي : إنك ستُدعى إلى مثلها فتجيب، فقال عمرو : سبحان الله تشبّهنا بالكفّار ونحن مؤمنون؟ فقال سيّدنا علي : يا بن الباغية ومتى لم تكن للفاسقين ولياً ، وللمؤمنين عدواً ؟ فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلسٌ بعد اليوم ، فقال سيدنا عليّ : إني لأرجو أن يطهّر الله مجلسي منك ومن أشباهك ، وكتب الكتاب ومنه: (هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم ، أنّا ننزل عند حكم الله وكتابه ، نحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله فبالسُنّة العادلة ، وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ، ومن الجندين المواثيق أنهما أمينان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وأجّلا القضاء إلى رمضان من سنة (٣٧) هـ وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخراه وكُتِب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام المقبل بإذرج ، ثم سار سيدنا عليّ إلى العراق ، وقدم إلى الكوفة ، ولم تدخل الخوارج معه إلى الكوفة ، واعتزلوا عنه.

تنفيذ الاتفاقية المبرمة

وفاءً بالوعد ، وقياماً بالعهد ، بعث سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه للميعاد أربعمائة رجلٍ فيهم أبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عباس ليصلي بهم ، ولم يحضر سيّدنا عليّ ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في

أربعمائة رجل ثم جاء معاوية ، واجتمعوا بإذرج ، وشهد معهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، والتقى الحكمان ، فدعا عمرو أبا موسى إلى أن نجعل الأمر إلى معاوية فأبى وقال لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين ، ودعا أبو موسى عمراً إلى أن يجعل الأمر إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فأبى عمرو ، ثم قال عمرو : ما ترى أنت؟ فقال: أرى أن نخلع عليّاً ومعاوية ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فأظهر له عمرو أن هذا هو الرأي ووافقه عليه ثم أقبلا إلى الناس وقد اجتمعوا ، فقال أبو موسى : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق ، تقدّم ، فتكلمْ يا أبا موسى ، فلما تقدم لحقه عبد الله بن عباس وقال ويحك ، والله إني أظنّ أنه خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدّمه قبلك ، فإني لا آمن أن يخالفك ، فقال أبو موسى: إنّا قد اتفقنا ، فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس : إنا لم نرى أصلح لأمر هذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو ، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية وتستقل هذه الأمة هذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا ، وإني قد خلعت عليّاً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ، ثم تنحّى ، وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي، فإنه وليّ عثمان والمطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه فقال له أبو موسى مالك لا وفقك الله ؟ غدرت وفجرت وركب أبو موسى ولحق بمكة حياءً من الناس ، وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، فسلّموا عليه بالخلافة ، ومن ذلك الوقت أخذ أمر عليّ بالضعف ، وأمر معاوية في القوة. [1]

---

[1] هذه خلاصة ما ذهب إليه المؤرخون ، وقد اختصرت هذه الأبحاث من المصادر الموثوقة كتاريخ بن جرير الطبري ، وتاريخ أبي الفداء وعبقرية علي للعقاد . مع=

المأساةُ المتوقَّعةُ

انتهت المأساةُ المتوقّعة بهذه المهزلة التآمريّةِ ، أو انتهت المهزلة التآمرية بهذه المأساة المتوقعة، وظهر أن اجتماع الحكمين لم يُفْضِ إلى اتفاق بين الحكمين ، فعاد الخلافُ لما كان عليه.

إلا أنه اشتدَّ واحتدم بعد قصة الحكمين ، بما زاد عليه من فتنة الخوارج المنكرين للتحكيم وكانوا هم المجبرين لسيّدنا علي رضي الله عنه، على قبوله ؟ حينما قالوا له : يا عليُّ أجِبْ إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت إليه ، وإلا ندفعك برمّتكِ إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان؟ وألحّوا عليه أن يردَّ قائده الأشتر النخعيَّ من ساحة الحرب ، وإلا اعتزلوه أو قتلوه.

فقبل التحكيمَ وهو كاره ، ثم قال كرّم اللهُ وجهه: فاصنعوا ما بدا لكم. رحم الله الشيخ محمد الخضري حينما قال في مدرسة القضاء الشرعي: إن عمر بن الخطاب كان يشتدّ والأمّة كلها معه ، ولكن عليا كان يشتد ومعظم الأمّة عليه.

اعتزالُ الخوارجِ عن عليٍّ

بعد أن تمَّ التحكيمُ، ونفذت مؤامرة الدهاة والخيانة أخذ الأمر في حقِّ عليٍّ يضمحلّ ، وأمر معاوية في القوّة يعلو ، خاصة وقد اعتزلت الخوارجُ عن سيّدنا عليّ الإمام ، وبعد اعتزالهم عنه، دعاهم سيّدُنا عليّ

=بعض التهذيب منها ، وقد تجنبت المزالق والميل وسجلت الحقائق الواردة في ذلك ومن أراد الشرح والتطويل فليراجع هذه المصادر يجد بغيته فيها.

إلى الحقّ ، فامتنعوا وقتلوا كل من أرسله الإمام إليهم ، لأنهم بيّتوا أمراً خطيراً عليه ، ونقضوا مبايعتهم له.

المناظرة بين سيّدنا علي والخوارج

أبرم هؤلاء الخوارج فيما بينهم (... إن هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر إخواننا حين رضوا بهما ، وحكّموا الرجال في دينهم ونحن على الشخوص من بين أظهرهم وقد أصبحنا والحمد لله ، ونحن على الحق ــ على زعمهم ــ من بين هذا الخلق).

وخرجوا ، وسيّدنا علي رضي الله عنه يأبى قتالهم حتى يئس من توبتهم، ولقيهم بالجيش، فآثر أن يلقاهم مناقشاً قبل أن يلقاهم مقاتلاً ، واقترح عليهم أن يخرجوا إليه رجلاً منهم يرضونه يسأله ويجيبه ، ويتوب إن لزمته الحجّة ، ويتوبوا إن لزمتهم ، فأخرجوا إليه إمامهم عبد الله بن الكوّاء.

قال سيّدنا علي : ما الذي نقمتم عليّ بعد رضاكم بولايتي ، وجهادكم معي، وطاعتكم لي ، فهلا برئتم مني يوم الجمل ؟

قال ابن الكوّاء : لم يكن هناك تحكيم.

قال سيّدنا علي : يا بن الكوّاس ويحك ، أنا أهدى أم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟

قال ابن الكوّاء : بل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال سيّدنا عليّ : فما سمعت قول الله عز وجل : **(قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم)** أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون؟

قال ابن الكوّاء: إن ذلك احتجاجٌ عليهم ، وأنت شككت في نفسك ، حين رضيت بالحكمين ، فنحن أحرى أن نشك فيك.

قال سيّدنا عليّ : إن الله تعالى يقول : **(فأتُوا بكتابٍ من عندِ الله هو أهدى منهما أتَّبعهُ).** القصص آية ٤٩.

قال ابن الكوّاء: كان ذلك أيضاً احتجاجاً منه عليهم، ثم قال بعد كلام طويل من قبيل كلامه هذا (إنك صادقٌ في جميع أقوالك غير أنك كفرت حين حكّمت الحكمين).

قال سيّدنا عليّ : ويحك يا بن الكوّاء ، إني قد حكّمتُ أبا موسى كما أشرتم، وحكّم معاوية عمراً .

قال ابن الكوّاء : فإن أبا موسى كان كافراً.

قال سيّدنا عليّ : متى كفر ؟ أحين بعثته ، أم حين حكم؟

قال ابن الكواء: بل حين حكم.

قال سيدنا عليّ : أفلا ترى أنّي قد بعثته مسلماً ، فكفر في قولك بعد أن بعثته... أرأيت لو أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس من الكافرين ، ليدعوهم إلى الله ، [1] فدعاهم إلى غيره، هل كان على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذلك شيء؟

قال ابن الكوّاء : لا.

قال سيّدنا عليّ : ويحك ، فما كان عليَّ إن ضلّ أبو موسى ؟ أفيحل لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فتعترضوا بها الناس؟

فعلم الخوارج أن صاحبهم ليس بندٍّ لعليّ في مجال النقاش ، فكفّوه عن الكلام كأنهم آمنوا بصدق عليّ في حجته وقصده ، لولا أنهم قوم قهرتهم لجاجة العناد كما تقهر أمثالهم من المتهوسين الذين يجدون في المضي مع العناد لذة يستمرئون بها العناد والخلاف ، ويبتعدون عن الحق والمعرفة،

---

[1] وقد حدث هذا في عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أوفد نهاراً الرحال ليهدي قوم مسيلمة الكذاب ، فانقلب هناك مبشراً بدين مسيلمة.

والسير على طريق الصواب ؟ فمردوا على الشقاق وأصروا على تكفير سيّدنا عليّ وأصحابه ، وأن يعاملوهم في الحرب والسلم معاملة الكفّار ، واستبقى سيّدنا عليّ بعد هذا كلّه بقيةً للسلم والمراجعة للصواب ؟ فرفع في الساحة العامة رايةً ضمّ إليها ألفي رجلٍ ، ونادى .. من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن.

حَرْبُ سيّدِنا عليٍّ للخوارجِ المتهوِّسين [1]

بعث للخوارج سيّدنا علي رضي الله عنه رسلاً ينصحون هؤلاء، وكلّما وصلَ رسولٌ لهم قتلوه، فسار إليهم سيّدنا عليّ وناظرهم وأقام الحقّ عليهم . ونصب لهم رايةَ الأمان ، فعل كلٌّ هذا فلم يرجعوا للحق، ولم يتوبوا للرشد ، فقال سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه لأصحابه: لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ــ شأنه في كل قتال ، فصاح الخوارج صيحتهم : لا حكم إلا لله وإن كره المشركون . وهجموا هجمة رجلٍ واحدٍ ، وتلقّاهم سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه وأصحابه ، لقاء من نفذ صبره ، ووغر صدره ، فما هي إلا ساعةً حتى قُتل معظم الخوارج ، وبقي منهم أربعمائة أصيبوا بجراحٍ وعجزوا عن القتال.

---

[1] الخوارج : هم جماعة من رجال الإمام سيّدنا عليّ كرم الله وجهه، نقموا عليه لأنه قبل التحكيم على أثر وقعة صفين ، وكانوا من قبل في مقدمة الذين حرضوه على قبول التحكيم ، لكنهم لما رأوا أن التحكيم قد انتهى إلى الحكم بخروج الخلافة من يد الإمام إلى معاوية نقضوا بيعته ونبذوا طاعته، وطمعوا في السلطان لأنفسهم ، فبايعوا واحداً منهم هو (عبد الله بن وهب وحاربوا تحت رايته زمناً ، ولما بلغ الإمام تمردهم وبغيهم نصحهم ثم جادلهم ، ثم حاربهم وقضى على فتنتهم . وخاصة في وقعة النهروان الشهيرة ، وهذا جزاء البغاة في الإسلام . وقد حدث قريباً من ذلك في زمننا الحاضر.

وهكذا أقام عليهم الحرب بعد صبره ، وحاربهم عملاً بقول سيِّدنا محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو هُريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ رضي الله عنه قال : (من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة جاهلية) رواه مسلم.

فقوله : عن الطاعة ، أي طاعة الخليفة الذي وقع الإِجْماعُ عليه ، وكان المراد خليفة أي قطر من الأقطار ، إذا لم يجمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية بل استقل أهل كل إقليم بقائم أمورهم ، إذ لو حمل الحديث على الخليفة اجتمع عليه أهل الإسلام لوجبت طاعته ، وقوله : وفارق الجماعة ، أي خرج من الجماعة الذين اتفقوا على طاعة الإمام انتظم به شملهم ، واجتمعت به كلمتهم وحاطهم عن عدوهم ، وقوله: فميتته ميتة جاهلية أي منسوبة إلى أهل الجهل والمراد به من مات على الكفر قبل الإسلام ، وهو تشبيه لميتة من فارق الجماعة بمن مات على الكفر بجامع أن الكل لم يكن تحت حكم إمام ، فإن الخارج عن الطاعة كأهل الجاهلية لا إمام له.

وفي الحديث دليل على أنه إذا فارق أحد الجماعة ، ولم يخرج عليهم ، ولا قاتلهم فإننا لا نقاتله لنردّه إلى الجماعة، وينهى عن للإمام بالطاعة بل نخلّيه وشأنه، لأنه لم يأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتالة ، بل أخبر عن حال موته وأنه كأهل الجاهلية ، ولا يخرج بذلك عن الإسلام ويدل عليه ما ثبت من قول سيدنا علي رضي الله عنه لهؤلاء الخوارج الذين ناظرهم وغلبهم وأقام عليهم الحجّة بالدليل القاطع ، فقال لهم : (كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً ، ولا تقطعوا سبيلاً ، ولا تظلموا أحداً فإن فعلتم نفذت إليكم الحرب) . وهذا ثابت عنه بألفاظ مختلفة، أخرجه الإمام أحمد والطبرانيُّ والحاكم.

قال عبد الله بن شدّادٍ رضي الله عنه : فوالله ما قتلهم الإمام حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام ، وهم قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بقروا بطن امرأته وهي حبلى ، وأخرجوا ما في بطنها.

ولما بلغ الإمام أمير المؤمنين سيدنا عليّاً رضي الله عنه كتب إليهم : أفيدونا بقاتل عبد الله بن خبّابٍ ؟ فقالوا : كلّنا قتله ، فأذن سيدنا علي كرم الله وجهه بقتالهم .[1]

وقد أمر أمير المؤمنين سيّدُنا الإمام عليّ رضي الله عنه بالجرحى أن يحملوا إلى عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج ؛ ولم يقتل من أصحاب سيّدنا الإمام علي سوى سبعة أنفس أوّلُهم يزيد بن نويرة ، وهو ممّن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة أحد رضي الله عنه .

بيانُ الحُكْمِ الشَّرعيِّ في قتالِ أمير المؤمنين سيّدنا عليّ رضي الله عنهُ

قال الإمامُ عبد القادر الجرجاني رحمه الله تعالى، في كتابه (الإمامة): (أجمع فقهاءُ الحجاز والعراق ، من فريقي أهل الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المسلمين والمتكلمين ،على أن ــ سيّدنا ــ عليّاً رضي الله عنه مصيبٌ في قتاله ، لأهل صفين ، كما هو مصيبٌ في أهل الجَمَل، وأن الذين قاتلوهُ ،

---

[1] انظر كتاب (سبل السلام في بيان الأحكام) ج٣ ص ٢٦٠.

بغاةٌ ظالمون له، لكن لا يكفرون ببغيهم) . وقال العلامة الإمام أبو منصور الماتُريدي: (أجمعوا ــ أي العلماء الأعلام ــ على أن سيِّدنا عليّاً كانَ مصيباً في قتال أهل الجمل، طلحة والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفّين معاوية وعسكره).

وجاءَ في كتاب السهيليّ : أن عاملاً لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال لعمر : (رأيت الليلة كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كلٍّ نجوم، فقال له عمر : مع أيهما كنت ؟ قال: مع القمر ، قال : كنت مع الآية المعجزة ، اذهب لا تعمل لي عملاً أبدا ، وعزله ، فقتل ــ أي هذا العامل ــ بصفّين مع معاوية واسمُهُ حابسُ بن سعد).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار بن ياسر : (تقتلك الفئةُ الباغية) رواه البخاري ومسلم . قال العلماءُ : حديث عمّار متواتر ، قال العلامة القرطبيّ : لما بلغ هذا الحديث معاوية ، لم يقدر على إنْكاره . لأنه مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ربِّه ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، مما يشهد أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان على صوابٍ، وغيره كان من الفئة الباغية ، كما جاء ذلك في كتاب شرح الزرقانيّ على المواهب اللدنية في بابِ إنبائه صلى الله عليه وآله وسلّم بالمغيّبات.

أقولُ: لقد تحقق ممّا قدمته للسادة القراء ، أن خلافة سيِّدنا الإمامِ عليٍّ رضي الله عنه ، يتعلّقُ بها ثلاثة إجْماعات : إجْماعُ الأُمّة الإسلاميّة على أنه أفضل الصحابة بعد من سبقه من الخلفاء الثلاثة، وإجْماعُهم على أن سيّدَنا الإمامَ عليّاً أبا الحسن رضي الله عنه ، أنه كان مصيباً في اجتهاده في حربه ؛ أمّا محاربوه من الصحابة رضي الله عنهم كانوا مخطئين في ذلك.

وأنّ البيعة للإمام كرّم الله وجهه كانت هي الصحيحة ، وبيعة معاوية بن أبي سفيان كانت باطلة ، وقد قال حبيبُ الله ومصطفاه سيّدُنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما) رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري.

ولا أريد التعمّقَ في هذا البحث، بل أقفُ عن الكلام بما ذكرته وألقى الله به وأتلو على السادة القراء ، قول الله تبارك وتعالى: ﴿تلك أمّةٌ قَدْ خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ولا تُسْأَلون عَمّا كانوا يَعْمَلون﴾[1]

وقوله جلّ شأنُه : ﴿واتّقوا يوماً تُرجَعونَ فيه إلى الله ثمّ تُوفى كلُّ نفسٍ ما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمون﴾[2]

أيّها السادة القراء ، المؤمن الحقُّ ، هو الذي يبتعدُ عن انتقاصِ الناس، لا سيّما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ نحنُ بأمسّ الحاجة للتضامن والمحبّة ، والاتّحاد والإخاء ، أمام ما يحاك علينا وعلى المسلمين من مؤامراتٍ من أعداء الإسلام.

أجل علينا أن نحبَّ بعضنا كالبنيان المرصوص، ونقول عما جرى في التاريخ والسير من حوادث، تلك أمّةٌ قد خلت ، وخرجت من هذه الدنيا الفانية، ووصلت للدار الآخرة، والعاقلُ من اعتبر ، بصروف الزمن وانقضاء الليالي ، لأن البقاء لله وحده ، وإن من نظر إلى الدنيا بعينِ

---

[1] الآية /١٣٤/ من سورة البقرة.

[2] الآية /٢٨١/ من سورة البقرة.

البصيرة والحقيقة، أيقن أن نعيمها ابتلاء ، وحياتها عناء، وعيشها نكد ، وصفوها كدر، وأهلها على وجلٍ ، والرحيل منها مؤكّد ، فما علينا إلا السير فيما يرضي الله تعالى ، علي سنن النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين ؛ لأن السيرَ طويلٌ، والحسابَ عسيرٌ ، والزادَ قليلٌ ، قال اللهُ تعالى في سورةِ الزَّلْزَلَة : ﴿فمنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذرّةٍ خيراً يَرَهُ(٧)وَمَنْ يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شرّاً يرهُ(٨)﴾ والعاقبةُ للمتّقين.

نِيَّةُ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ للسيرِ إلى الشّامِ

بعد تأديبِ الخوارجِ وما حلَّ بهم ، رجع سيّدُنا عليٌّ كرم الله وجهه إلى الكوفة : وحضَّ الناس على المسيرِ إلى الشام ، ليلقى بها جيشَ معاوية ابن أبي سفيان، فتصدّى له الأشعثُ بن قيسٍ رضي الله عنه ، كما كان يتصدّى له في كل فرصة سانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس: يا أميرَ المؤمنين نفدت نبالنا ، وكلّتْ سيوفُنا ، ونصلت أسنّةُ رماحنا، فارجع بنا إلى مقرِّنا ، لنستعدَّ بأحسن عدّتنا، ولعل يا أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منّا ، فإنه أوفى لنا على عدوِّنا.

وتسلل الجندُ من معسكرهم ، ولاذَ من لاذ بالمدن القريبة منهم ، وأيقن سيِّدُنا علي رضي الله عنه أن القومَ مارقون من يده ، ولا طاعة له عليهم ، إذا دعاهم بعدها لقتال.

حان الوقت لمعاوية في إرسال البعوث والسرايا

أما معاوية فقد علا نجمه ، بين قومه وأعانه طلاّب المنافع الدنيوية عامدين ، وأعانه الخوارج المتهوسين غير عامدين فحاربوا الإمام عليّاً ، ولم يحاربوا معاوية ، وطلبوا التوبة من سيّدنا عليّ ــ وهم أجبروه على الرضا به ــ ولم يطلبوا التوبة من معاوية.

واستمرّ معاوية في إنفاذ البعوث وبث السرايا إلى كل موضع آنس منه غرة ، وظن بزعمائه موجدة أو سآمة ، فلم تنقض سنتان حتى كانت معه مصر والمدينة ومكة ، وبقي سيّدنا عليّ رضي الله عنه في أرباض الكوفة ، يائساً منعزلاً عن الناس، يوجس شراً من أقرب المقربين إليه، وانتهى بقبول المهادنة بينه وبين معاوية ، على أن تكون له العراق ولمعاوية الشام ، ويكفا السيف عن هذه الأمة ، فلا نزاع ولا قتال.

من أعمال معاوية وعمرو بن العاص [1]

جهّز معاوية بن أبي سفيان جيشه برئاسة عمرو بن العاص للسير إلى مصر وعليها محمد بن أبي بكر عاملاً لسيّدنا عليّ رضي الله عنه ، ولما سمع محمد بن أبي بكر بميسر الجيش نحوه كتب لسيّدنا علي مستنجداً، فأرسل إليه الأشتر ، فلما وصل الأشتر إلى القلزم ــ البحر الأحمر سقاه رجلاً عسلاً مسموماً ، فمات منه وسار عمرو بن العاص حتى وصل إلى مصر وقاتله أصحاب محمد بن أبي بكر ، فهزمهم عمرو

---

[1] انظر تاريخ أبي الفداء ج١ ص ١٧٩.

وتفرق عن محمّدٍ أصحابُه ، وأقبل محمّد بن أبي بكر يمشي حتى انتهى إلى خربة ، فقبض عليه ، وأتوا به إلى معاوية بن خديج ، فقتله وألقاه في جيفة حِمار، وأحرقه بالنار ، ودخل عمرو بن العاص مصر ، وبايع أهلُها لمعاوية بن أبي سفيان.

ولما بلغ عائشة قتلُ أخيها محمّد ، جزعت عليه وبكتْ، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاويةَ بن أبي سفيان ، وعلى عمرو بن العاص، وضمّتْ عيال أخيها محمّدٍ إليها ، ولما بلغ سيِّدنا عليّاً رضي الله عنه مقتلُه جزع عليه وقال: عند الله نحتسبُه ــ ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله.

نهايةُ الخِلافةِ ومقتلُ سيِّدِنا عليّ رضيَ اللهُ عنهُ

بينما الإمام سيِّدنا عليٌّ كرَّم الله وجهه ، يعمل على تجهيز جيش يحسم الأمور ويقضي على آثار الحيلة التي دبرت بليلٍ في موقعة صفّين، ويضع لهذه الفوضى حدوداً ، إذا بمؤامرة أخرى تدبر في الخفاء ، للقضاء على الرجال الثلاثة الكبار في المجتمع الإسلامي (عليٌّ ومعاويةَ وعمرو ابن العاص) من قبل المتزمتين المتنطعين من الخوارج ، هذه المؤامرة التي اتسمت لدى المتآمرين بأنها قضاء على الفرقة والانقسام وأن الأمر سيستقر بعد هؤلاء الثلاثة ، ويا لسوء هذا الفكر والتدبير ، وما أسوأ الآثار، إذا دفع التنطُّع الديني كل سفّاكٍ أثيم ، ليعيث في الأرض فساداً، ويغتال من شاء من عباد الله...

المُؤامرةُ الأَثيمةُ وأَعْوانُها

هذه المؤامرة كوّنَها ثلاثةُ رجالٍ ، هم عبدُ الرحمـــن بـــن مُلْجَـم الحِمْيريّ، وكان حليفاً لقبيلة (مراد) وقد أعدَّ نفسه لقتل الخليفة الإمام سـيّدنا عليّ كما أعدَّ عمرو بن بكر التميميُّ نفسه ، لقتل عمـــرو بـــن العـــاص. والبركُ بن عبد الله التميميُّ أعدَّ نفسه لقتل معاويـــة ــ ويقـــال أن اســـمه الحجّاج.

فأمّا معاويةُ بن أبي سفيان فقد نجا لأنه كان متدرِّعـاً،جـرح فـي إليته، وأما عمرو بن العاص فشاء له القدر في الليلة الموقوتة أن ينيب عنه رئيس شرطتِه خارجةُ بنِ حُذافة فأصابه السيف الذي أعدّه عمرو التميمـي المغتال في مقتل من جسمه ، فقضى عليه.

وأمّا سيّدنا عليّ كرم الله وجهه ، فقد أعدَّ ابن مُلْجَم نفســه وســيفه وصاحباً يعينه وآخر يساعده ، وهما وردان من تيـــم الربـــاب ، والثـــاني شبيب من أشجع ، وبينما كان الخليفة الإمامُ سيّدُنا عليٌّ رضـــي الله عنـــه يدعو الناس لصلاة الفجر سنة أربعين للهجرة فضربه شبيب فوقع سيفه فـي الطاق، وهرب شبيب فنجا في غمار الناس ، وضربه ابن مُلْجَم في جبهتـــه فأصاب دماغه ، وأما وردانُ فهرب ، وأمسك ابن ملجم ، وأحضُرَ مكتوفـاً بين يدي سيّدنا عليّ ، ودعا سيّدنا عليٌّ ابنيه الحسن والحسين بعد طعنـــه ، أن يطيبوا طعامه ويلينوا فراش ابن ملجم ، فإن يعشْ فهو وليُّ دمه، عفـواً أو قِصاصاً وإن يمت ألحقوه به ،ليخاصم عند ربّه ، ثم نهاهم أن يعتـدوا أو يمثّلوا به ، وقد بقي بعد ضربة ابن مُلْجمٍ يومين وليلة ، ثم صعدتْ روحُـــه إلى الرفيق الأعلى ، شهيداً صابراً فعند الله الجزاءُ الأوفى.

وبعد أن فاضت روحه لبارئها ، فزع الناس جميعًا ، ووجموا وقال قائلُهم :

يا ليتَها مذ فدت عَمْرًا بخارجةٍ فدت عليًّا بما شاءتْ من البشرِ

وباستشهاده ختمت دولةُ الخلفاء الراشدين ، وبدأ الملك عضوضًا لأهل الدنيا ، ينتقل حيثُ شاءت قدرة الله تعالى، وهكذا انطوت تلك الحياة الجّياشةُ بخدمة الإسلام والمسلمين ، وانطوتْ تلك الصحف التي امتلأت مجدًا وفخرًا ، وسؤدداً ونبلاً ولكن مع هذا ، فهي باقية لكل محبٍّ من أمَّة الإسلام لسيّدنا عليّ كرّم اللهُ وجهه ، ولآل بيته الأطهار السائرين على نهجه والمقتفين لآثاره ، وستبقى آثارُه مناراً ونبراسًا ، وهُدًى ونورًا يضيء الطرق لكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم.

تاريخُ استشهادِهِ كرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ومدّةُ خِلافتِه

كان استشهادُه كما جاء في كتب التاريخ قديمها وحديثها في فجر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ، وقيل في الحادي والعشرين من شهر رمضان ، والله أعلم .

وكانت مدّةُ خلافته خمسُ سنواتٍ إلا ثلاثة أشهر ، وقبرُه فيه خلاف ، قال أبو الفداء في تاريخه ج١ ص١٨١ :

" واختلف في موضع قبره ، فقيل : دفن ممّا يلي قبلة المسجد بالكوفة ، وقيل : عند قصر الإمارة ، وقيل : حوّلَهُ ابنُه الحسن إلى المدينة المنوَّرة ، ودفنه بالبقيع عند قبر فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ؛ وقيل: الأصحّ الذي ارتضاه ابنُ الأثير وغيره أن قبره هو المشهور بالنجف الأشرف الذي يُزار اليوم .

واقول : إن الله يعلم مكان دفنه ، ويا سعادة الأرض التي حَظيت بهذا الجسم الطاهر النقي ؛رضي الله عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأرضاه ، وحشرنا الله في فسيح جناته ، اللهم آمين .

وصية الإمام سيدنا علي لأولاده

دخل جُندُبُ بن عبد الله فقال : يا أميرَ المؤمنين إن فقدناكَ ولا نفقدكَ، فنبايع الحسن ؟ ، فقال : " ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصرُ " ، ثم دعا الحسنَ والحسينَ فقال لهما: (أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ، وإن بغتْكما ، ولا تبكيا على شيء أزُوى عنكما ، وقولا الحقَّ ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصيماً ، وللمظلوم ناصراً ، وأعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم). ثم نظر إلى محمد الأكبر بن الحنفية فقال له : (هل حفظتَ ما أوصيتَ به أخويكَ ؟ ، فقال نعم ، قال : فإني أوصيكَ بمثله ، وأوصيكَ بتوقير أخويكَ، لعظيم حقّهما عليكَ ، وتزّين أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ، ثم قال للحسن والحسين : أوصيكما به فإنه شقيقكما وأبنُ أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ، وقال للحسن : " أوصيكَ يا بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحُسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور ، وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبيت في الأمر ، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش).

ثم لم يزل بذكر الله حتى مات رضي الله عنه ، فغسله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم جميعاً،

وكُفِّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ ليس فيها قميص ، وكبّرَ عليه الحسنُ سبعَ تكبيراتٍ.

ولما استشهد سيّدُنا عليٌّ كرَّمَ الله وجهه ، بايع أهلُ الكوفة ابنَهُ الحسنَ ، وأوّلُ من بايعه قيسُ بن سعدِ بن عُبادة رضي الله عنه ، فقال له: ابسُطْ يَدَكَ أبايعك على كتابِ الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما يأتيانِ على كلِّ شرط ، فبايعه الناسُ على ذلك[1] .

حُكومةُ سيِّدِنا عليٍّ كرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

انقضتْ أيّامُ سيِّدنا عليّ رضي الله عنه ، وليس للحكومة الإسلاميّة سياسة خارجيّة ، تحسب من سياسة الفتن، أو سياسة الدفاع ، أو سياسة المفاوضة والاستطلاع ،بل صبغت حكومة سيدنا علي رضي الله عنه، بسياسة الحكم بينه وبين رعاياه ، أو هي السياسة الداخليّة ، كما نسمّيها في عصرنا الحديث .

كانت سياسة سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه ، سياسة الرجل الذي شاء القدر أن يجعله فدية للخلافة الدينيّة في نضالِها الأخير مع الدولة الدنيويّة ، فكان الناس لدى حكومة سيّدنا عليّ رضي الله عنه في الحقوق سواء ، لا محاباة لقوى ، ولا إجحاف بضعيف ، فالأمّةُ كلّها سواء أمام العدل والحق ، وكان دستوره أن يقول : " إن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل ، فالجَوْرُ عليه أضيقُ ".

وكان سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه على شدّة عنايته باستطلاع أحوال الولاة والعمال ، ينهى أشدَّ النهي عن كشف معايب الناس ، أو كما كان يقول في وصية ولاته :"ولكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم ــ أي أبغضهم ــ

---

[1] أنظر كتاب إتمام الوفا في سيرة الخلفا ، للخضري بك ج١ ص٢٠٠.

عندك ، أطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها ، فلا تكشفن عما غاب منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ".

وكان سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه ينهي عن بطانة السوء ، ويأمر أن يتحرّوا عند اختيار أهل الشورى أن يكونوا من الأخيار .

ثقافةُ سيِّدِنا عليٍّ كرّمَ اللهُ وَجْهَهُ

من الألقاب الشائعة لسيّدنا علي رضي الله عنه لقب (الإمام) الذي اختصّ به من بين جميع الخلفاء الراشدين ، والذي يعرف به إذا أطلق ، فلا ينصرف لغيره من بينِ جميع الأئمة الذين وسموا بهذه السمة من سابقيه و لاحقيه .

إن لسيّدنا عليّ رضي الله عنه من نور بصيرته ، ورفيع ثقافته ، وسحر بلاغته ، أن يكون وحده المعنيّ بلقب الإمام إذا أطلق لفظ الإمام، فمن له مثل ما لسيّدنا عليّ كرم الله وجهه من فرائد حكمته التي تسجَّل له في ثقافة الأمم عامّة ؟ ، كما تسجّل له في ثقافة الأمّة الإسلاميّة ، فكتاب نهج البلاغة موسوعة فذّةٌ تتجلّى فيه آياتٌ التوحيد ، والحكمة الإلهيّة ممّا يشهد بسبق الإمام في مضمار علم الكلام ، والكتاب على جملته خير ما يعرف يه المؤمن ربَّه ، وينزّه به الخالق في وجوده ووحدته وكماله .

لقد بلغ سيدنا الإمام علي رضي الله عنه من العلم مبلغاً لا يكاد يدانيه فيه أحد من أولئك الشباب ، ويكفيه رضوان الله عليه شهادة الاختصاص التي نالها من حضرة نبيّنا ورسولنا سيّدنا محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : (أقضاكُمْ عليٌّ) .

وهذا وسامٌ نبويٌّ يفوق كلّ وسامٍ يؤخذُ في الجامعات .

وكان رضي الله عنه أخطب كل خطيب لشدة بلاغة عباراته ، وقد جُمعت خطبه في كتاب نهج البلاغة الذي ذكرته آنفاً ، وهي تدلُّ على ما وصل إليه رضي الله عنه من علمٍ غزيرٍ ، وحكمةٍ عالية وبلاغة رائعة ، كيف لا ، وهو قد تلقى الآداب المحمدية ، ورأى رأي العين النقائب النبوية ، وأخذ العلم والدين من فم ابن عمه سيدنا محمد رسول الله رضي الله عنه ، فتأثر بذلك كله ثم أعانه استعدادٌ قرشيٌ هاشميٌ ،فحفظ ، وفقه، وعَلمَ ، وأحكم ما علم ، حتى أصبح مرجعاً في الحديث والفقه وحكم التربُّع والفتوى ، وصحة الرأي في الأحداث التي تقع ، ولقد قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "إن علياً أقضانا ".

وقال مرة لجلسائه :" لولا علي لهلك عمر ".

لأن عمر يقر ويعترف لسيدنا الإمام علي رضي الله عنه بالعلم الصحيح ، بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يقتصر أمرهُ على علوم الدين ، بل تجاوزها إلى علوم اللغة العربية ، وعلم النفس والفراسة وغيرها من العلوم الحياتية ، ولسيدنا عمر حكمةٌ قالها فيمن يلي أمور الناس ، حيث قال : " من ولّي أمور العباد ينبغي له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيرها فأنه عنها مسؤول ــ ومتى غفلَ عنها خسر الدنيا والآخرة .

تحفة ثمينة للإمام علي كرم الله وجهه

١ــ وقد جاء في الكتب الموثوقة في التاريخ والسّير ": أنه شكا يهودي إلى سيدنا عمر بن الخطاب الإمام علياً رضي الله عنهما ، بخلاف بينهما ، فلما مثلا بين يديه خاطب عمرُ اليهودي باسمه ، بينما خاطب علياً بكنيته فقال له : ــ يا أبا الحسن حسب عادته في خطابه معه ، فظهرت أثار الغضب على وجه علي رضي الله عنه ، فقال له عمر : أكرهت أن

يكون خصمك يهودياً وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة ؟ ، فقال علي رضي الله عنه لا ولكني غضبتُ لأنك لم تسوي بيني وبينه ، بل فضلتني عليه ، إذ خاطبته باسمه ، بينما خاطبتني بكنيتي ". وهكذا يظهر لنا أخلاق سيدنا الأمام علي رضي الله عنه ، وحبه للعدالة .

٢ــ وحدث مرة أن ولداً لعمرو بن العاص ضَرب ولداً من المصريين في عهد ولايته على مصر ، فأقدم المجنى عليه ليشكوه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له : أذهب فلا ضرر من شكواك فأنا أبن الأكرمين ، فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع خاصته وعمرو بن العاص وابنه معهم في موسم الحج، قدم هذا الرجل عليهم ، وقال مخاطباً عمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين إن هذا ، وأشار إلى ابن عمرو بن العاص ضربني ظلماً ، ولما توعدته أن أشكوه إليك ، قال لي : أذهب فأنا ابن الأكرمين ، فنظر عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، وقال قولته المشهورة :"" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً "". ثم توجه إلى الشاكي وناوله درته ، وقال له : أضرب ابن الأكرمين كما ضربك ، وكان سيدنا علي حاضراً ، فأعجب بقول عمر وعدالة الإسلام .

٣ــ وحدث مرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أيام خلافته رأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فجمع الناس وقان فيهم خطيباً وقال : ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلاً وامرأة على فاحشة ؟، فقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأجابه على قوله بأن يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهود ، فإن لم يأتِ بأربعة شهود يجلد ثماني جلدة ، لقوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

بأربعةِ شُهداءَ فاجلِدوهُـمْ ثمانينَ جلدةً ولا تَقْبَلوا لَهُـمْ شهادةً أبداً وأولئكَ هُـمُ الفاسِقون(٤)﴾[١] ، فسكتَ عُمر ولم يعيِّنْ شخصي الفاعلين ، ومـن هذا يظهرُ لمّا علم عليٌّ رضي الله عنه وقوله الحقّ بردّه القرآنـي ، ممّـا جعل عُمر رضي الله عنه يسكت أمامهذه الحجّة الواضحة والدليل النـاصع، فرضيَ اللهُ عنه وأرضاهُ .

سيِّدُنا الإمامُ عليٌّ هو واضِعُ علْمِ العربيّةِ

علمُ العربية قد وضع أساسَهُ سيِّدُنا الإمامُ عليٌّ رضـي الله عنـه ، وقد مهَّد طريقه لمن أتى بعده ، وذلك باختراعه وبراعته في علم{ النحـو } فقد دخل عليه تلميذه أبو الأسود الدؤلي يوماً ، فرآه مطرقا مفكِّراً ، فقـال له: فيم تفكّرُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فأجابه: إني سمعتُ ببلدكم هـذا ــ يعنـي الكوفة ــ لحناً في كلامهم ، فأردتُ أن أصنعَ كتابـاً فـي أصـولِ اللغـة العربيّة، ثم ألقي صحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : الكلامُ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ إلـى آخـرِه[٢].. ولولا هذه البادرة الطيِّبة من سيِّدنا أمير المؤمنين علي رضـي الله عنـه ، لضاعت اللغةُ العربيّةُ وكثر اللحن ، ولما استقامت عبارةُ عالمٍ ولا كـاتبٍ ولا أستاذٍ .

جزى الله سيِّدَنا الإمامَ عليّاً رضي الله عنه كلَّ خيرٍ عـن الأمّـةِ العربيّةِ ولغتِها ، فقد كان أميرُ المرمنين سيّدُنا الإمامُ المرتضى علـيٌّ بـن

---

[١] من سورة النور آية /٤/.

[٢] أنظر كتاب شباب قريش ص٥٨ .

ابي طالبٍ رضي الله عنه ، على علمٍ غزيرٍ ، وخاصّة منه علم الفقه الإسلاميّ وأحكامه ، وكل عالم فقيه في الأمّة الإسلاميّة مستفيد من فقهه كرّم الله وجهه ، وكان عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه يقول : لولا علي لهلك عمر ، كما مرَّ سابقاً في كتابِنا هذا ، وقال عمر مناديـاً الصحابة الكرام في المسجد { لا يفتينَّ أحدٌ في المسجد وعليٌّ حاضرٌ } .

ومن علومه كرّم الله وجهه علم التفسير ، لآي الذكر الحكيم ، ومن رجع إلى الكتب الموثوقة لهذا النوع يرى أن أكثر الأقوال لسيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه ، وقد تنسب أحياناً لابن عبّاس رضي الله عنهما، وليس لابن العبّاس منها إلا النقل عنه كرّم الله وجهه ، ولقد كان ابنُ عبّاس تلميذاً لسيّدنا الإمام عليّ، وملازماً له ومنقطعاً إليه ، وكان في بعض الأحيان تشكل بعض المسائل المستجدّة بين المسلمين ، ولم يجدوا حلّاً لها ، فيأتون إلى سيّدنا الإمام ليحلها لهم ، فيحلّها بالحجّة والدليل، من كتاب الله تعالى القرآن ، أو من سنّةِ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وهكذا كان كرم الله وجهه ، ويكفيه شهادة حبيب الله ومصطفاه سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه حيث قال : (أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها) . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أقضاكم عليٌّ).

وألفت نظرَ السادة القراء إلى فتاويه المنيفة في هذا الكتاب ، وسيأتي ذكرُها إن شاء الله تعالى .

زَوْجاتُ وأولادُ سيّدِنا عليٍّ ذُكوراً وإناثاً

أوّلُ زوجات سيّدِنا عليٍّ رضي الله عنه ، فاطمةُ الزهراءُ رضيَ الله عنها ، لم يتزوجْ عليها في حياتِها ، وقد ولدتْ له الحسنَ والحُسَيْنَ ومُحْسِناً ماتَ صغيرا ، وزينبَ وأمَّ كُلثوم زوجةَ عُمر بن الخطّاب رضيَ

الله عنه ،وبعد وفاة فاطمة رضي الله عنها ، تزوّج أمُّ البنين بنت خزام الكلابيّة ، فولدت له العبّاسَ وجعفراً وعبد الله وعثمان ، وقد قتل الأربعة مع الحسين رضي الله عنهم أجمعين ، ولم يعقب منهم غير العبّاس ، وتزوّج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشليّ التميميّ وولدت له عبد الله وأبا بكر قتلا جميعًا مع الحسين أيضا ، وتزوّج أسماءَ بنت عميس وولدت له محمّداً الأصغر ويحيى ، ولا عقب لهما ، وولد له من الصهبا بنت ربيعة الثعلبية من سبي خالد بعين النهر ، عُمر ورقيّة ، وعاش عمر المذكور خمساً وثمانين سنة ، وحاز نصف ميراث أبيه ، ومات بينبع وله عقب ، وتزوّجَ عليٌّ أيضا أمامةَ بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف وأمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وولدت له محمّداً الأوسط ولا عقب له ، وولد له من خولة بنت جعفر الحنفيّة محمّداً الأكبر من الحنفيّة وله عقب .

وكان له بنات من أمّهاتٍ شتى ، منهنّ أمُّ الحسن ورملة الكبرى من أمّ سعيد بنت عروة ، ومن بناته أمُّ هانىء وميمونة وزينب الصغرى ، وأمّ كلثوم الصغرى ، وفاطمةُ وأمامة وخديجة وأمّ الكرام وأمّ سلمة وأمّ جعفر وجُمانة ونفيسة .

فبنوه الذكور كلُّهم أربعة عشر ، لم يعقب منهم إلا خمسة { الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعبّاس وعُمر[1] }.

فإذا أراد القارىء الكريم فليراجع كتاب { نور الأبصار } ففيه الشرحُ الكافي لآلِ هذا البيت الطاهر ، أو كتاب { الأنوار } لأبي القاسم إسماعيل الذي ذكر أن أولاد سيّدنا عليّ رضي الله عنه اثنان وثلاثون ، ستّة عشر ذكراً وستّ عشرة أنثى .

---

[1] أنظر تاريخ ابن الوردي ج١ ص٢٤٩.

وذكر مؤلف كتاب بغية الطالب أن أولاده رضي الله عنه ثلاثة وثلاثون ، خمسة عشر ذكراً ، وثماني عشرة أنثى بالاتفاق ، وقد ذكرتُ لك يا أخي هنا ثلاثة وثلاثون ولداً ، وهذا ما استطعت تحقيقه ،والحمد لله رب العالمين .

وصف عام للإمام علي كرم الله وجهه

مذاا يقول القائل في وصف هذه الإمام العادل وكل وصّافٍ ملهرٍ ، منسوبٍ إلى العجز لتقصيره عن الغاية المطلوبة ، مهما أنتهى به القول ، وكفى بشهادة المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنه قال (أنا دار الحكمة وعليٌ بابها) رواه ابن عباس في الحلية ج١ ص٦٤ وعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: (ما أنزل الله آية فيها { يا أيها الذين آمنوا إلا وعليٌّ رأسها وأميرها).

وهذا مما يدل على مكنون السرّ الذي فيه رضي الله عنه ؛ وكتب المرحوم مفتي الديار المصرية العلامة الشيخ محمد عبده ، وصفاً دقيقاً لسيدنا الإمام علي فقال فيه " فهو أولُ في العلوم وفي الشجاعة ، واول في السخاء ، وأول في الحلم والصفح ، وأول في التدبير والسياسة أَسَدُّ الناس رأياً ، وأصحهم تدبيراً ، لولا تقاه لكان أدهى العرب ، كأنما أفرغ في كل قلب ، فهو محبوب إلى كل نفس ومظاهر العظمة محيطة بمعاليه حتى ليستولي الاضطراب على الأذهان والمدارك عند التفكير فيما خصّه الله فيه، وذهب النلس فيه مذاهب ، خرجت بهم عن حدود العقل حتى كان أهلُ الذمة تحيطه بالجد والاحترام ، والفلاسفة تعظّمه ، وملوك الروم تصوره

في بيوتها وبِيَعها ، ورؤساء الجيوش تكتب اسمه على سيوفها ، كأنّما هو فألُ الخير ، وآيةُ النصر والظفر .

وصْفُ سيِّدِنا عليّ رضيَ اللهُ عَنْهُ أمامَ مُعاويةَ

دخل ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما على معاوية بن أبي سفيان ، فقال معاويةُ : يا ابن عبّاس صف لي عليّاً ، قال : كأنك لم تره ؟ قال معاويةُ : بلى ، ولكن أحبُّ أن أسمع منك فيه مقالاً ، فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما : " كان أمير المؤمنين رضوان الله عليه ، غزير الدمعة، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن، ويد نينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا دعوناه ، وكان تقريبه إيانا وقربه منا ، لا نبدؤه بالكلام حتى يبتسم ، فإذا هو تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، أما والله يا معاوية لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يبكي ، ويتململ تململَ السَّليمِ[1] ، وهو يقول: " يا دنيا إيّاي تغرّين ؟ أمثلي تشوّقين ؟ لا حانَ حينك ، بل زوالك، قد طلّقتُكِ ثلاثا لا رجعةَ فيها ، عيشُكِ حقيرٌ ، وعمرُكِ قصيرٌ ، وخطرُكِ يسير آه . آه ، من بعد السفر ، ووحشة الطريق ،وقلّةِ الزاد ، قال :فأجهش معاويةُ ومن معه بالبكاء .

وصفُ دقيقٌ لسيِّدِنا عليٍّ أمامَ مُعاويةَ أَيْضًا

جاءَ في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ٨٤ قال : دخل ضرار بن ضمرة الكنانيُّ على معاوية ، فقال له : صِفْ لي

---

[1] الملدوغ .

علياً، فقال أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : لا أعفيك ، قال : أمـــا إذ لا بدّ: : { فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصـــلاً ويحكـــم عدلاً ، تنفجر العلوم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يســـتوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزيـــر العـــبرة ، طويل الفكرة ، يُقَلّبْ كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصـــر ، ومن الطعام ما خشن ، كان والله كأحدنا ، يدانينا إذا أتينـــاه ، ويجبنـــا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثـل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي فـــي باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله ، لقد رأيته فـــي بعـــض مواقفه ، وقد أرخى الليل يدوله ، وغارت نجومه ، يميـــل فـــي محرابـــه قابضاً إلى لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكـــاء الحزيـــن ، فكـــأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا ــ يتضرع إلى الله سبحانه ــ ثـــم يقول للدنيا ، إليَّ تغررتِ ، إليَّ تشوقتِ ، هيهات ، هيهات ، غري غـــيري قد بَتَتُكِ ــ أي طلقتكِ ــ ثلاثاً فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطـــركِ يسير ، آه آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق }.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمّـــهِ، وقد أختنق القوم بالبكاء .

فقال معاوية : كذا كان أبو الحسن رحمه الله تعالى ، كيـــف كـــان وجدُك عليه ؟ قال : وَجْدُ مَنْ ذُبِحَ واحدها في حجرها لا ترقأُ دمعتـــها،ولا يسكن حزنها ، ثم قام فخرج[1] .

شهادة ثالثة في سيدنا الإمام عليٌّ[1]

---

[1] انظر كتاب هداية المرشدين للعلامة الشيخ علي محفوظ ج١ ص٢٢٦.

[1] انظر كتاب الأعلام من رجالات العروبة والإسلام ج١ ص٨٣.

أرسل سيِّدُنا عليٌّ رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان بكتابٍ صُحبةَ { صعصعة بن صوحان } فسار حتى أتى دمشق فأتى باب معاوية، فقال استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان على الباب جماعة من بني أمية ، فأخذته النعال والأيدي لقوله أمير المؤمنين ، وكثرت عليه الجلبة والضوضاء ، فأتصل بمعاوية فأذن له ، فدخل عليه ، قال صعصعة : السلام عليك يا ابن أبي سفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه في الكلام ، وأراد أن يستخبره[٢]، ليعرف طبعاً أم تكلفاً كلامه ، فقال له : ممّن الرجل ؟ قال : من نزار ، فقال : وما كان من نزار ؟ ، قال : كان إذا غزا انكمش ــ أي جدَّ ــ وإذا لقي افترش، وإذا أنصرف احترش ، قال معاوية : فمن أيّ أولاده أنت ؟ ، قال من ربيعة ، قال : وما كان ربيعة ؟ قال : كان يُطيل النجاد ، ويَعول العباد ويضرب ببقاع الأرض العماد ، قال معاوية : فمن أي أولاده أنت ؟ ، قال: من جديلة ، قال : وما كان جديلة ؟، قال : كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المكرمات غيثاً نافعاً ، وفي اللقاء لهباً ساطعاً ، قال معاوية : فمن أي أولاده أنت ؟، قال : من عبد القيس ، قال وما كان عبد قيس ؟، قال : حسناً[٣] أبيض وهاباً يقدّمُ لضيفه ما وجد ، ولا يسأل عمّا فقد ، كثير المرق طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال معاوية: ويحك يا ابن صوحان ، فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً ، قال : بلى والله يا ابن أبي سفيان ، تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر والسرير والمنبر ، والملك إلى المَحشَر ،

---

[٢] ومعاوية مشهور بحلمه ودهائه .

[٣] ــ تعرب خبراً لكان المحذوفة . وما بقي من الصفات له (لعبد القيس).

ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، فقال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك كذلك ، فعرف صعصعة ما أراد معاوية فقال: ليس لك ولقومك في ذلك إصدار ولا إيراد ، بعُد تُمْ عن أنف المَرعى ، وعلوتمّ عن عذب الماء ، قال معاوية : ولِمِ ذلك ؟ ويلك يا ابن صوحان، قال : الويل لأهل النار [1] لبني هاشم ، قال معاوية : قم ، فأخرجوه فقال صعصعة : الوعد بيني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المحاجزة .

فقال معاوية : لشيء ما سوده قومه ، وودت أني من صلبه ، ثم التفت إلى بني أمية من حوله : هكذا فلتكن الرجال.

التعقيب على هذا الحوار

أيها السادة القراء ، أليس في هذا الحوار بين معاوية وتلميذ سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه ، صعصعة بن صوحان ما يدل على أن أمير المؤمنين سيّدنا عليّاً رضي الله عنه كانت له مدرسة ، تخرج البطولة والأبطال ، واللغة والتعبير والخطابة والتأديب وتتأثر بأفكار أستاذها سيّدنا عليّ ، بعلمه وشجاعته ، والثبات على الحق وقول الصدق وتتبع خطواته وإشاراته وتنفعل بشخصيته، وتكون سخية كل كمي أبيّ شجاعٍ لا ينحوف، ولا يهاب المنايا ؟ أجل ونعم.

وقصة صعصعة هذه ، تعطينا درساً عالياً ومجداً سامياً على مر الزمن من صفحات الماضي، في الصدق وتأدية الأمانة على أكمل وجهه، وأتمّ عهد بلا خوفٍ ولا وجلٍ مهما بعدت الشقة ، وامتدت المسافات، وحصل الخوف.

---

[1] أي ليست صفات المجد هذه لقوم بني عبد شمس (الذين منهم بني أمية).

مفاخرةُ سيِّدِنا عليٍّ لمّا كتبَ لهُ معاويةُ مُفاخِرًا

كتب معاويةُ بن أبي سفيان إلى سيِّدنا الإمام عليٍّ ما يلي:

(يا أبا الحسن ، إن لي فضائل كثيرة ، كان أبي سيّداً في الجاهلية وصرتُ ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخال المؤمنين ، وكاتبُ الوحي) فقال سيّدُنا الإمام علي : (بالفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتبْ يا غُلام:

محمّد النبيُّ أخي وصهري ... وحمزةُ سيّد الشُّهداءِ عمّي

وجعفرُ الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابنُ أُمّي

وبنتُ محمّدٍ سكَني وعِرسي ... مسوطٌ لحمها بدمي ولَحْمي

وسبطا أحمدٍ وَلَداي منها ... فأيُّكمُ لهُ سهمٌ كسَهْمي

سبقتُكمُ إلى الإسلامِ طُرّاً ... صغيراً ما بلغتُ أوانَ حُلْمي[1]

قال معاويةُ لمّا وصله هذا الجواب : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى عليِّ بنِ أبي طالب ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ عليّاً ينشد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نسبي ... معه رُبيتُ وسبطاه هُما ولدي

جدّي وجدّ رسولِ الله منفرد ... وفاطمُ زَوْجَتي لاقَوْلَ ذي فَنَدِ

صدّقتُهُ وجميعُ النّاسِ في بُهَمٍ ... من الضّلالة والإشْراكِ والنّكَدِ

فالحمدُ لله شكراً لا شريكَ لهُ ... البَرّ بالعَبْدِ والباقي بِلا أَمَدِ

---

[1] انظر كتاب البداية والنهاية لابن الأثير المؤرخ الكبير في الجزء الثامن صحيفة /٨/ عن أبي عبيدة

قال جابرٌ : فتبسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال:
(صدقْتَ يا عليُّ) ، ودعا لهُ بالخير.

شجاعةُ سيِّدِنا عليٍّ كرّمَ اللهُ وَجْهَهُ

نال سيّدُنا عي من البطولة أعلاها ومن الشجاعة أسماها، وكاد أن لا يشاركه فيها أحد من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فهو الشجاع بلا مِراء ، ما ارتاع [1] من كتيبةٍ ، ولا بارز أحداً إلا قتله ولا صارع إنسانا إلا غلبه، امتاز بشجاعة القلب وقوّةِ العزم ، ومضاء الإرادة والعزيمة ، فأكبرتْهُ النفوس، وعظّمته الأقران وقد شهد الغزوات كلّها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا غزوة (تبوك) [2] فقد خلّفَهُ صلى الله عليه وآله وسلم على أهله حين خرج لقتال الروم في جيش جرّارٍ، فأرجف المنافقون بعليٍّ بن أبي طالبٍ وقالوا ما خلّفَهُ إلا استثقالا له ، وتخفّفاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون ، أخذ عليٌّ سلاحه ثم خرج ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالجرف ، فقال : يا نبيَّ الله زعمَ المنافقون أنك خلفتني لأنك استثقلتني وتخفّفْتَ مني ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كذبوا ، ولكنّي إنما خلفتك لما ورائي ، فارجعْ فاخلفْني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فرجع عليٌّ إلى المدينة،وها هو عليٌّ في غزوةٍ (بدر) يبرز إلى

---

[1] ارتاع : خاف

[2] تبوك : موقع بين وادي القرى والشام بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشر مرحلة ، وبينه وبين دمشق إحدى عشر مرحلة ، وهي غزو العسرة ، خلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أهله ، فأطاع أمره ، كما صرح بذلك العلامة محمد الخضري في كتابه محاضرات الأمم الإسلامية ج٢ ص ٥٠ .

الميدان، فيصرع صناديد قريش : (الوليد بن عتبة) ثم أجهز على (عتبة ابن الربيع) وها هو في غزوة الخندق يبرز وينازل (عمرو بن ودّ) فارس العرب المعروف حينما نادى عمرو : من يبارز فلم يجبه أحد من المسلمين.

فقام عليٌّ فقال: أنا يا نبيَّ الله ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، اجلسْ إنّهُ عمرو بن ودّ ، فنادى عمرو الثانية ، وجعل يوبّخُ المسلمين ويقول:

أين جنّتُكم التي تزعمون إن من قتل منكم دخلها؟ فلم يجبه أحد من المسلمين وقام عليٌّ فقال : أنا له يا رسول الله فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم اجلس إنه عمرو بن ودّ، فنادى عمرو الثالثة، فلم يجبه أحد من المسلمين ، فقام عليٌّ فقال: أنا له يا رسول الله ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : إنه عمرو ، فقال علي : وإن كان عمرًا يا رسول الله :

فأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ في الخروج إليه ، فلما رآه عمرو قال له : من أنت ؟ قال عليٌّ ، فقال عمرو : ابن أبي طالبٍ؟ قال: نعم ، فقال عمرو : غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أشدُّ منك، وإنّي أكره أن أهريق دمَكَ، فقال عليٌّ: وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك، فلما سمع عمرو هذا منه غضب، وكان راكباً فرسه، وعليٌّ واقف على قدميه، فقال له عليٌّ : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معي، فاقتحم عمرو عن فرسه، وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، فعقر فرسه وضرب وجهه، وأتى إلى عليٍّ ، فاستقبله علي بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبتت فيها السيف، وأصاب رأس عليٍّ فشجه ، فضربه عليٌّ على حبل عنقه، فسقط قتيلاً ، فكبّرَ المسلمون فرحاً بقتله ، ورجع عليٌّ إلى النبيِّ صلّى الله

عليه وآله وسلّم وهو متهلِّلُ الوجه ، فقال له : كيف وجدت نفسك معه؟ قال: وجدته لو كان أهل المدينة في جانبٍ ، لقدرت عليهم . [1]

وها هو عليٌّ في غزوة خيبر ، وكان لليهود بها حصونٌ قويّة فحاصرهم المسلمون أياماً ، لا ينالون منها شيئاً ، إلى أن قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : سأُعطي الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّانِه، فبات المهاجرون والأنصار يتمنّونها ، فلما كان الغد سأل عن عليّ فقيل له: إنه أرمد، فدعا به فتفل في عينيه فشفيت لوقتها، ثم أعطاه الراية ففتح الله بها على يديه تلك الحصون الحصينة . [2]

قال جابرٌ بن عبد الله الأنصاريُّ : حمل عليّ البابَ ــ (باب الحِصْن) ــ على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وجرّوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً) رواه ابن عساكر في تاريخه.

وسيّدنا عليّ كرّم الله وجهه هو الذي اقتلع هُبلَ وهو صنمٌ كبيرٌ كانت قريش تعبده وكان موضوعاً في أعلى الكعبة ، وكان عظيماً وثقيلَ الوزن، فأحاله عليّ إلى الأرض وأكبر دليل على شجاعته النادرة ثباته يوم الهجرة في بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليعمي عنه الأعداء ، ويؤدّي الأمانات إلى أهلها كما أمره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

---

(٢)انظر كتاب شباب قريش ج١ ص ٥١ــ٥٢ .

[2] نفس المصدر ص ٥٢.

كرمُ أخلاقِ سيّدنا عليّ وحِلْمُه وعَفْوُه

كانَ سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه ، أحلمَ الناس عن مذنبٍ، وأصفحهم عن مسيءٍ يشهد بذلك أنه ظفر يوم واقعة الجمل (بمروانَ بن الحكم) وكان أشدَّ الناس عداوة لسيّدنا عليّ ، وأشدّهم بغضاً ، فصفح عنه، وكان عبد الله ابن الزّبير يشتمه ويسبه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة ، فقال: قد أتاكم الوغد ــ أي اللئيم ــ عليٌّ بن أبي طالبٍ ، فظفر به يوم واقعة الجمل فأخذه أسيراً ، وصفح عنه ، وقال له : اذهب فلا أرينّك ولم يزده على ذلك ، وظفر بسعيد بن العاص بعد واقعة الجمل بمكة المكرمة ، وكان له عدّواً لدوداً ، فأعرض عنه ، ولم يقل له شيئاً ، وتمّتْ له الغلبة على عائشة يوم واقعة الجمل ،وكانت عاقبة أمرها معه أن جهزّها بكل ما ينبغي لها من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ ، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وقد حاربه أهلُ البصرة وسبّوه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم. ولما منع عسكر معاوية بن أبي سفيان عنه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقال رؤساء الشام له ، لنقتلكم بالعطش كما قتلتم عثمان عطشاً ، وسألهم سيّدنا عليّ وأصحابه أن يسوّغوا له شرب الماء، فقالوا لا والله ولا قطرة واحدة حتى تموت ظماً ، كما مات عثمان بن عفّان . فلما رأى سيّدنا عليّ أن الموت لا محالة منه، تقدّم بأصحابه ، وهجم على عسكر معاوية بحملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتلٍ ذريع، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحابُ معاوية في الفلاة بلا ماء فقال له أصحابه وشيعته : امنعْهم الماء يا أميرَ المؤمنين كما منعوك ولا تسقِهمْ قطرةً، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب:

فقال سيّدنا علي رضي الله عنه : لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك.

تواضعه رضي الله عنه

كان يواسي الضعفاء ، ويجالس الفقراء، ويكسي اليتامى ويسلعدهم وكان يشتري طعامه بنفسه ويحمله إلى بيته، فإذا أراد أحد من أتباعه أن يحمله عنه، قال: أبو العيال أحق بحمله ، ومن تواضعه حكى سيّدنا عليّ رضي الله عنه ، عن نفسه قال جعت بالمدينة جوعاً شديداً ، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة [1] ، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً ، حصىً ــ فظننتها تريد بلّه لتعمله طيناً ، وهي في حاجة إليه ؟ فأتيتها فعاطيتها ــ أي شارطتها للعمل ــ كل دلو بتمرة ، فقبلت فرددت لها ستة عشر ذنوبياً ــ دلواً ــ حتى مجلت يدي ــ أي تعبت وكلت ــ ثم أتيتها فقلت: بكلتا يدي هكذا بين يديها ، وبسط يديه جميعاً ، فعدّتْ لي ست عشرة تمرة ، فأتيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته، فأكل معي، وقال لي خيراً، ودعا لي.

فانظروا يا إخواني القرّاء ، إلى أي حدّ كان تواضع سيّدنا عليّ رضي الله عنه حتى اشتغل للمرأة بالأجر ، وكيف رضي الله عنه ولم يعتمد على أحد في الحصول على التمر منها ، لعلمه رضي الله عنه أن الإنسان ينبغي ألا يأكل إلا من تعب كفّه وعرق جبينه ــ واليد العليا خير من اليد السفلى ــ وعلى كل إنسان أن يجدّ ويجتهد في العمل للحصول على نفقاته .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (إن الله يعطي العبد على قدر همّته ونهمته) رواه مؤلف الأخلاق والواجبات الشيخ عبد القادر المغربي.

---

[1] عوالي المدينة : بينها وبين المدينة أربعة أميال (معجم البلدان) . ياقوت الحموي.

عِبادةُ سيّدِنا عليٍّ وتقواهُ للّهِ تعالى

كان سيّدنا عليّ رضي الله عنه أول من آمن من الصبيان ، فلم يتورَّط فيما تورَّطت به قريش من العكوف على عبادة الأوثان ولم يسجد لصنمٍ قطّ ، ولم يتلوّثْ بها أبداً ، ولذا يقال عنه (كرّم الله وجهه) كما تقدم، وأقبل على عبادة الله تبارك وتعالى بقلبٍ مليء إيماناً وثقةً بربّه ، فكان إماماً في العبادة ، والورع والتقوى وفي ذلك قال المرحوم الشيخ محمّد عبد المطّلب في قصيدته [1]:

ونفساً لم تـذُقْ طعمَ المنايا ... ولا لـذّت مـن الدنيا طعاما
غذاها الدينُ مذ كانتْ فشبّتْ ... على التقوى رضاعاً وانفطاما
ونشّأها على كرمٍ وأيْدٍ ... وصاغ من الجلالِ لها قواما
زكتْ فسمتْ عن الدنيا طِلاباً ... وأضْنى حبُّها قوماً وتاما[2]
طوى عنها على الضرّاءِ كشحاً ... وعافَ نُضارَها تِبْراً وساما[3]

ومما يدلُّ على إخلاصه وعبادته المملوءة بالخوف تارةً ، والرجاء أخرى ما ذكره الشيخ علي محفوظ في كتاب هداية المرشدين [4] قوله:

قال سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه وقد سلّم من صلاة الصبح ــ أي الفجر ــ وقد علته كآبة وهو يقلب يده : لقد رأيت أصحاب محمد صلّى الله عليه

---

[1] انظر أحسن القصص ج٣ ص ١٩٩.

[2] تيمه.شاقه واستعبده حباً .

[3] النضار : الذهب .

[4] في ج١ ص ٢٢٦.

وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شُعْثاً صُفْراً غُبْراً ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سُجَّداً وقِياماً ، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله تعالى ، فمادوا كما يميدُ الشجر في يوم الريح ، وهملتْ أعينهم [1] بالدموع، حتى تبلّ ثيابهم ، والله كأني بالقوم غافلين ، ثم قام ، فما رئيَ بعد ذلك ضاحكاً ، حتى ضربه ابنُ مُلْجَم.

هكذا كان الإمام ، يبيت في الليل ساجِداً وقائِماً بين يدي مولاه يتلو كتابه، ويعلّمُ الناس العبادةَ والإخلاص ، رضي الله عنه وأرضاهُ.

زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كان رضي الله عنه سيّدَ الزهّاد في الدنيا ، الجانحين عن الاغترار بزخارفها ، والانخداع بباطلها، وكان أخشنَ الناس مأكلاً وملبساً ، طلّق الدنيا ثلاثاً كما قال مُخاطباً لها : (غرّي غيري فقد بِنْتُكِ ثلاثاً) ــ أي طلّقتك ثلاثاً ــ وكان الأموال تجيء إليه من جميع بلاد الإسلام .

حدّث أبو حازم قائلاً : حدّثني الأصمعيّ : لما أُتي سيّدنا علي عليه السلام بالمال، أقعد الوزّان والنقّاد بين يديه ، فكوّم كومةً من ذهبٍ وكومةٍ من فضّةٍ ، وقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي ، وغرّي غيري، وأنشد:

هذا جنايَ وخيارُه فيهِ ... إذ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيهِ

---

[1] هملت أعينهم : فاضت بالدمع.

يظهر زهده وورعه في خطبته القيّمة البليغة ، التي حفظها لنا ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في الجزء الثامن الصحيفة السابعة حيث قال: عن أوفى ابنِ دلهم قال : خطب عليٌّ فقال:

(أما بعد : فإنّ الدنيا قد أدبرت ، وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم ، وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيامٍ وأملٍ من ورائه أجلٌ ، فمن قصّر في أيام أمله قبل حضور أجله ، فقد خاب عمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها وإنه من لم ينفعه الحقّ ضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى ، حاد به الضلال ، ألا وإنّكم قد أمرتم بالظعن ، وذللتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنّما الدنيا عرضٌ حاضر، يأكل منها البرّ والفاجر ، وإن الآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسعٌ عليم ، أيُّها الناس أحسنوا في أعماركم ، تحفّظوا في أعقابكم ،فإنّ الله وعد جنته من أطاعه ، وأوعد ناره من عصاه، إنها نارٌ لا يهدأ زفيرها ، ولا يفكّ أسيرها ، ولا يجبر كسيرها، حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإنّ أخوف ما أخاف عليكم ، اتّباع الهوى، وطول الأمل ، وإنّ طول الأمل ، يُنسي الآخرة.) أ.هـ.

رأيُ سيّدنا الإمامِ وتدبيرُه رضي اللهُ عنهُ

كان رضيَ الله عنه ، من أحسن الناس رأياً ، وأصحّهم تدبيراً، يفزع إلى مشورته الخلفاء إذا أشكل عليهم الأمر ، أما ترى أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وقد عزم أن يتوجّه بنفسه لغزو الفرس، وقد استشار عمر سيّدنا الإمام عليّاً رضي الله عنه ، لما يعرفه من حصافة

رأيه وتقوب فكره، فأشار عليه ، بالرأي السديد، وكان ما قاله له : (إنّ هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرةٍ ولا قلةٍ ، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعدّه وأمدّه ، حتى بلغ ما بلغ وطلع حينما طلع، ونحن على موعد من الله تعالى ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب) وسيّدنا الإمام عليّ ، هو الذي أشار على عثمان بن عفّان بأمور كان فيها خلاصه، ولو قبلها لم يحدث له ما حدث.

سياسة سيّدنا عليّ رضي الله عنه

كان سيّدنا الإمام عليّ صلباً في الحقّ ، لا تلين قناته هوادةً ، ولا تأخذه فيها مراعاة وهو يربأ بنفسه أن يستهوي الأفئدة بالمداجاة والمقاربة وبذل العطاء من بيت مال المسلمين، خوفاً من ربّ العالمين واطمئنان ضميره، لا كما كان يفعل سواه لأنه يرى في حيدته عن خطته تلك تنكباً عن منهاج الشرع القويم ، وانتقاصاً لدينه وكان من جراء ذلك، أن انفضّ من حوله أمسّ الناس رحماً به، كأخيه عقيل ، وابن عمه عبد الله بن عبّاس، وكان مسلكه ذلك أحد أسباب إخفاقه ، وأذكر للقراء مثلاً على ذلك. رووا أن عقيلاً لزمه ديْنٌ ، فقدم على سيّدنا علي في الكوفة فأنزله، وأمر ابنه الحسن رضي الله عنه فكساه، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا هو خبز وملح وبقل ، فقال عقيل: ما هو إلا ما أرى ؟ قال: لا، قال: فتقضي ديني، قال : وكم دينك ؟ قال: أربعون ألفاً ، قال:ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك ، فقال عقيل : بيوت المال عندك وأنت تسوفني في عطائك ؟ قال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال

المسلمين ، وقد ائتمنوني عليها قال: فإني آتٍ معاوية ــ فأذن لــه ، فــأتى معاوية ــ وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة.
غاضَبَ عقيلٌ أخاه سيّدنا عليّاً ، وهجرَهُ إلى معاويــة ، فأكرمــه معاويــةُ وقرّبه ، وقضى حوائجه، وأدّى عنه دينه، وقد قال له معاوية يوماً : هــذا أبو يزيد ، لولا أنه علم أني خيرٌ له من أخيه ، لما أقامَ عندنا وتركه، فقــال له عقيلٌ : أخي خيرٌ لي في ديني ، وأنت خيرٌ لي في دنياي ، وقد آثــرتُ دنياي، أسأل الله خاتمة خير، وقال له معاوية : أبا يزيد ، أنا لك خير مــن أخيك علي قال: صدقت ، إن أخي آثر دينه على دنياه، وأنت آثرت دنيــاك على دينك ، فأنت خير من أخي وأخي خير لنفسه منك .[1]

الإمامُ سيِّدُنا عليٌّ رضيَ اللهُ عَنْهُ أمامَ القضاءِ مَعَ النصرانيِّ

جاء في كتابِ البداية والنهاية لابن كثير في الجزء الثامن الصحيفة الرابعة قوله:
عن جابر الجعفيّ عن الشعبيّ قال: وجد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه درعَهُ عند رجلٍ نصرانيٍّ فأقبل به إلى شُرَيحٍ القــاضي يخاصمــه وقــال فجاء عليّ حتى جلس جنب شُريح وقال: يا شُريح لو كان خصمي مســلما ما جلستُ إلا معه ، ولكنه نصرانيّ وقد قال رسول الله صلّــى الله عليــه وسلّم (إذا كنتم وإيّاهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه ، وصغّروهــم بهم كما صغّر الله بهم من غير أن تطغوا) ثم قال : هذا الدرع درعي ولــم أبع ولم أهب فقال شُرَيْح للنصرانيّ : ما تقولُ فيما يقولُ أميرُ المؤمنيــن

---

(١)انظر أحسن القصص ــ الخلفاء الراشدون ج٣ ص ٢٠١.

فقال النصراني : ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عنـــدي بكـــاذبٍ، فالتفت شريح إلى عليّ فقال: هل من بيِّنةٍ ؟ فضحك علي وقـــال: أصـــاب شريح ، وما لي بينة ، فقضى بـــها شـــريح للنصرانـــي ، قـــال : فـــأخذه النصراني ومشى خطا ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبيـــاء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه الذي يقضي عليه فأشهد أن لا إلـــه إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمـــير المؤمنيـــن ، اتّبعت الجيش وأنت منطلقٌ إلى صفين فخرجت من بعيرك الأزرق ، فقـــال عليٌّ : أما إذا أسلمت فهي لك وحمله على فرس، قال الشـــعبي: فـــأخبرني من رآه ــ للرجل ــ أنه يقاتل الخوارج يوم النهروان).

مُداعبةٌ صحيحةٌ على يد الإمام سيّدنا عليّ كرَّم الله وَجهَهُ

ذكر ابن الجوزي في كتابه أخبار الظرّاف والمتمـــاجنين ص ١٨ قوله:

(عن عبد الله بن عاصم بن المنذر قال: تزوج عبد الله بـــن أبـــي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت حسناء ذات خُلُـــق بارع، فشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها فطلقها وقال:

ولم أر مثلي طلّق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرمٍ تطلّق

فرق له أبوه، وأمره فراجعها، ثم شهد مع رســـول الله صلّـــى الله عليه وسلّم غزاة الطائف فأصابه سهم فمات منه، فقالت عاتكة:

رُزئتُ بخير الناس بعـــد نبيّـــهم وبعد أبي بكر ومن كـــان قصّـــيرا

وأليتُ لا تنفـــكُّ عينـــي حزينـــة عليـــك ولا ينفـــك جلـــدي أغـــبرا

فلله عيناً مـــن رأى مثلـــه فتـــىً أكرّ وأحمى في الـــهياج وأصـــبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضـــــها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمـرا

ثم تزوّجها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بعد مضـــي عدتــها، فأولم وكان فيمن دعاه سيدنا الإمام عليّاً رضي الله عنه ، فقال سيدنا الإمــام عليّ كرم الله وجهه:

يا أمير المؤمنين، دعني أكلِّم عاتكة ، فقال عمر: كلِّمْها،فأخذ سـيدنا الإمام عليّ بجانب الخدر ثم قال: يا عدية:

وآليت لا تنفك عيني قريرةً عليك ولا ينفكُّ جلدي أصفرا (أغبرا)

فبكت ، فقال عمر : ما دعاكَ إلى هذا ؟ كلُّ النساء يفعلن هذا.

ويظهر لنا أيها السادة القرّاء، أن سيّدنا الإمام أراد المداعبة الحقّـة، فذكّر عاتكة بقولها ، وأبدل كلمتها جلدي أغبرا، بقوله: جلدي أصغرا قصداً منه ، المداعبة الصحيحة، والذكرى الحسنة ، والله تعالى أعلم ،ورضي الله عنه وعنها، وأسكن الجميع في جنّاتِ النعيم.

حضورُ ذكاءِ الإمامِ سيّدنا عليٍّ في الجَواب

ذكر الحافظ العلّامةُ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابــه (أخبار الظراف المتماجنين) ص ١٩ قوله:

(قال يهودي لأمير المؤمنين سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه: ما دفنتم نبيّكم حتى قالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ، فقال له سيّدنا عليّ كرّم الله وجهــه: (أنتم ما جفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا إلهاً ، فسكت اليـــهوديُّ وبُهِت) .

كرمُ سيّدِنا عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ وإحْسانُهُ

عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: صلّيتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحدٌ شيئاً ، فرفع السائل يديه إلى السماء، وقال اللهم اشهد ، إني سألتُ في مسجد نبيّك محمد صلّى الله عليه وسلّم فلم يعطني أحدٌ شيئاً وكان عليّ رضي الله عنه في الصلاة راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وفيه خاتم من الفضة ، فأقبل السائل ، فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو في المسجد ، فرفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفه إلى السماء وقال: (اللهمّ إن أخي موسى سألك فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾[1])

فأنزلتَ عليه قرآناً : ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [2]

اللهمّ إنّي محمد نبيّك وصفيّك ، اللهمّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي ، عليّاً أشدُّ به ظهري.

---

[1] الآيات (٢٥-٣٢) من سورة طه.

[2] الآية /٣٥/ من سورة القصص.

قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه : فما استتم دعاءه ، حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عزّ وجل ، وقال: يا محمّدُ اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1]

وقد نقل أبو إسحاق أحمد البقليّ في تفسير هذه الرواية [2].

ونقل الواحديّ في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان مع عليّ رضي الله عنه أربعةُ دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً ، وبدرهمٍ نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانيةً، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [3]

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال : لما نزلتْ هذه الآيةُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

[1] الآية /٥٥/ من سورة المائدة.

[2] انظر (الخلفاء الراشدين) ج٣ ص ٢٠٢.

[3] الآية /٢٧٤/ من سورة البقرة.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[1] قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعليّ : أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غِضاباً مقمحين.[2]

مِنْ فضائِلِهِ كرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

يكفي سيّدنا عليّاً من الفضل : مشاهده التي شهدها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد جرح في سبيل الله يوم أُحد ستة عشر جرحاً [3] ، وقد اتخذه الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخاه حينما آخى بين الأنصار والمهاجرين ، ويكفيه رضي الله عنه سبقُه للإسلام وقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم فيه يوم غزوة خيبر : (لأعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله) ، وقد أعطاها لسيّدنا عليّ رضي الله عنه، ففتح الحصون الخيبريّة ، وتم ذلك على يديه ، وقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (من كنتُ مولاه ، فعليٌّ مولاه) ، وقد قال فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم مخاطباً له : (أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، ولكن لا نبيَّ بعدي) . ويكفيه فخراً كرّم الله وجهه ، نيله شهادة الاختصاص في القضاء ومعرفةُ القضاء الحقِّ ، حيث قال عليه الصلاّة والسلام : (أقضاكم عليٌّ) ويكفيه فخراً أنّهُ أغنى الفقراء

---

[1] الآية /٧/ من سورة البينة.

[2] مقمحون : أي رافعوارؤوسهم ذلاً مع غضّ أبصارهم إلى الأسفل.

[3] انظر كتاب إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى ، وفضائل أهل بيته الطاهرين ، للعلامة الشيخ محمد الصبان بها من كتاب مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتذار للحمزاوي ص١٤١.

والمساكين والمحتاجين فقد كان يوزّعُ بيت المال في كل أسبوع ، حتى يُغنّي الشعب من ذلّ السؤال ، ويقضي على التسوُّل والاستجداء والجوع، ومن تشجيعه لإحقاق الحقّ ، وثبوت العدل في الأحكام ، ما روى عنه أنه كرّم الله وجهه حاكم نصرانيّاً في درع إلى شُريح القاضي ، فقال شُريح لعلي : ألكَ بيّنة فقال سيّدُنا عليٌّ : لا ، وهو يبتسم ، فأخذ النصرانيُّ الدرع ، ومشى يسيراً ، ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام أنبياء فأسلم وحسن إسلامه ، واعترف بسقوط الدرع من علي ، ففرح سيّدُنا بإسلامه ووهبه الدرع وفرساً وشهد معه قتال الخوارج ، وقد قتل ، وحمل سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه ، سلعته في يده كما مرَّ سابقاً [1] .

جمعُ سيّدنا عليٍّ للقرآن الكريم

روى أبو نعيم في حليته [2] : أن سيّدنا عليّاً رضي الله عنه قال : لمّا قُبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أقسمتُ أو حلفتُ ــ أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين ، فما وضعتُ ردائي عن ظهري حتى جمعتُ القرآن .

لذا قال الإمام سيدنا عليّ رضي الله عنه : والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمتُ فيم أنزلتْ، وأينَ نزلتْ ، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً .

وقال عمّارُ بن ياسر رضي الله عنه : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا عليّ إنّ الله قد زيّنك بزينةٍ ، لم تزيّن العباد بزينةٍ أحبّ إلى

---

[1] أنظر هذه الآثار والقصة عن سيدنا الإمام أبي الحسن رضي الله عنه في تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٥٠.

(٢)هذه الروايات عن الحلية ج١ ص ٦٧ ــ ٧١.

الله تعالى منها ، هي زينة الأبرار عند الله عزّ وجل ، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون لك إماماً .

حِفْظُهُ رضيَ اللهُ عَنْهُ للحديثِ الشَّريفِ

كان رضي الله عنه يحفظُ القرآنَ الكريمَ كما تقدّم ، وفوق ذلك كان يحفظ المئات من أحاديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد جاء في كتاب (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) ج٤ ص ٦٢٤ وروى ــ أي سيدنا عليّ رضي الله عنه ــ خمسمائة وسبعة وثلاثين حديث ــ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٥٣٧) حديثاً .

وقال أبو نعيم الأصفهاني : أُسند أربعمائة حديث ونيّفاً من المتون سوى الطرق، وقال البرقي : الذي حفظ لنا عنه نحو مائتي حديث روي عنه في الصحيحين أربعة وأربعون حديثاً ، اتفقا على عشرين منها وانفرد البخاري بتسعةٍ ومسلم بخمسة عشر.

لقد تبيّن لنا بكلّ جلاء ووضوحٍ ، غزارةُ علم سيّدنا عليّ المستقاة من النبع الصافي النبويّ ومن المدرسة التي تربّى فيها ونشأ في دار سيّدنا محمدٍ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولذا يجب علينا أن ننهلَ من هذا السبيل العذب الفيّاض ونقتبس من هذا المعين الزاخر ونأخذ من علم الإمام وفتاويه النافعة ، ودروسه السامية ، ونتنوّر بتوجيهاته وما أفتى به، ونحنُ نسجّلُ ما لذّ لنا وطاب، وما ثبت لدينا عن طريق العلم الصحيح، والرواية الموثوقة وعند العلماء الأعلام ، ومن الله العناية والتوفيق والقبول.

قصّةٌ طريفةٌ نزلَ بِها القرآنُ الكريمُ بحقِّ سيّدنا عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ

ألّم بسيّدنا عليّ رضي الله عنه وأهله جوعٌ ، فأخذ من يهوديٍّ صوفاً ، لتغزله السيدة فاطمة الزهراء زوجته ــ بالأجرة ثم اشترى بأجرها ثلاثة أقداح من الشعير ، وفي يومٍ طحنوا قدحاً وخبزوه أقراصاً، ومن عادة العرب أن يطحنوا ويخبزوا في ساعة واحدة ، فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ، أنا مسكين من مساكين أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، أطعِموني شيئاً لله تعالى فأعطوه الأقراص ، وفي ثاني يوم جاءهم يتيم وقال مثل ذلك ، وفي ثالث يوم جاءهم أسير وقال لهم مثل ذلك أيضاً ثم باتوا على الماء ــ أي لم يأكلوا شيئاً ــ بل كانوا يشربون الماءَ فقط ، فجاع سيّدنا الحسن والحسين جوعاً شديداً ، فخرج سيّدنا علي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأخبره بذلك فأعطاه سلّة وقال له : اذهب بها إلى تلك النخلة فرزقهم الله تعالى رُطَباً جنياً ، فأكلوا حتى شبعوا، وفيهم يقول الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)﴾ [1]

فهكذا يكون الإحسان والعمل لبني الإنسان ، توصّلاً لرضى الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [2] .

---

[1] الآية /٨/ من سورة الإنسان.

[2] الآية /٩/ من سورة الحشر.

لذا قال المرحوم الشيخ محمّد عبد المطّلب في قصيدتِه:

على حبِّ الطعـــامِ يصـــدُّ عنـــهُ ... ليطعمـــه الأرامـــلَ واليتـــامى
سلِ القـــرآنَ أو جـــبريلَ تعلـــمْ ... مكارمَ لـــن تبيـــدَ ولـــن تُرامـــا
مـــن الأبـــرارِ يغتبقـــون كأســـاً ... من الرضوان مترعةً وَجامـــا[1]
علـــيٌّ والبتـــولُ وكوكبـــاه ... ضياءُ الأرضِ إن أفقٌ أغامـــا[2]
ثنـــاءٌ فـــي الكتـــابِ لـــهُ عبـــيرٌ ... تُفصِّرُ عنه أرواحُ الخُزامـــى[3]

مِنْ غُرَرِ فتاويهِ النافعةِ رضيَ اللهُ عنهُ

لا جدالَ في غزارة علم الإمام ، وشدّة ذكائه وانتباهه للمسائل وما يجد في مصالح الأمة ، ويشهد لذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم الـــذي رواه الترمذي : (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها).

كما تشهد آثاره من وعظ وخطب ونثر ونظم ، وبدائع وحكم كلّها مشـــهورة ومنشورة بين الأمم ، مثل نهج البلاغة وغيره.

وكان رضي الله عنه أبرعَ الصحابة في علوم الدين، إماماً ثبتا فـــي الفقه والتفسير ، حجّة قوية في الفتاوى، يكفي قول عمر بن الخطاب فيـــه: (لولا عليّ لهلك عمر) .

وإليك بعضَ فتاويه: الرجل وعمر بن الخطـــاب ومقالـــه : أوّلاً : روي أن رجلاً أتي به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد صدر منـــه أن قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحتَ ،قـــال: أصبحـــتُ أُحِـــبُّ

---

[1] كأس الفضة.

[2] كان ذا غيم.

[3] الخزامي : نبت طيب الرائحة.

الفتنة، وأكره الحق ، وأصدّق اليهود والنصارى ، وأومن بمـــن لا أرى ، وأقر بما لم يُخلق ؛ فأرسل عمرُ إلى علي رضي الله عنهما ، فلمـــا جـــاءه وأخبره بمقالة الرجل ، فقال سيدنا علي : صدق ..

١ــ يحب الفتنة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [١].

٢ــ ويكره الحق ، يعني الموت ، لقولـــه تعـــالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [٢]

٣ــ ويصدق اليهود والنصـــارى لقولـــه تعـــالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [٣].

٤ــ ويؤمن بما لم يره ، يعني قيام الساعة .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أعوذ بالله من فضلة ليس لـــها إلا علي .

علم سيدنا الإمام علي وأقوال العلماء فيه

علمُ سيدنا علي رضي الله عنه لا يحتاج إلى دليل أو إقامة برهـان، فهو مشهور بالبلاغة والحكمة ، ويكفي شهادة رسول الله صلَّـــى الله عليـــه وآله وسلَّم فيه حينما قال : (أنت مني وأنا منك [٤]).

---

[١] من سورة التغابن آية /١٥/ .

[٢] من سورة ق آية /٢١/.

[٣] من سورة البقرة آية /١١٣/.

[٤] مفتي الديار المصرية كتاب فتاوى شرعية وبحوث إسلامية ج١ص١٠.

وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه :" توفي رسول الله صلَّـــى الله عليه وآله وسلَّم وهو عنه راضٍ ".

وقد أطلع السادة القراء على دُرر أقواله ، وشدة ذكائه في فتاويه الشـــرعية الصحيحة ، وعلى حكمه البليغة التي هي مطلب العلماء ، ومهوى الأدبـــاء، والتي هي أبرزُ العلوم وخلاصتها ، فقد كان رضي الله عنه بحراً زخـــاراً بالعلوم ، وله أقضية وفتاوى أضحت مضربَ الأمثال عند العلماء ، ولـــذا قال بعض الصحابة الكرام { قضية ولا أبا الحسن لها } .

روي عن سيدنا الإمام أنه قال : " سلوني ، فوالله لا تسألوني عـــن شـــيء يكون إلى يوم القيامة ، إلا حدثتكم به ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله مـــا فيه آية إلا وأنا أعلم بها ، أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم بسهلٍ نزلت أم بجبـــل، فقام ابن الكوّاء فقال : أفرأيت البيت المعمور ما هو ؟ قـــال : هـــو ذلـــك الضراح فوق سبع سموات ، تحت العرش ، يدخله كل يوم ســـبعون ألـــف ملكٍ لا يعودون إليه أبداً إلى يوم القيامة [1]

حُكمهُ وقضاؤه في بقرة قتلت حماراً

بما أني ذكرت للقراء الكرام استفتاء عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه له ، في قصة الرجل وقد أجاب عنها الإمام علـــي رضـــي الله عنـــه وشرحها شرح كاملاً ، أرى لزاماً عليَّ أن اذكر كلمة عن حُكمه وقضائـــه رضي الله عنه .

فهو يحدثنا عن نفسه ويقول : "بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وســـلَّم إلى اليمن فقلت : يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينـــهم ، ولا أدري ما القضاء ، فضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على صدري ثـــم

---

[1] انظر كتاب الدين والحرم للدكتور عباس كرارة ص٢٨.

قال : (اللهم اهدِ قلبه ، وثبّتْ لسانَهُ) ، فوالذي فلق الحبّة ــ وهو الله مـــا شككتُ في قضاء بين اثنين [1]" .

وقال بحقّهِ رسول الله صلّى الله عليه وآله وســـلّم : (أقضـــاكم علـــيٌّ). والسبب في ذلك ، ما روي أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كـــان جالساً مع جماعة من الصحابة ، فجاء خصمان ، فقال أحدهما : يا رســول الله إنّ لي حماراً ، وإنّ له بقرةً ، وإنّ بقرته قتلت حماري ، فبدأ رجل مـن الحاضرين فقال : لا ضمانَ على البهائم . فقال رسول الله صلّى الله عليـــه وآله وسلّم : (اقضِ بينهما يا عليُّ)، فقال عليٌّ لهما : " هل كانا مرسـلين أم مشدودين ؟ أم أحدهما مشدود والآخر مرسل ؟ ، فقالا : كـــان الحمـــار مشدوداً ، والبقرة مرسلة ، وصاحبها معها ، فقال علـــيّ: علـــى صـــاحب البقرة ضمانُ الحمار " فأقرّ النبي صلّى الله عليـــه وآلـــه وســـلّم حُكْمَـــه ، وأمضى قَضاءَهُ .

إفتاؤُه بمن شربَ خَمْراً ولا يعلمُ بتحريمِها

ومن إفتائه في رجلٍ رُفعَ لأبي بكرٍ وقد شربَ الخمر، فـــأراد أبـــو بكر رضي الله عنه أن يقيم عليه الحدَّ ، ولما همَّ بإقامة الحدّ عليـــه ، قـــال الرجل : إني شربتها ولا علم لي بتحريمـــها ، لأنـــي نشـــأت بيـــن قـــوم يستحلّونها ، ولم أعلم بتحريمِها حتى الآن ، فأُرتج على أبي بكـــر الأمـــر بالحكمِ عليه ، فأشار بعض الصحابة أن ابعث بسؤالِ سيدنا عليّ عن ذلـك، فأرسل إليه من سأله ، فقال سيِّدُنا عليٌّ: مُرْ رجلينِ تقيّينِ مـــن المســـلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار يناشدانهم ، هل فيهم أحدٌ تـلا أمامه آية التحريم ؟ أو أخبره بذلك عن رسول الله صلّى الله عليـــه وآلـــه

---

[1] انظر كتاب أحسن القصص (الخلفاء الراشدون ج٣ ص ٢٢٧.

وسلم؟ ، فإن شهدَ بذلك رجلان فأقمْ عليه الحد ، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستتبْهُ وخلِّ سبيله[1] ".

فَتْواهُ في تفسيرِ قولهِ تعالى وفاكهةً وأَبّا

روى الجاحظُ وهو في تفسير الثعلبي ، أن أبا بكرٍ سُئل عن قوله تعالى: ﴿ وفاكهةً وأبّا ﴾[2] فقال أبو بكر: أيّة سماء تظلني ، وأيّة أرض تقلّني ، أم أين أذهب أم كيف أصنع ؟ إذا قلت في كتاب الله بما لم أعلم ، فأما الفاكهة ، فأعرفها ، وأما الأبّ فالله أعلم ؟؟؟.

وقد بلغ ذلك سيدنا عليا رضي الله عنه فقال : إن الأبَّ هو الكلأ والمرعى، وإن قوله تعالى : ﴿ وفاكهةً وأبّاً ﴾ اعتداد من الله تعالى على خلقه فيما غذاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم مما يحيي به أنفسهم .

إفتاؤهُ في امرأةٍ مَجْنونةٍ

رُوي أن امرأةً مجنونةً على عهد عمر رضي الله عنه، فجَرَبها رجلٌ ــ أي زنى بها ــ فقامت البيّنة عليها بذلك ، فأمر عمر بجلدها الحد، فمر بها سيدنا الإمام علي رضي الله عنه ، وقد أُخذتْ لتجلد ، والناس

---

[1] عن كتاب الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين ص١٧.

[2] من سورة عبس آية ٣١.

مجتمعون حولها، ليشهدوا جلدها ، فقال الإمام عليّ رضي الله عنه :ما بالُ مجنونة آل فلان تُعتلُّ[1] ؟ ، فقيل له : أن رجلاً فجر بها وهرب ، وقد قامت البيّنة عليها ، فأمر عمر بن الخطاب بجلدها ، فقال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: ردّوها وقولوا له : أما علمتَ أن هذه مجنونة آل فلان؟ وأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: (رُفعَ القلمُ عن ثلاثة ، عن المجنون حتى يفيق[2] ....، إنها مغلوبة على عقلها ونفسها ، فرُدّتْ إليه ، وقيل له ذلك ، فقال عمر رضي الله عنه : فرّجَ الله عن أبي الحسن ، لقد كدتُ أن أهلكَ في جُلْدِها ".

ورُوي أنه أُتِيَّ بحاملٍ قد زنتْ ، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجمها ، فقال له الإمام عليّ رضي الله عنه ، هب أن لك سبلاً عليها ، فأي سبيل لك على ما في بطنها ؟ والله تعالى يقول : وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ [3] . فقال عمر رضي الله عنه: فما أصنعُ بها ؟ فقال الإمام علي رضي الله عنه أحتفظ عليها حتى تلد ، فإذا ولدت ، ووجدتْ لولدها من يكفله ، فأقِمْ عليها الحدّ .

وجاء في كتاب ذخائر العقبي ج١ ص ٨١ ، عن مسروق أن عمر أتى بامرأة قد نُكحت في عدّتها ، ففرق بينهما ، وجعل مهرها في بيت مال المسلمين ، وقال : لا يجتمعان أبداً ، فبلغ سيّدنا علي رضي الله عنه فقال:

---

[1] تُعتلُّ : مبينة على المجهول ، أي تقادُ ، وتجرّ بعنفٍ .

[2] والحديث هذا مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ " رفع القلم عن ثلاثة (عن المجنون ــ المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ــ وعن الصبي حتى يحلم) رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود .

[3] من سورة الإسراء آية ١٥.

" إن كان جهلاً ، فلها المهرُ بما استحلَّ فرجها ، ويُفرّق بينهما ،فإذا انقضت عدتُها فهو خاطبٌ ، ولما سمع عمر ذلك رجع إلى قول سيدنا الإمام عليّ رضي الله عنه.

الإمامُ يجاوبُ ولم يقطعِ الخطبةَ

ذكر العلّامةُ الكبير الشيخ محمّد العربي التباني في كتابه " إفادة الأخيار ببراءة الأبرار ج٢ ص ١٠٥ "تحت عنوان { مسائل من علم سيّدنا عليّ رضي الله عنه }.

سأل رجلٌ يؤدي صلاة الجمعة ، وكان الإمام يخطب ، عن رجلٍ مات عن زوجة وبنتين وأبوين ، فما حصّة الزوجة ؟. فأجاب الإمام ارتجالاً بقوله صار ثُمنها من تسعة . ومضى الإمام في خطابه .

وقد حللت هذه المسألة فكانت كما قال الإمام ، للزوجة الثُمن سهم واحد وللأب سهم واحد ، وللأم سهم واحد ، ولكل بنت ثلاثة سهام ، فكان مجموع المسألة من (٩) واحد للزوجة وللبنت ٣ وللبنت الأخرى ثلاثة ، وللأب واحد ، وللأم واحد ، وقد صدق الإمام في فتواه .

شدّةُ ذكاءِ سيّدِنا الإمامِ في حلِّ مسألةٍ إرثيّةٍ ولم يُخبرْ بالورثةِ

جاءَ في كتاب المواريث في الشريعة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة للعلّامة محمّد علي الصابوني ض١٥٤ قوله : " وقعت مسألة في زمن شُريح القاضي ، وكانت المسألة في سؤال ،هو أن رجلاً مات عن زوجة وأمّ وبنتين وأخوةٍ أشقّاء وأخت شقيقة ، فحلّها القاضي شُريح ،

وأعطى للشقيقة ديناراً واحداً ، فلم ترض بذلك ، فشكت لسيدنا عليّ رضي الله عنه ،بأن القاضي شريحاً هضمها حقها فلم يعطها إلا ديناراً واحداً من ستمائة دينار ، ظناً منها أنها تستحق أكثر ، وحين رفعت شكواها لم تذكر لسيِّدنا الإمامِ صورة المسألة ، ولا عدد الورثة ، ولكنّه كرَّم الله وجهَهُ بفطنته وذكائه استطاع أن يعرف الورثة ، وصورة المسألة ، فقال لها : لعل أخاكِ مات عن { زوجة وأمٍّ وبنتين واثني عشر أخٍ شقيق وعنك ؟}. قالت : نعم ، فقال لها : " هذا حقكِ ولا يزيد ولا ينقص ". وأخبرها بأن شريحاً كان عادلاً معها في القسمة ، وأنها لا تستحقُّ أكثر من ذلك .

فانظروا أيُّها السادة شدة فطنة وذكاء الإمام من هذه الشكوى وحلّها، مع أن المرأة لم تشرح له الوارثين لأخيها .

مسألةٌ تحتاجُ لعلمِ حسابِ الجبرِ

سئل الإمام عن مخرج الكسور التسعة ، النصف ،والثلث، والربع، والخُمس ، والسدس ، والسُبع ، والثُمن ، والتُسع ، والعشر ، فكيف يكون الحلُّ ؟.

فأجاب الإمامُ بما يلي على البديهة : اضربْ أيام أسبوعك في أيام سنتك.

قرأت هذه المسألة وأنا أفكر في حلّها للوصول إلى قول الصواب فيها، وأخيراً هداني الله لحلّها ، وقد صدق الإمام في جوابه ، وهي كما يلي: لأنني شرحتها للسادة القراء ، ليطلعوا على سعة علمِ الإمام عليّ رضي الله عنه ، شرح هذه المسألة هي :

ـ{ لجمع الكسور العادية ١/٢+ ١/٣+ ١/٤+ ١/٥+ ١/٦+ ١/٧+ ١/٨+ ١/٩+ ١/١٠+ هنا يجب توحيد مخارجها وهو ٧× ٣ × ٥×٢ = ٢٥٢٠}.

ـ عدد أيام الأسبوع ٧ × أيام السنة ٣٦٠ = ٢٥٢٠ ،وهذا هو الجواب .

وقد صدق الإمام عليّ فيما ألهمه الله بجوابه [1]" ا.هـ .

والد يوصي أن يلتزموا بقسمة الله

ورُويَّ أن أولاداً سألوا الإمام علياً رضي الله عنه عن تقسيم وصية والدهم ، الذي أوصى أولاده الثلاثة بأن يأخذ كل واحدٍ منهم بما يقول لهم : إنني أملك يا أولادي سبعة عشر جملاً ، وهي لكم بعد موتي على أن يأخذ الأول نصفها ، والولد الثاني ثلثها ، والولد الثالث تسع الجمال ، ولم نستطع القسمة ، فكيف نقسمها ؟ وننفذ وصية والدنا ؟.

أجاب سيدنا عليّ رضي الله عنه ، فقال : إنها تقسم عليكم كما قال والدكم، ومسألتكم تعول إلى عدد ثمانية عشر ، فيأخذ الولد الأول نصفها تسعة جمال ، وللولد الثاني ثلثها ستة جمال ، وللثالث جملان ، فيكون المجموع سبعة عشر كما يلي :٩رضي الله عنه ٦رضي الله عنه ٢= ١٧ جملاً.

فشكر الأولاد الإمام على حلّه لمسألتهم ونفذوا وصية والدهم ، وانصرفوا مسرورين .

وهنا يظهر للسادة القراء علوم الإمام ومهارته في علم الميراث ، وصدق الرسول محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لما قال : (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) .

---

[1] انظر المصدر السابق ج٢ ص١٠٦.

إفتاء صريح وجواب محكم لسيدنا الإمام

ذكر العلامة الشيخ محمد متولي الشعراوي في كتابه { أسئلة حرجة ، وأجوبة صريحة } ج١ ص١١٩ قوله : دخل الصحابي الجليل حذافة ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كيف أصبحت ؟.

فقال حذافة : أصبحتُ أحبُّ الفتنة ، وأكره الحقَّ ، وأصلي بغير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء ؛ فغضب عمر ، وقد وافق ذلك دخول سيدنا عليّ كرم الله وجهه ، ورأى عمرَ غضبان ، فقال سيدنا عليّ: ما لي أراكَ مغضباً ؟ فأجاب بما أخبره حذيفة ، فقال الإمام عليّ رضي الله عنه : صدق حذيفة ، فعجب عمر وقال : أوتقولها يا أبا الحسن ؟ ، فقال :نعم ، أصبح يحب الفتنة يحب ماله وولده ، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وأصبح يكره الحق ، أي يكره الموت ، ومن منا يحبه ؟ وهو يصلي على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وله في الأرض ما ليس في السماء ، فله زوجة وله ولد ، فقال عمر : بئس المقام بأرضٍ ليس فيها أبو الحسن .

وهذا يدل على شدة ذكاء الإمام سيدنا عليّ رضي الله عنه .

غلامٌ من الأنصارِ يتخاصمُ مع أُمِّهِ

خاصم غلام من الأنصار أمّهُ ، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته فسأله البيّنة ، فلم تكن عنده ، وجاءت المرأة بنفر شهدوا أنها لم تتزوج وأن الغلام كاذب عليها وقد قذفها ، فأمر عمر بضربه ، فلقيه سيدنا علي رضي الله عنه ، فسأل عن أمرهم فدعاهم ، ثم قعد في مسجد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وسأل المرأة فجحدت ، فقال سيّدنا علي كرم الله وجهه للغلام اجحدها ، كما جحدتك ، فقال الغلام : يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنها أُمّي ، قال اجحدها ، وأنا أبوك ، والحسن والحسين أخواك ، قال الغلام جحدتها وأنكرتها ، فقال سيدنا علي رضي الله عنه لأولياء المرأة : أمري في هذا الرجل جائز ؟ قالوا : نعم وفينا أيضا ، فقال سيدنا علي : أشهد من حضر أني قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه، يا قنبر ــ خادم الإمام ــ ائتني بطينة ــ أي صرّة فيها دراهم ــ فأتاه بها ، فعد منها أربعمائة وثمانين درهما ، فقذفها مهراً لها، وقال للغلام : خذ بيد زوجتك ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس؛ فلما ولى الغلام قالت المرأة : يا أبا الحسن الله الله هو النار ، هو والله ابني، قال الإمام سيدنا علي رضي الله عنه : كيف ذاك ؟ قالت المرأة : إن أباه كان زنجّياً ، وإن إخوتي زوّجوني منه، فحملتُ بهذا الغلام ، وخرج الرجل غازيا فقتل ، وبعثت بهذا الغلام إلى حي بني فلان، فنشأ فيهم، وأنفتُ أن يكون ابني ، فقال سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه : أنا أبو الحسن وألحقَهُ وثبّت نسبَهُ . [1]

---

[1] انظر كتاب إفادة الأخيار ببراءة الأبرار ج٢ ص ١٠٦.

رجلٌ وامرأتُه ولدت ولداً أحمرَ وهما أَسْوَدان

أتى رجل أسود ومعه امرأة سوداء ، إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال يا أمير المؤمنين : إني أغرس غرساً أسود ، وهذه سوداء على ما ترى فقد أتتني بولدٍ أحمر ، فقالت المرأة : والله يا أمير المؤمنين ما خنته وإنه لولده ، فبقي عمر واجماً لا يدري ما يقول ؛ فسأل عن ذلك سيّدنا عليّاً رضي الله عنه وكان حاضراً : فقال الإمام للأسود : إن سألتك عن شيء أتصدقني ؟ قال الأسود : أجل والله ، قال سيّدنا عليّ رضي الله عنه : هل واقعت امرأتك ــ أي جامعتها ــ وهي حائض ؟ أجاب الأسود: قد كان ذلك ، قال سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه : الله أكبر ، إن النطفة إذا خلطت بالدم ، فخلق الله تعالى منها خلقاً جاء الولد أحمر ، فلا تنكر ولدك ، فأنت جنيت على نفسك ، قال عمر : بارك الله فيك يا أبا الحسن.[1]

مسألةٌ مستعصيةٌ بين شابٍّ وامرأةٍ

قال جعفر بن محمّدٍ [2] ، أُتي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، بامرأة قد تعلّقت بشابٍ من الأنصار ، وكانت تهواه ، فلما لم يساعدها ، احتالت عليه ، فأخذت بيضةً ، فألقت صفرتها، وصبّت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه صارخةً، وقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثرُ فعاله؛

---

[1] عن المصدر السابق ج٢ ص ١٠٧.

[2] هو جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر.

فسأل عمر النساء، فقلن له أن ببدنها وثوبها أثر المني، فهمّ عمر بعقوبة الشاب، فجعل يستغيثُ ويقول : يا أمير المؤمنين ، تثبّتْ في أمري ، فوالله ما أتيتُ بفاحشةٍ ، وما هممتُ بها ؛ وهي راودتني عن نفسي، وأنا أبتعد عنها خوفاً من الله واعتصمتُ بالله منها، فقال عمر لسيّدنا عليّ : يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما ؟ فقال سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه بعد أن نظر إلى ما على الثوب ، ودعا بماءٍ حار شديد الغليان ، فصبّ على الثوب، فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمّه وذاقه، فعرف طعم البياض وأنه من البيض ، فزجر المرأة ، وقد اعترفتْ [1] ــ لأن بياض البيضة يجمد، أما المني فيذوب ويذهب طعمه ورائحته ــ رحم الله الإمام ورضي الله عنه ، فما أعلمه وأذكاه.

هٰكذا يكونُ التحقيقُ مع المُتَّهمين

قال أصبع بن نباته : إن شاباً شكى إلى سيّدنا عليّ رضي الله عنه نفراً ، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفرٍ ، فعادوا ولم يعد أبي، فسألتُهم عنه ، فقالوا مات: فسألتهم عن ماله ؟ فقالوا : ما ترك شيئاً ، وكان معه مالٌ كثيرٌ ؛ وترافعنا إلى شُريح القاضي، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا سيّدنا عليّ رضي الله عنه بالشرطة ، فوكّل بكل رجلٍ رجلين، وأوصاهم أن لا يمكّنوا بعضهم أن يدنوا من بعضٍ ، ولا يمكّنوا أحداً أن يكلمهم ودعا كاتبه ودعا أحدهم ، فقال : أخبرني عن أب هذا الفتى، أين يوم خرج معكم ؟ وفي أي منزلٍ نزلتم ؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علةٍ مات ؟ وكيف أصيب بماله ؟ وقد سأله عمّن غسله ودفنه ؟ ومن تولّى الصلاة عليه ؟ وأين دفن ؟ ونحو ذلك من هذه الأسئلة ؛ والكاتب

---

[1] انظر المصدر السابق ج٢ ص ١٠٧.

يكتب، وكبّر الإمام عليّ رضي الله عنه ، وكبّر الحاضرون ، والمتـــهمون لا علم لهم ، إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد اقرّ عليهم ، ثم دعا آخر بعـد أن غيّب الأول عن مجلسه ، فسأله كما سأل صاحبه ، ثم الآخر كذلك ، حتـــى عرف ما عند الجميع ، فوجد كل واحدٍ منهم يخبر بضـــدّ مـــا أخـــبر بـــه صاحبه؛ ثم أمر بردّ الأول فقال سيّدنا عليّ رضي الله عنه له : يا عـدوّ الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك ، وما ينجيك من العقوبـــة إلا الصدق ، ثم أمر سيدنا عليّ رضي الله عنه بسجنه ، وكبّر الإمام وكـــبّر معه الحاضرون ، فلما أبصر القوم الحال، لم يشكّوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم فهدّده الإمام ، فقال : يا أمير المؤمنين، والله لقـــد كنـــتُ كارهاً لما صنعوا ، ثم دعا الإمام رضي الله عنه الجميع فأقروا بالقصـــة ، واستدعى الذي في السجن ، وقيل له : قد أقرّ أصحابك ، ولا ينجيك ســـوى الصدق ، فأقر بكل ما أقر به القوم ، فأغرمهم المال وفرض عليـــهم ديـــة الرجل القتيل ، ودفعها للشاب المشتكي. [1]

حجة الإمام في امرأة زانية

أُتي بامرأة زنت، إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فـــأقرت أمامـــه، فأمر برجمها، وكان أبو الحسن حاضراً ، فقال رضي الله عنه لعـــل بـــها عذراً ، وفي إبله ماء ولبن ، ولم يكن في إبلي ماء ولبن ، فظمئـــت ــ أي أخذني العطش الشديد ــ فاستسقيته ، فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفســـي، فأبيت عليه ثلاثاً ، فلما ظمئتُ كثيراً وظننت أن نفسي ستخرج ، أعطيتـــه الذي أراد فسقاني ؛ فقال سيّدنا عليّ رضي الله عنه : الله أكبر ، قـــال الله

---

[1] عن نفس المصدر ج٢ ص ١٠٨.

تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

حادثةُ يتيمةٍ مؤلمةٌ يُنْصِفُها الإمامُ بِالحجَّةِ

كانت عند رجلٍ يتيمة ، وكان للرجل امرأة ، وكان كثير الغيبة عن أهله ، فشبّت اليتيمة ، فخافت المرأة أن يتزوّجها زوجُها، فدعت نسوةً أمسكنها لها ، فأخذت عذرتها بإصبعها، فلما قدم زوجها من غيبته، رمتها المرأة بالفاحشة ، وأقامت البيّنة من جاراتها اللاتي ساعدنها على ذلك ، فسأل الرجل امرأته: ألك شهود ؟ قالت: نعم ، هؤلاء جاراتي يشهدن بما أقول ؛ ولما رفعت المسألة للإمام سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه ، طلب الشهود وأحضرهنّ ، كما أحضر السيف وطرحه بين يديه وفرق النسوة الشهود ، وأدخل كل امرأة بيتاً ، فدعا امرأة الرجل ، فأدارها بكل وجهٍ، فلم تزل على قولها ، فردها إلى البيت الذي كانت فيه ، ودعا بإحدى الشهود وجثا على ركبتيه وقال : قالت المرأة ما قالت ، ورجعت للحق، وأعطيتها الأمان، وإن لم تصدقيني لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقالت : لا والله ما فعلتْ إلا أنها رأت جمالاً وهيبة، فخافت فساد زوجها ، فدعتنا وأمسكناها لها حتى افتضّتها بإصبعها، فقال سيّدنا الإمام : الله أكبر ، أنا أول من فرّق بين الشاهدين ؛ فألزم المرأة حدّ القذف ، وألزم النسوة جميعاً العفو ، وأمر

---

[1] الآية /١٧٣/ من سورة البقرة.

الرجل أن يطلّق المرأة الفاعلة ، وزوّجه اليتيمة ، وساق إليها المهر من عنده . [1]

إفتاؤه للمرأتين المختلفتين على الولد المولود

يُحكى أن امرأتين تنازعتا في عهد عمر رضي الله عنه ، على طفلٍ ادّعته كل واحدة منهما بغير بينةٍ ، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فبعث عمر إلى سيدنا عليّ كرّم الله وجهه يستشيره في حلّ هذه المعضلة ، وقد أرسلهما إليه ، وعند وصولهما وعظهما رضي الله عنه وخوفهما، فأقامتا على التنازع فقال : ائتوني بمنشار ، فقالتا له : وما تصنع به ، قال: أقدُّه ــ أي أقطع الغلام نصفين ــ لكل واحدة منكما النصف ، فسكتت إحداهما ، وقالت الأخرى : الله الله يا أبا الحسن إن كان ولا بدّ من ذلك، فقد سمحت به لها، فقال الله أكبر ، هذا ابنك دونها، فلو كان ابنها لرقّت عليه ، وأشفقت على هذا الطفل البرئ ، فاعترفت الأخرى بأن الولد لصاحبتها.

لذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمسألة زوجة الهيثم وكاد أن يرجمها لأنها ولدت لستة أشهر وزوجها غائب وقد أثبت سيّدنا علي أن مدة الحمل أقلها تسعة أشهر قال: لولا علي لهلك عمر وألحق الولد بأبيه، وعفا عنها.

---

[1] عن المصدر السابق.

فتواه في خمسة رجال أُخذوا في جريمة الزنا

جيء بخمسة رجال إلى عمر ، وقد أخذوا في زنا ، فأمر عمر أن يقام على كل واحدٍ منهم الحدّ وكان سيدنا علي رضي الله عنه حاضراً ، فقال يا عمر : ليس هذا حكمهم ، قال عمر : أقم أنت عليهم الحكم فقدّم واحداً منهم فضرب عنقه ، وقدّم الثاني فرجمه حتى مات ، وقدم الثالث ، فضربه الحد ، وقدم الرابع فجلده نصف الحد ، وقدم الخامس فوبّخه.

فتحيّر الناس، وتعجب عمر ، فقال: يا أبا الحسن خمسة رجالٍ في قضية واحدة ، أقمت عليهم خمسة أحكام مختلفة ، ليس فيها حكم يشبه الآخر، قال : نعم ، أما الأول فكان ذمياً وخرج عن دينه، وقيل : كان ذميلً زنى بمسلمة ــ وكان الحكم فيه السيف، وأما الثاني فرجل محصن قد زنى فرجمناه ، أما الثالث فقير محصن فجلدناه الحد ، وأما الرابع فرجل عبد قد زنى فجلدناه نصف الحد ، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله قد زنى فوبخناه.

فقال عمر : لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن.

إفتاؤه للرجلين والمرأة المؤتمنة في وديعةٍ

استودع رجلان امرأة وديعة وقالا لها : لا تدفعيها إلى واحد منا حتى نجتمع عندك ، ثم انطلقا فغابا، فجاء أحدهما إليها بعد مدة ، فقال لها: أعطيني وديعتي فإن صاحبي قد مات فأبت حتى تردّد إليها كثيراً ، ثم أعطته الوديعة ، ثم جاء الرجل الآخر فطلب الوديعة فقالت المرأة : أخذها صاحبك، وذكر أنك قد مت.

فترافعا إلى عمر ، وكان سيّدنا عليّ حاضراً بالمجلس عند عمر رضي الله عنهما ، فالتفت عمر إليه وقال : ما رأي أبي الحسن؟ فقال سيدنا عليّ للرجل الذي جاء يطلب الوديعة : كان شرطكما على هذه المرأة، أن لا تعطي الوديعة إلا بحضوركما معاً ، فاذهب واحضر صاحبك[1] .

وهكذا يظهر لنا قوة ذكاء الإمام وعلمه ، بما حواه قلبه من العلم الغزير ، حيث بلغ في العلم رتبةً عند الله وعند رسوله ، ما لم ينلها الأقران، ولا حصلها الأكفاء.

فَتْواهُ في مسألةِ الرَّجُلِ وزَوْجَتِهِ

كان لرجل امرأتان ، امرأةٌ من الأنصار وامرأةٌ من بني هاشم، فطلّق الأنصاريّة ثم مات بعد مدة ، فذكرت الأنصاريّةُ أنها في عدّتها، وأقامت عند عثمان البيّنة بميراثها منه، فلم يدر عثمان بماذا يحكم به وردّ المرأة إلى سيّدنا علي رضي الله عنه ، فقال تحلف أنها لم تحض بعد أن طلقها ثلاث حيض [2].. وترثه ؟ فقال عثمان للهاشمية هذا قضاء ابن عمك عليّ قالت : رضيته فلتحلف ولترث ، فتحرَّجت الأنصاريّةُ من اليمين [3] وحُرِمَتْ من الميراث.

يظهر لنا بكلِّ وضوح أن سيّدنا علياً كان بعلم الفقه والميراث على درجةٍ عظيمةٍ ، لذا كان أصحابه الخلفاء يعتمدون عليه في حلِّ كل معضلةٍ تقعُ بين الناس جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

---

[1] عن كتاب أخبار الظراف المتخاصمين الظرفاء لابن الجوزي العلامة الكبير.

[2] حيض : جمع حيضةٍ.

[3] تحرجت من اليمين : أي خافت إذا حلفت كذبا.

سُئلَ سيِّدُنا عليٌّ عن ستّةٍ لا يقصرون الصَّلاةَ من هُم؟

أجاب رضي الله عنه : أن ستة لا يُقصرون في صلاتهم وصيامهم، " وهم الجباة الذين يدورون في جباياتهم ، والأميرُ الذي يدور في إمارته ، والتاجر الذي يدور في تجارته من سوق إلى سوق ، والراعي الذي يطلب مواقع القطر ، ومنبت العشب ، والرجل يخرج في طلب الصيد يريدُ لهو الدنيا ، والمحارب الذي خرج ليقطعَ السبيل ".

وأفتى سيدنا الإمام عليّ في الرجل المدجّج بالسلاح ، والذي يقف في الطريق ، لا يقتلُ ولا يأخذُ المال ولا يؤذي بل يُخيف السابلة ــ المارة من الناس ــ فقط ، أن يُنفى من بلدة إلى بلدةٍ أخرى حتى الموت ، عملاً بقول الله تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] .

جَوابُ الإمامِ في حقِّ كلبٍ وطىءَ شاةً

جاءَ أعرابيٌّ إلى سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه فقال : إني رأيتُ كلباً وطىء شاةً فأولدها ولداً ، فما حكم ذلك في الحلِ والمولود ؟

---

[1] من سورة المائدة آية ٣٣.

فقال رضي الله عنه : أعتبره [1] في الأكل ، فإن أكل لحماً فهو كلبـاً ، وإن أكل علفاً فهو شاة .

فقال الأعرابي : وجدته تارة يأكل هذا وتارة يأكل هذا ، فقال سيدنا علـي : أعتبره في الشرب ، فإن كرع فهو شاة ، وإن ولغ فهو كلب .

فقال الأعرابي: وجدته يلغُ مرة ــ أي يلعق بلسانه ، ويكرع أخـرى ــ أي بشفتيه ــ.

فقال سيدنا علي : أعتبره في المشي مع الماشية ، فإن تـأخر عنـها فـهو كلب، وإن تقدّم أو توسط فهو شاة .

فقال الأعرابي : وجدته مرة هكذا ، ومرة هكذا .

فقال الإمام :أعتبره في الجلوس ، فإن برك فهو شاة ، وأن أقعى فهو كلب.

فقال الأعرابي : إنه يفعل هذا مرة ، وهذا مرة .

قال الإمام : أذبحه ، فإن وجدت له كرشاً فهو شاة ، وإن وجدتَ له أمعـاء فهو كلب .

فبهت عند ذلك الأعرابيُّ ، من تفصيل الإمام في أقواله وأجوبته .

وليس المرادُ من هذا إثبات الشاة من الكلب ، وإنما المقصود تبيانُ الفـروق المميّزة بين تكوين الكلب والشاة في حال افتراض صحة الخبر .

كذلك يظهر مرّة أخرى بنا سعة إطلاع الإمام العلمي ، في الفرق الممـيّز ، مما يدلُ على غزارة العلم ، وقوّة ذكاءِ الإمام وبلاغته في بيانه هذا.

سؤالٌ موجّهٌ للإمام وجوابُه عليهِ

السؤال : عن رجل وامرأة ماتا إلى فراش واحد بالطـاعون فمـن يـرث الآخر ؟.

---

[1] أي افحصوه وتبينوا أمره في الأكل .

الجواب : أجاب الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه ، بأن قضى بالإرث للرجـــل ، لأنه كانت يد الرجل ورجله على المرأة ، فجعل الميراث للرجل ، وقـــال: إنه مات بعدها [1] . والله تعالى أعلم .

دروسٌ قيِّمةٌ عن الإمامِ

بعد أن قدَّمْتُ للسادة القراء نموذجاً لطيفاً من غُرر فتاوى الإمام للاســـتفادة منها والبيان على شدّة ذكائه، وقوّة استنباطه للأحكـــام ، وتوقّـــد ذهنـــه ، وإنارة قلبه ، وقوّة عقيدته ، وإيمانه بالله تعالى ، ووثوقه بربِّـــه ، وعلـــى غزارة علمه وحكمته وذكائه في أمور مستجدّةٍ بين الناس ..

سأستقي من دروسه السامية إلى دعوة معرفة الله ووحدانيّته ، وقدرته بمـا أبدع وصوَّر وأوجد ، للانقياد لعزة الله وجبروته ، والعمل بأحكام دينـــه ، وأتباع هدى رسولهِ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم وما كان عليه الســـلفُ الصالح ، من خلوص النية ، واقتران الفعل بالعمل ، والبُعد عـــن الريـــاء والكسل ، وتنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ، والتحلّي بالفضـــائل والتخلّي عن الرزائل ، أقولُ : وبالله أستعين :

---

[1] هذه المسائل سجلتها للسادة القراء عن كتاب الحق المبين ، لما فيها من فوائـــد، وإن فتاوى الإمام لا تحصى ولا تعد ، وإنما قدمت ما ذكرته للسادة القراء وشرحته ، للدليل على غزارة علم الإمام وشدة ذكائه.

من خطب الإمام في بيان صفات الله والإيمان به،وإقامة الدليل على وحدانيته ، وأنه تعالى متصف بصفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقصان

الحمد لله الذي لا يبلغُ مدحتـــه القـــائلون ، ولا يُحصـــي نعمـــاءه العادُّون، ويُؤدّي حقَّه المجتهدون الذي لا يدركه بُعد الـــهمم[١] ، ولا ينالـــه محرومو الفطن والقاسطون عليها ، الذي ليس لصفته حدّ محـــدود[٢]، ولا نعتٌ موجود ، ولا وقتُ معدود ، فَطَرَ ــ أي خلق ــ الخلائـــق بقدرتـــه، ونشر الرياح برحمته ، ووتدّ بالجبال ميدان أرضه[٣] ، فأولّ الدين معرفته، وكمالُ معرفته التصديق به ، وكمالُ التصديق به توحيدُه، وكمال توحيـــده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له ، نفيُ الصفات عنـــه ، لشـــهادة كـــل صفةٍ، أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمـــن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناهُ ، ومن ثنـــاهُ فقـــد جزأهُ ، ومن جزأهُ فقد جهله[٤]، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليـــه فقد حدّهُ ، ومن حده ، فقد عدّهُ ، ومن قال : (فيم) ؟ فقد ضمّنـــهُ ، ومـــن قال : (علام) ؟ فقد أخلى منه كائن لا عن حدث[٥] ، موجودٌ لا عن عدم،

---

[١] ــ الفطن جمع فطنة ، وغوصها استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط درر الحقيقة ، وهي وإن بعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الأقدس .

[٢] لأن قدرة الله وعلمه ، فلا حد لشمولها لنقصنا ، وكمال صفات الله تعالى .

[٣] الميدان الحركة . ووتد : أي سكنّ الأرض بعد اضطرابها بقدرته .

[٤] ــ أي جهل أن الله متنزه عن مشابهة الماديات ، مقدّس عن مضارعة المركبات ، وهذا الجهل يستلزم القول بالشخص الجسماني ــ تعالى الله عن ذلك .

[٥] ــ الحدث : الإبداء أي هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد .

مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة[١] ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة بصيرٌ إذ لا منظورٌ إليه من خلقه[٢] ، متوحّدٌ إذ لا سكن يستأنس به ، ولا يستوحش لفقده ، أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدأه ابتداء ، بلا روية أجالها[٣]، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا هَمامةَ نفس اضطرب فيها[٤] ، أحال الأشياء لأوقاتها[٥] ، ولَأَمَ بيم مختلفاتها ، وغَرّز غرائزها[٦]، وألزمها أشباحها[٧]، عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها وأحنائها[٨] ، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء[٩] ، وشق الأرجاء وسكائك الهواء[١٠]، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره[١١] ،متراكماً زخّاره ، حمله على متن الريح العاصفة ، والزعازع القاصفة ، فأمرها ببردّةِ[١٢] ، وسلّطها على شدّة ، وقرنها إلى حدّة،الهواء من تحتها

---

[١] ــ المزايلة : المفارقة والمباينة .

[٢] ــ أي بصير بخلقه قبل وجودهم .

[٣] ــ الروية: الفكر ، واجالها : أدارها ورددها ، وفي روايته أحالها أي صرفها.

[٤] ــ همامة النفس : اهتمامها بالأمر وقصدها إليه .

[٥] ــ أي حولها من العدم إلى الوجود في أوقاتها .

[٦] ــ الغرائز : جمع غريزة ، وهي الطبيعة ، والمراد :أودع فيها طبائعها .

[٧] ــ الضمير في أشباحها يعود على الغرائز ، أي لزم الغرائز أشباحها ، أي أشخاقها لأن كل مطبوع على غريزة فأنها تلازمه .

[٨] ــ الحنو معناه الجانب ، أو ما أعوج من الشيء بدناً أو غيره كناية عما خفى .

[٩] ــ الأجواء ، جمع جو وهو هذا الفضاء بين السماء والأرض وإنه مخلوق .

[١٠] ــ السكائك جمع سكاكه وهي الهواء الملاقي عنان السماء .

[١١] ــ التيار الموج والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض .

[١٢] أي منعه من الهبوط لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهبوط والسقوط ، وسلطها على شدة : أي وثاقه ، كأنه سبحانه أوثقه بها ، أو منعه من الحركة إلى الأسفل التي هي من لوازم طبعه ، وقرنها إلى حده أي جعلها مكاناً له.

فتيق [١]، والماء من فوقها دقيق ، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبـــها [٢]، وأدام مربَّها ، واعتصف مجراها ، وأبعد منشأها فأمرها بتصفيـــق المـــاء الزخار[٣] ، وإثارة موج البحار ، فمخضته مخض السقاء ، وعصفـــت بـــه عصفها بالفضاء ، تردّ أوّله إلى آخره ، وساجيه إلى مائره[٤] ، حتى عـــب عبابه ، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق ، وجـــو منفـــهق[٥] ، فسوى منه سبع سموات ، جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً[٦] ، وعلياهن ســـقفاً محفوظاً ، وَسْمكاً مرفوعاً ، بغير عمد يدعمها ، ولا دسارٍ[٧] ينظمها ، ثـــم زينها بزينة الكواكب ، وضيـــاء الثواقـــب [٨] ، وأجـــرى فيـــها ســـراجاً مستطيراً[٩] ، وقمراً منيراً ، في فلكٍ دائرٍ ، وسقفٍ سائرٍ ، ورقيمٍ مائرٍ[١٠]

---

[١] الفتيق : المفتوق والدفيق : المدفوق.

[٢] اعتقم مهبها : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً فكانت عقيماً .

[٣] تصفيقه : تحريكه وتقليبه ،

[٤] الساجي : الساكن والمائر : الذي يذهب ويجيء أو المتحرك.

[٥] المنفهق : المفتوح الواسع.

[٦] المكفوف : الممنوع من السيلان ويدعمها: يسندها ويحفظها من السقوط.

[٧] الدسار : واحدها الدسر وهي المسامير ، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوها.

[٨] الثواقب : المنيرة المشرقة.

[٩] مستطيراً : منتشر الضياء وهو الشمس.

[١٠] الرقيم : اسم من أسماء الفلك سمي به لأنه مرقوم بالكواكب، ومأثر: متحرك ويفسر الرقيم باللوح ، وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو النظر.

ثم فتق ما بين السموات العلا فملأهن أطواراً من ملائكته [1] منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون ، لا يغشاهم نوم العين ، ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ، ولا غفلة النسيان ، ومنهم أمناء على وحيه ، وألسنةٌ إلى رسله ، ومختلفون في قضائه وأمره ، ومنهم الحفظة لعباده ، والسدنة لأبواب جناته ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ، والخارجة من الأقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ، ناكسة دونه أبصارهم [2] ، ملتقون تحته بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة ، وأستار القدرة ، لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات الصنوعين [3] ولا يحدونه بالأماكن ، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ثم قال كرّم الله وجهه بعد أن أقام الأدلّةَ الواضحة والحجج الدامغة على وجود الله الصانع الحكيم ، الواحد الأحد ، المتّصف بصفات القدرة والإرادة ، وبصفات الكمال ، والمنزّه عن صفات النقصان ،وشرح بعثة الرسل ، وأنهم مكلفون برسالة التبليغ وأخذ العهد عليهم بذلك ، ثم ذكر بعثة الرسول سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنه رحمةٌ للعالمين لينقذ الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم صراطاً مستقيماً .

وقد أشار للقرآن وما حواه من علوم كما في ص ١٦ ج الأوّل فقال:

---

[1] جعل الملائكة أربعة أقسام الأول : أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح . وصافون أي قائمون صفوفاً لا يتفارقون ومنهم الأمناء على الوحي لأنبيائه، والألسنة الناطقة في أفواه رسله ، ومنهم الحفظة على العباد.

[2] الضمير في دونه للعرش كالضمير في تحته ، ومتلفعون : من تلفعت بالثوب، إذا التحفت به.

(٣)انظر نهج البلاغة ج١ ص ٧ــ١٣.

(واصطفى سبحانه من ولد آدم عليه السلام ــ أنبياء ، أخذ على الوحي [1]ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم [2] فجهلوا حقه ، واتخذوا الأنداد معه [3] واجتالتهم الشياطين عن معرفته [4] واقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله،وواتر إليهم أنبياءه [5] ، ليستأدوهم [6] ميثاق فطرته ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول [7] ، ويروهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم وآجالٍ تفنيهم، وأوصاب تهرمهم [8] تتابع عليهم ولم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسلٍ ، أو كتابٍ منزل ، أو حجّة لازمة ، أو محجّةٍ قائمة [9] رسلٌ لا تقصر بهم قلّة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم ، من سابقٍ سمى له من بعده ، أو غابر عرفه من قبله [10] على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور ،

---

[1] أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم.

[2] عهد الله إلى الناس وهو ميثاق الفطرة.

[3] الأنداد : الأمثال وهي ما عبد من دون الله تعالى.

[4] اجتالتهم : صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المفروزة في فطرهم.

[5] واتر إليهم الأنبياء ، بمعنى أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة.

[6] أي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم.

[7] دفائن العقول : أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات، وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات وقد تحجب عن كثير من أهل الهوات والمحبين للدنيا دون الآخرة.

[8] السقف المرفوع : السماء، والمهاد الموضوع : الأرض.والأوصاب : المتاعب.

[9] المحجّة : الطريق القويمة الواضحة.

[10] من سابق : بيان الرسل ، وكثير من الأنبياء للسابقين ، سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة، وفي القرآن الكريم أنه عيسى عليه السلام بشّر بخاتم الرسل صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والغابر : الذي يأتي بعد أن بشر به السابق.

وسلفت الآباء ، وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لإنجاز عدته ، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته [1]كريماً ميلاده ، وأهل الأرض يومئذٍ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة وطرائف متشتتة، بين مشبّهٍ لله بخلقه، أو ملحدٍ في اسمه ، أو مشير إلى غيره فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة ، ثم اختار سبحانه لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لقاءه ورضي له ما عنده، وأكرمه من دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى ، فقبضَهُ إليه كريماً صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياءُ في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً ، بغير طريقٍ واضحٍ ، ولا علمٍ قائمٍ كتاب ربكم فيكم مبيناً حلاله وحرامه [2] وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصّه وعامه وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسراً مجمله ، ومبيناً غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق في علمه، وموسع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السّنةِ نسخه ، وواجب في السنة أخذه ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجبٍ لوقته، وزائلٍ في مستقبله ، ومباين بين محارمه [3] مِنْ كبيرٍ أوْعَدَ عليه نيرانَهُ، أو صغيرٍ ، أرصدَ [4] له غفرانَهُ، وبين مقبولٍ في أدناهُ موسّعٍ في أقصاهُ [5])

---

[1] سماته : علاماته لأن السمة معناها العلامة ، وعلامة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به.

[2] حلاله كالأكل من الطيبات ، وحرامه كأكل مال الناس بالباطل.

[3] مباين بين محارمه : أي الكتاب فقد فرق بين المحارم التي أخطرها كالزنا وقتل النفس ، وأرصد : هيأ عفوه عن الصغائر.

[4] أرصد : هيأ عفوه عن الصغائر.

[5] المقبول في أدناه والموسع في أقصاه ككفارة اليمين.

إن هذا الكلام مأخوذ على التحقيق من معدن الرسالة ، لأن الإمام سيدنا عليّاً كرم الله وجهه قد تخرَّج من هذا البيت الطاهر والجامعة العليا ، جامعة سيّدنا محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . إنني لم أقرأ أبلغ من هذا البيان الجامع عن بعثة الرسل عليهم السلام، وعن رسالة سيّدنا محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعن القرآن ومعانيه ، وقد شرح لنا هذه الكلمات والتعبيرات العلامة الكبير مفتي الديار المصرية (المرحوم الشيخ محمّد عبده) وقد وضعت الشرح في ذيل الكلمات.

وإن دلّتْ هذه الخطبةُ على شيءٍ فإنما تدل على فضل من قالها وعلى غزارة العلم الذي حواه، جعل الله سبحانه وتعالى دار الرضوان مأواه مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

مِنْ دُرَرِ سيِّدنا الإمامِ في المُسْلمينَ وهي أحقُّ بالحِفْظِ والعَمَلِ بِها

ذكر العلاّمة المؤرخ الكبير أبو الفداء ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية ج٨ ص ٧ قوله: خطب عليّ رضي الله عنه فقال: أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت ، وآذنت بوداعٍ وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإنّكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا ولإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها وأنه من لم ينفعه الحقّ ضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن وذللتم على الزاد ، ألا أيها الناس، إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البرُّ والفاجر ،

ولم أر كالنار نام هاربها وأنه من لم ينفعه الحقُّ ضره الباطل، ومـــن لـــم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنّكم قد أمرتم بالظعن وذللتـــم علـــى الزاد ، ألا أيّها الناس، إنما الدنيا عَرَضٌ حاضر، يأكل منها البر والفـاجر ، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسع عليم.

أيُّها الناس أحسنوا في أعمالكم تحفظوا في أعقابكم فإن الله وعـــد جنّته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنّها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفـكّ أسيرُها، ولا يجبر كسيرها، حرُّها شديد، وقعرُها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصـــدُّ عن الحق، وإن طول الأمل ينسي الآخرة.

بيانٌ صريحٌ لسيِّدنا عليٍّ في الدَّعْوةِ لحجِّ بيتِ اللهِ الحَرامِ

جاء في نهج البلاغة في الجـــزء الأول ص ٢١ : (فـــرض ــ الله سبحانه ــ عليك حجّ بيته الحرام ، الذي جعله قبلة للأنام، ويردونـــه ورود الأنعام ، ويألهون إليه ولوه الحمام [1] ، جعله سبحانه علامـــةً لتواضعـــهم لعظمته، وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سُمّاعاً ، أجابوا إليه دعوتـــه ، وصدّقوا كلمته ، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشـــبّهوا بملائكتـــه، المطيفيـــن بعرشه، يحوزون الأرباح في متجر عبادتـــه ، ويتبـــادرون عنـــد موعـــد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً ، وللعائذين حرمـــاً ، فـــرض

---

[1] يألهون إليه : أي يفزعون إليه أو يلوذون به ، ويعكفون عليه.

حجّه . وأوجب حقّهُ، وكتب عليكم وفادتَهُ [1] فقال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2] أ.هـ.

أمرٌ واضحٌ لسيّدنا عليٍّ للأمراءِ في شأنِ الصّلواتِ الخمسِ وبيانِ أوقاتِها

وجّه الإمام سيّدنا عليّ كتاباً إلى أمراء البلاد ــ تحت يده ــ جاء فيه أما بعد : فصلّوا بالناس (الظهر) حتى تفيء الشمس من مربض العنز [3] ، وصلّوا بهم (العصر) والشمس بيضاء حية في عضو من النهار، حين يسار فيها فرسخان [4] وصلّوا بهم (المغرب) حين يفطر الصائم ويدفع الحاج إلى منى [5] ، وصلّوا بهم (العِشاء) حين يتوارى الشفق إلى

---

[1] وفادته : أي زيارته : لأن الوفادة معناها الزيارة.

[2] انظر سورة آل عمران آية /٩٧/ .

[3] تفيء : أي تصل في ميلها جهة الغرب ، إلى أن يكون لها فيء ــ أي ظل ــ من حائط المربض على قدر طوله وذلك أن يكون ظل كل شيء مثله.

[4] أي لا تزال تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر، ما دامت الشمس بيضاء حية لم تصفر وذلك في جزء من النهار، يسع السير فرسخين.

[5] ويدفع الحاج إلى منى أي يفيض من عرفات.

ثلث الليل، وصلوا بهم (الغداة ــ أي صلاة الصبح) والرجل يعرف وجه صاحبه، وصلوا بهم صلاة اضعفهم ، ولا تكونوا فتانين.[١]

بيانُ سيِّدِنا عليٍّ عن أسرارِ التَّشْريعِ الإسلاميِّ

جاء في كتاب نهج البلاغة ج٣ ص ٢٠٨ بيان عظيمٌ من سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه عن أسرار التشريع الإسلامي، فقال:

(فرض الله تعالى الإيمان ، تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاء أي اختباراً ــ لإخلاص الخلق، والحجّ تقربةً للدين [٢]والجهاد عزاً للإسلام والأمر بالمعروف مصلحةً للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء ، وصلة الرحم منماة للعدد [٣] والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفّة ، وترك الزنا تحصيناً للنسب ، وترك اللواط ، تكثيراً للنسل،والشهادة استظهاراً على المجاحدات[٤] ، وترك الكذب ، تشريفاً للصدق،والسلام أماناً من المخلوف، والأمانات نظاماً للأمّة [٥] ، والطاعة تعظيماً للإمامة) أ.هـ.

---

[١] أي لا يكون الإمام موجباً لفتنة المأمومين ونفرتهم من الصلاة بالتطويل وهذه الكلمة في نهج البلاغة ج ٣ ص ٦١ــ٦٢.

[٢] أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقامٍ واحدٍ لغرض واحد لتجدد الألفة والمحبة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف بما يقوي الإسلام وأهله.

[٣] فإنه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار.

[٤] لبطلان دعوى أهل الجحود.

[٥] لتنظيم شؤون الأمة لأنه بالخيانة تفسد الأعمال ، ويختل النظام.

مِنْ جَواهِرِ أقوالِ سيِّدنا الإمامِ القيِّمةِ المُفيدةِ

قال سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه : (رحم الله عبداً سمع فوعى، ودعى إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجزه هدى فنجا، وراقب ربه ، وخاف ذنبه، وقدم خالصاً ، وعمل صالحاً ، واكتسب مدخوراً واجتنب محظوراً، وكابر هواه ، وكذّب مناه، وحذر أجلاً ، ودأب عملاً ، وجعل الصبر رغبة حياته، والتُّقى جُنّة وفاته).

وقال لرجالٍ من أصحابهِ : (كيف أنتم ؟ قالوا: نرجو ونخافُ، قال الإمامُ : من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه، وما أدرى ما خوف رجلٍ عرضت له شهوة فلم يتركها لما يخاف، وما أدرى ما رجاء رجل نزل به بلاء، فلم يصبر عليه لما يرجو).

وقال رضي الله عنه : (يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ، ولا يطرف فيه إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يتخذون الفيء مغنماً ، والصدقة مغرماً ، وصلة الرحم منّاً ، والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون سلطان النساء، ومشاورة الإماء، وإمارة الصبيان).

وقال له قائل : أين كان ربّك قبل أن يخلق السموات والأرض: قال رضي الله عنه : يا أعرابي ، أمي سؤالٍ عن مكانٍ وكان الله ولا مكان ؟!)

وقال رضي الله عنه : (سيأتي على الناس زمانٌ ، لا يبقى من الإسلام إلا اسمُه ، ولا من القرآن إلا رسمُه ، مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماً ، وهم شرٌّ مَنْ تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة ، وفيهم تعود).

وقال كرّم الله وجهه : (لا زال الديـــن والدنيـــا قـــائمين مـــا دام العلمـــاء يستعملون ما علموا ، والجهال يستكثرون ما لـــم يعلمـــوا، والأغنيـــاء لا يبخلون بما خوّلوا، والفقراء لا يبيعون آخرتهم بدنياهم).

ويروى أن المرتضى سيّدنا عليّاً رضي الله عنه، لما رجـــع مـــن صِفّين ، فدخل أوائل الكوفة ، إذ هو بقبر ، قال: قبر من هذا ؟ قالوا: قـــبر خباب بن الأرتّ [1] رضي الله عنه ، فوقف عليه وقال: رحـــم الله خبّابـــاً أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلي في جسمه أحـــوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً .

ثم مضى فإذا به يرى قبوراً ، فوقف عليها ــ أي عندها ــ فقـــال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة، أنتم لنا سلف؛ ونحـــن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفرْ لنا ولـــهم ، وتجـــاوزْ عنـــا وعنهم ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب وقنع بالكفاف ، ورضـــي عن الله تعالى . ثم قال :يا أهل القبور ، أما الأزواج فقد نكحـــت ، وأمـــا الدار فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، فهذا خبر ما عندنا ، فما خـــبر ما عندكم ؟. ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنـــا خيرَ الزاد التقوى[2] .

وقال الزبيرُ بن بكّار : أوصى الإمام علي رضي الله عنـــه ابنـــه الحســـن فقال: " يا بنيّ أوصيك بتقوى الله تعالى في الغيب والشهادة وكلمـــة الحـــقّ في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل علـــى الصديـــق

---

(١)هو خبّاب بن الأرتّ أبو عبد الله ، وقيل: أبو أحمد صحـــابي جليـــل، كـــان مـــن السابقين الأوليين إلى الإسلام وكان سادس ستة في دخوله فـــي الإســـلام، شـــهد المشاهد مع النبي صلّى الله عليه وسلم وهو ممّن عُذب في الله، وتوفي شهيداً فـــي الكوفة وعمره ثلاثة وسبعون سنة.

(٢) انظر كتاب الجوهرة .

والعدوّ ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضى عن الله عزّ وجلّ في الشّدة والرخاء ، يا بني ما شرّ بعده الجنة بشرٍّ ، ولا خيرٌ بعده النار بخيرٍ، وكلّ نعيمٍ دون الجنة حقير ، وكلّ بلاءٍ دون النار عافية ، ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزنْ على ما فاته ، ومن سلّ سيفَ بغي قُتِلَ به ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه ، انكشفت عوراتُ بيته، ومن نسي خطيئته ، استعظم خطيئة غيره ، ومن أُعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعقله زلّ ؛ ومن تكبر على الناس ذلّ ، ومن خالط الأنذال أُحتقر ، ومن دخل مداخل السوء أُتّهم ، ومن جالس العلماء وُقّرَ ، ومن مزح اُستخف به ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثُر خطؤه ، وقَلّ حياءه ، ومن قلّ حياءه ، قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النّار ... يا بنيّ الأدب خير ميراث ، وحسنُ الخلق خيرُ قرين ، يا بني العافيةُ عشرةُ أجزاء ؛ تسعة منها في الصمت ، إلا عن ذكر الله عز وجلّ ، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء ، يا بنيّ زينة الفقر الصبر ، وزينة الغنى الشكر ، يا بني لا شرفَ أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعزّ من التقوى ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، والحرصُ مفتاح المقت ، والتدبير قبل العمل يؤمنّك النّدم ، بئس الزاد للمعاد والعدوان على العباد ، طوبى لمن أخلص لله عز وجل علمه وعمله ، وحبّهُ وبغضُه ، وأخذه وتركه ، وكلامه وصحبته ، وقولُه وفعلُه .

فاحفظوا يا سادتي القرّاء هذه الجواهر القيّمة التي هي لنا دروس كبيرة غزيرة المادّة والنفع ، فاح بها أمير المؤمنين ، وابن عمّ سيّد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، احفظوها واعملوا بها ، تنالوا الخير والرشاد من ربّ العالمين .

خُطبُ سيِّدِنا عليٍّ لأصحابه يوصيهم فيها بالصَّلاةِ والزكاةِ وأداءِ الأمانةِ

قال كرَّم الله وجهه : تعاهدوا أمرَ الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها ، وتقرَّبوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[١] وإنها لتحتُّ الذنوب حتَّ الورق[٢] وتُطلقها إطلاق الربق[٣] ، وشبهها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالحَمَّة[٤] تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن ، وقد عرف حقها رجالٌ من المؤمنين ، الذين لا تشغلهم عنها زينةُ ومتاعٍ ، ولا قرّةُ عينٍ من ولدٍ ولا مالٍ ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾[٥].

---

[١] من سورة المدثر آية /٤٢و٤٣/.

[٢] أي قشره .

[٣] ألربق : حبلٌ فيه عدة عرى ، كل منها ربقة ، فكأن الذنوب ربق في الأعناق ، والصلاة تفكّها منها .

[٤] ــ كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل .

[٥] من سورة النور آية /٣٧/.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، نصباً بالصلاة بعد التبشير لـه بالجنّة ، لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [1] فكان يأمر أهله ، ويصبر نفسه عليها ، ثم إن الزكاة جُعلتْ مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام ، فمن أعطاها طيّبَ النفس بها ، فإنها تُجعل له كفّارة ، ومن النار حجازاً ووقايةً، فلا يتبعها أحدٌ نفسه[2] ، ولا يكثرنّ عليها لهفة ، فإنّ من أعطاها غير طيّب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها ، فهو جاهل بالسنّة ، ومغبون الأجر ، ضالُّ العمل طويل النمّ ، ثم أداء الأمانة ، فقد خاب من ليس من أهلها ، إنّها عُرضت على السموات المبنية ، والأرضين المدحوّة ، والجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ، ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطولٍ أو عرض أو قوّة أو عز لامتنعن ، ولكن أشفقن من العقوبة ، وعقلن ما أجهلُ من هو أضعفُ منهنّ ، وهو الإنسانُ :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3] .إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون[4] في ليلِهم ونهارِهم ،

---

[1] من سورة طه آية /١٣٢/.

[2] أي من أعطى فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقا به ولهفا عليه ، ومغبون الآجر: أي منقوصه .

[3] من سورة الأحزاب آية /٣٢/.

[4] مقترفون : مكتسبون.

فتلطّفَ بهم خُبراً ، وأحاطَ بهم عِلْماً ؛ بأعضائهم شهودُه عليهم، وجوارحِهم جنودهُ ، وضمائرِهم عيونُه ، وخلواتِهم عيانُه[1] .

حبُّ سيِّدنا عليّ للعلمِ فيأمرُ بهِ

عن كميل بن زياد قال : أخذني عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرَجَني إلى ناحية المقبرة ، فلمّا أصحرنا ، جلس ثم تنفّس ، ثم قال: " يا كميل بن زياد ، القلوب أوعيةٌ فخيرُها أوعاها ، أحفظ ما أقول لك : الناسُ ثلاثةٌ ، فعالمٌ ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمجٌ رعاعٌ ، أتباعُ كلّ ناعقٍ ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجِوا إلى ركنٍ وثيق ، العلمُ خيرٌ من المال ، فالعلم يحرسكَ ، وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تنُقصه النفقة ، ومحبة العالمِ دينٌ يدان بها ، العلم يُكسبُ العالم الطاعة في حياته ، وجميلَ الأحدوثة بعد موته وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خُزّان الأموالِ وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، هاه ، إن ههنا ــ وأشار بيده إلى صدره ــ علماً لو أصبتُ له حمله ، بل أصبته لقناً غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ،ويستظهر بحجج الله على كتابه ، وبنعمه عن عباده ، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، يقتدح الشك في قلبه ، بأول عارضٍ من شُبهه ، لا ذا ولا ذاك ؛ أو منهومٌ بالذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مَغْرِىّ بجمع الأموال والادّخار وليس من دعاة الدين ، أقرب شبهاً بهما الأنعامُ السائمة ، كذلك يموتُ العلم بموت حامليه ، اللهمَّ بلى ، لا تخلو

---

[1] عن نهج البلاغة ج٢ ص ٢٠٥.

الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفعُ الله عن حججه ، حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان لأرواحها معلقة بالمنظر الأعلى ، أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه ، هاه هاه ــ بمعنى مشوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك ، إذا شئت فقم ــ أي لنعود[1] .

أيها السادة القراء : تدبّروا هذه الوصية ، كم جمعت من فرائد الألفاظ، وقوة السبك والمعاني ؟ وكم حَوتْ من عظاتٍ بالغاتٍ ، تنمُّ عن قلبٍ كبيرٍ، وعقلٍ راجحٍ ، وعلمٍ غزيرٍ ، وإخلاصٍ عظيمٍ لله ؟ وتلك هي الفائدة المتوخّاة ، والنفع العام للسعادة الأبدية ، ولا نستغرب هذه النصيحة القيّمة، فقد خرجت من فم إمام القضاة والعدل والعلم ، والمتخرج من مدرسة الإسلام وجامعة سيّدنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، والمتربيّ في بيت النبوة، إنه الشهيد وأبو الشهداء ، فلا تسأل عنه بعد ذلك .

فانظر معي أيها القارىء الكريم ، إلى رواية أوفى بن دلهم الذي استمع بنفسه لسيدنا الإمام علي رضي الله عنه ، ونقلها لنا عن طريق الأمانة العلمية ، وهي قوله كرَّم اللهُ وجهه :

" تعلموا العلم تُعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله وإنه يأتي من بعدكم زمان يُنكرُ فيه الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كلُّ أوّابٍ منيب، أولئك أئمة الهدى ، ومصابيح العلم .... ثم قال رضي الله عنه ، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرةً وإن الآخرة قد أتت مقبلة ، ولكل واحدة بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في

---

[1] ــ انظر كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للعلامة أبو نعيم الأصفهاني ج١ ص ٨٥.

الدنيا اتخذوا الأرض **بساطاً** ، والتراب فراشاً ، والمـــاء طيبـاً ، ألا مـــن اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النـــار رجـــع عـــن المُحسرات ، ومن طلب الجنّة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيـــا هانت عليه المصائب ، ألا إن الله تعالى عباداً كمن رأى أهل الجنـــة فـــي الجنّة مخلدين ، وأهل النار في النار معذّبين ، شرورهم مأمونـــة وقلوبـــهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلـــة لرحلـــة طويلة ، أما الليل ، فصافُّون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم ، وأمّا النهار، فظماءٌ ، حلماءُ بررةٌ [1].

الإمامُ سيِّدُنا أميرُ المؤمنين عليٌّ في ذمّةِ اللهِ

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلّى الله عليـــه وآله وسلّم قال : (من سرَّهُ أن يحيا حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنّـــة عدنٍ ، غرسها ربّي ، فليوال عليّاً من بعدي ، وليوال وليّهُ ، وليقتدِ بالأئمّـــة من بعدي ، فإنهم عترتي ، خُلقوا من طينتي ، رُزقوا فهماً وعلماً ، وويـــل للمكذبين ، بفضلهم من أمتي ، للقـــاطعين فيـــهم صلتـــي ، لا أنالـــهم الله شفاعتي[2] .).

سادتي القرّاء لقد أوردت لكم هذا الأثر الشريف عـــن حـــبر هـــذه الأمـــة وعالمها عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما ، حتى يتعرّف إلى شـــخصية سيّدنا الإمام ، الذي هو في ذمّةِ الله تعالى ، ولنملأ قلوبنا بمحبّته ، ومحبـــةِ آلهِ ، ونعمل بوصاياه ، راجين الله تعالى عزَّ وجلَّ أن يجمعنـــا بـــهِ فـــي

---

[1] ــ أنظر كتاب البداية والنهاية لابن الأثير ج٨ ص ٦.

[2] عن الحلية لأبي نصر الأصفهاني ج١ ص ٨٦.

حظيرة قدسه مجّمع النبيين والمرسلين ، والشـــهداء والصـــالحين وحَسُـــنَ أولئك رفيقاً .

من كلماتِ الإمامِ سيِّدِنا عليّ الخالداتِ على مَرِّ الزَّمَنِ

١ــ قال رضي الله عنه : " كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بـــالعمل ، فإنه لن يقلَّ عملٌ مع التقوى ، وكيف يقلُّ عملٌ يُتقبّلُ ".

٢ــ وقال كرّم الله وجهه : " ليس الخير أن يكثر مـــالك وولـــدك ، ولكـــن الخير أن يكثر عملك ، ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربِّك ، فـإن أحسنتَ حمدتَ الله ، وإن أسأتَ استغفرت الله ، ولا خير في الدنيا لأحـد إلاّ لأحدِ رجلين : رجلٍ أذنب ذنباً فتدارك ذلك بتوبةٍ ، أو رجلٍ يســـارع فـــي الخيرات ، ولا يقلُّ عملٌ في تقوى ، وكيف يقلُّ ما يُتقبّلُ .

٣ــ وقال عليه الرضوانُ : " احفظوا عنّي خمساً فلوأ ركبتـــم الإبـــل فـــي طلبهن لأنضيتموهنَّ قبل أن تُدركوهنَّ ؛ لا يرجو عبدٌ إلا ربَّهُ ، ولا يخـــلف إلا من ذنبه ، ولا يستحي جاهلٌ أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحي عـــــالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول،اللهُ أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الـــرأس من الجسد ، ولا إيمانَ لمن لا صبر له ".

٤ــ وقال :" إن أخوفَ ما أخافُ ، اتّباع الهوى ، وطول الأمل ، فأمّا اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ، ألا وإنّ الدنيـــا قد ترحّلت مدبرةً ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلةً ، لكلّ واحـــدة منـــهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فـــإن اليـــوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ " . رواه الثوري وجماعة .

٥ــ وقال :" طوبى لكلّ عبدٍ نؤمةٌ ، عرفَ الناس ، ولم يعرفه الناس ، عرفه الله برضوان ، أولئك مصابيح الهدى ، يكشفُ الله عنهم كل فتنةٍ مظلمةٍ ، سيدُ خلهمُ الله في رحمةٍ منه ، ليس أولئك بالمذاييع البذّر ــ أي يفشون الأسرار ــ ولا الجفاةِ المرائين ".

٦ــ وقال ": ألا إن الفقيه كل الفقيه ، الذي لا يقنّط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخّص لهم في معاصي الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها ".

٧ــ وقال النوف البكالي : يا نوف أراقدٌ أنت أم رامقٌ ؟ قلت : بل رامق يا أمير المؤمنين ، فقال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً ، فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام ، يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أن مُرْ بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة وأيدٍ نقية ، فإني لا استجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي ، عنده مظلمة، يا نوف لا تكن شاعراً ولا عريفاً ، ولا شرطياً ، ولا جابياً، ولا عشّاراً ، فإن داود عليه السلام قام ساعة من الليل فقال : إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها ، إلا أن يكون عريفا أو شرطياً أو جابياً أو عشارا، أو صاحب عرطة ــ وهو الطنبور ــ أو صاحب كوبة ، أي دربكة ــ في لغة العامة . (١)

٨ ــ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن سيدنا علياً كتب له : أما بعد : فإن المرء يسؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، ويسرهُ إدراكُ ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما

---

(١)هذه الكلمات في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج١ ص ٧٧ــ٧٩.

فات منها ، وما نلت من دنياك ، فلا تكن له فرحاً ، وما فاتك منـــها فـلا تأس عليه ، وليكن همُّكَ لما بعد الموت والسلام [1] .

٩ ــ وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن ربيعة قال : قال ســيدنا علــي رضي الله عنه :" كونوا في الناس كالنحلة في الطير ، إنه ليس في الطــير شيء إلا هو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما في جوفــها مــن البركــة ــ العسل ــ لم يفعلوا ذلك بها ؛ خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهــم بأعمالكم وقلوبكم ، فإن للمرء ما أكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب .

١٠ــ وأخرج يحيى بن جعد ، قال : قال سيدنا علي رضي الله عنه :

:" يا حملة القرآن ، أعملوا به ، فإنما العالم من علمَ ، ثم عمل بمــا علــم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوامٌ يحملون العلــم لا يجــاوز ســريرتهم علانيتهم ، ويخالف عملهم علمهم ، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضــاً ، حتى الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، ويدعُهُ ، أولئــكَ لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى .

١١ــ وقال رضي الله عنه ، يخاطب سيدنا عمر بن الخطــاب رضــي الله عنه : :" إن أردتَ أن تلحق بصاحبيك ، فأقتصر الأمل ، وكُلْ دون الشبع، وأرقع القميص ، وألبس الأزار ، وأخصف النعل ، تلحق بهما[2] .

---

[1] انظر كتاب أحسن القصص ج٣ ص ٢١٦ لعلي فكري .

[2] عن المصدر السابق ج٣ ص ٢١٧.

مِنْ حِكَمِ الإمامِ السّامية

قالَ رضي الله عنه : البخلُ عارٌ ، والجُبْنُ منقصةٌ ، والفقرُ يُخرس الفطن عن حُجّته ، والمُقلُّ غريبٌ في بلدته ، والعجزُ آفةٌ ، والصبرُ شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جُنّةٌ ، نِعمَ القرين الرضا ، والعلمُ وراثةٌ كريمةٌ ، والآدابُ حُلَلٌ مجدّدة ، والفكرُ مرآة صامتة .

ــ إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ ، أعارتْهُ محاسنَ غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسنَ نفسه .

ــ إذا قدرتَ على عدوِّك ، فاجعل العفو عنه شُكراً للقدرةِ عليه .

ــ من أبطأ به علمه ، لم يسرع به نسبُه .

ــ ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتاتِ لسانه ، وصفحاتِ قلبه .

ــ خيرُ إخوانِكَ من واساك ، وخيرٌ منه من كفاك .

ــ خيرُ مالكَ ما أعانك على حاجتِك .

ــ من كان في النّعمة ، جهل قدر البليّة .

ــ السؤال مذلّة ، والعطاءُ محبّة .

ــ صحبة الأشرار ، تورثُ سوء الظنّ بالأخيار .

ــ الحرُّ حرٌّ ، ولو مسّهُ الضرُّ .

ــ ما ضلَّ من استرشد ، ولا خاب من استشار .

ــ المودّة بين الآباء صلة بين الأبناء .

ــ جودةُ الكلام ما قلَّ ودلَّ ، ولم يطُلْ فيُمِلّ .

ــ جليسُ المرءِ مثلُه .

ــ خَفْ من الله ، تأمنْ غِيَرَهُ .

ــ خالف نفسك تسترِحْ .

ــ من علم أنَّ كلامَهُ من عمله ، قلَّ كلامُه إلّا فيما يعنيه .

ـ الناسُ أعداء ما جهلوا .

ـ الناسُ من خوف الذلّ في الذل .

ـ الصبرُ مطيَّةٌ لا تكبو ، وسيفٌ لا ينبو .

ـ قيمة كل امرىءٍ ما يحسنُ .

ـ استغنِ عمّنْ شئت تكنْ نظيرَهُ ، واحتج إلى من شئت تكن أسيرَهُ ، وأحسن إلى من شئت تكن أميرَهُ .

ـ الناس بزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم .

ـ بَشّر مال البخيل بحادثٍ أو وارثٍ .

ـ إعادة الاعتذار ، تذكيرٌ بالذنب .

ـ كثرة الرِّفق نفاقٌ ، وكثرةُ الخلاف شِقاق .

ـ من أكثر فكره في العواقب لم يشجع .

ـ الشرفُ بالعقل والأدب لا بالأصلِ والنسب .

ـ أكثرُ مصارعِ العقول ، تحت بُروق الأطماع .

ـ يعيشُ البخيلُ في الدنيا عَيْشَ الفقراءِ ، ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياءِ .

ـ الولاياتُ مضاميرُ الرجال .

ـ الناس أبناء الدنيا ، ولا يُلامُ الرجلُ على حبّ أمه .

ـ خيرُ الأصحابِ من يدلّك على الخير .

ـ دليل عقل المرء فعلُه ، ودليل عمله قولُه .

ـ دوام السُّرور، برؤية الأِخْوان .

ـ رفاعة العيش في الأمن .

ـ دُمْ على كظم الغيظ تُحمد عواقبك .

ـ ذكرُ الموت جلاءُ القلوب .

ـ زينةُ الباطن ، خيرٌ من زينةِ الظّاهر .

ـ الناس نيامٌ ، فإذا ماتوا تنبّهوا .

ـ ما هلك امرؤٌ عرف قدره .

ـ المرءُ مخبّوءٌ تحت لسانه .

ـ من عَذُبَ لسانُه ، كثر إخوانُه .

ـ بالبرّ يُستعبد الحر .

ـ لا مروءة لكذوب .

ـ لا داءَ أعيا من الجهل .

ـ لا مرضٌ أضنى من قلّة العقل .

ـ المرءُ عدوٌ ما جهلَ .

ـ النصحُ بين الملأ تقريعٌ .

ـ إذا تمّ العقلُ نقص الكلام .

ـ الحرمانُ خيرٌ من الامتنان .

ـ من طلبَ ما لم يعنِه ، فاته ما يعنيه .

ـ من كثر مزاحُه لم يخلُ من حقدٍ عليه ، أو استخفافٍ به .

ـ قلبُ الأحمقِ وراء لسانه ، ولسانُ العاقلِ وراء قلبه .

ـ رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، أو دُعي إلى رشادٍ فدنا .

ـ رحم الله امرأً أخذ بحجزهِ هادٍ فنجا .

ـ رحم الله امرأً راقب ربَّه ، وخافَ ذنبَهُ .

ـ من فرّطَ في عملهِ ، لم ينتفع بشيءٍ من أملهِ .

ـ ليس شيء أحسنَ من عقلٍ زانه علمٌ ، ومِن علمٍ زانه حُكْمٌ ، ومن حِلـــمٍ زانه صِدقٌ .

مِنْ وَصايا الإمامِ ، وصيَّتُهُ لأولادِهِ

يا بنيَّ: عاشروا الناس عِشرة ، إن غبتم حنُّوا إليكم ، وإن فُقدتم بكوا عليكم.

يا بنيَّ : إن القلوبَ جنود مجنّدة ، تتلاحظ بالمودّة ، وتتناجى بها ، وكذلك هي في البغض ، فإذا أحببتم الرجل من غير حقّ سبق منه إليكم فارجوه ، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه[1].

مِنْ كلماتِهِ الرّائعةِ في قوّةِ إيمانِهِ

قال الإمامُ سيّدنا عليّ كرّمَ الله وجهه :

:" كل شيءٍ خاضِعٌ له [2] ، وكلُّ شيءٍ قائمٌ به (قيّوم) ،غِنَى كلّ فقيرٍ ، وعزُّ كل ذليل ، وقوّةُ كلّ ضعيف ، ومفزعُ كلّ ملهوفٍ ، ومن تكلّم سمع نُطقهُ ، (وهو السميع العليم) ومن سكت علم سرَّه (وهو يعلم السر وأخفى) ومن عاش فعليه رزقه (وما من دابة إلا على الله رزقها) ومن مات فإليه منقلبه (ثم إليه ترجعون) ، (إن إلينا إيابهم ، ثم علينا حسابهم).

يا الله : لم تركَ العيونُ فتخبر عنك ، بل كنتَ قبل الواصفين من خلقك ، لم تخلق الخلق لوحشةٍ ، ولا استعملتهم لمنفعة ، لا يفلتك من أخذت ، ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك " والله هو الغنيُّ الحميد ، سبحانه وتعالى .

---

(٢)عن كتاب أحسن القصص ــ الخلفاء الراشدون ج٣ ص ٢٢٢.

[2] عن كتاب نهج البلاغة ج ١ص ٢٠٩ ، ومعنى خاضع له : أي ذليل لله الخالق سبحانه وتعالى .

وعن إسماعيل السِدّي قال : سمعت أبا أراكة يقول : { صلّيتُ مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر ، فلما انفتل عن يمينه ، مكث كأنّ عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيدَ رمح صلّى ركعتين ، ثم قلب يده فقال :" والله لقد رأيتُ أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم ؛ لقد كانوا يُصبحون صفراً شعثاً غبراً ، بين أعينهم كأمثالِ رُكبِ المعزى ، وقد باتوا لله سجداً وقياما ، يتلون كتاب الله عز وجل يتراوحون ، بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله تعالى ، فمادوا كما يميد الشجر في يوم الرّيح ، وهملت أعينهم حتى تبتلَّ ثيابهم من دموعهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مُفْتَرّاً يضحك ، حتى قتله اللعينُ ابنُ مُلْجم عدوُّ الله الفاسق [1] .

كلمةٌ عامةٌ في سيّدنا عليٍّ رضي الله عَنهُ

إن سيّدنا عليّاً رضي الله عنه قد نشأ في بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منذ صباه ، وترعرع في ظلال الإسلام ، فلم تمازجه عادات الوثنيّة والجاهليّة ، وكان ملازماً للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لا يفارقه فكانت له المواقف الخطيرة بين يديه ، مدافعاً وحارساً وأميناً ، وكان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يحبه حُباً جماً ، ويعطف عليه دوماً.

اشتهر بالشجاعة والشدّة والورع وعدم المداجاة ، محّباً للحق .

وحضر مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم جميع غزواته ، وبرز يوم وقعة بدرٍ وأُحدٍ والخندق ، ولم يحضر غزوة تبوك لإنابة النبي صلّى

(١)انظر كتاب ــ هداية الراشدين ، وكتاب البداية والنهاية ج٨ ص ٦ .

الله عليه وآله وسلّم له في البقاء في المدينة عند أهله ، وقال لـــه : (أنـــت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيّ بعـــدي) ، فلمـــا[1] تولـــى الخلافة سار فيها بهذه الأخلاق الفاضلة ، لذا أنتصر لعثمـــان رضـــي الله عنه، وأتخذ حُراساً عليه ولديه الحسن والحسين ، وأخلـــص فـــي النصـــح لعثمان ، غير أنه رضي الله عنه لم يستمع لنصح الناصحين يوم بيعته كـــي يتساهل مع معاوية وغيره من عمال وولاة عثمان رضي الله عنه ، مجاراة لسياسة الوضع القائم فلم يقبل منهم ؛ فزادت من جرَّاء ذلك دائرة الفتنـــة ، واتسعت هُوَّة الخلاف ، ووقعت الحرب الداخلية ، التي أُجْبِرَ على الدخـــول فيها ، وكان العرب يومئذٍ قد شعروا بالحياة الناعمة والرفاهية وأخذ حُـــبُّ الدنيا والجاه والمركز الشخصي ، يقوى في نفوس بعض رجالهم ، فكـــان ذلك سبباً من أسباب توسّع الخلاف ، وبالجملة فإن حياة هذا البطل تُظـــهر لنا مواطن العبقرية في أرفع وأشهر الأبطال التاريخية الذي أنجبهم الشـــرق الإسلامي ؛ تُظهر لنا مناحي البطولة في نفسه الرفيعة ، وتشرح لنـــا ســـر المأساة التي انتهت بالرجل إلى أن يموت شهيداً بالسيف (وهـــو صـــاحب القلم والسيف) .

هذه الحياة ينطوي تحتها سرُّ هذا اللسان الصادق الذي بلـــغَ فـــي البلاغة والبيان أقصاها ، فعليّ رضي الله عنه عَلَـــمٌ خفـــق علـــى ســـطح الأرض ثلاثاً وستين عاماً ، والشهاب الراصد الذي تعلقت به قلوب النـــاس؛ حقاً إنه الإنسان الكامل بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

الذي قال فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم :

(من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنـــة عـــدنٍ ، غَرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليّه ، وليقادِ بأهل بيتي مـــن بعدي فإنهم عترتي ، خُلقوا من طينتي ورُزقوا فـــهمي وعلمـــي ، فويـــل

---

[1] أنظر كتاب الأدب المفرد ج١ ص ٦٨ للبخاري .

للمكذّبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي)[1] .

وعن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (أُوصي من آمن بي وصدقني بولاية عليٍّ بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبّهُ فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله) .

أخرجه الطبرانيُّ في الكبير ، وابن عساكر في تاريخه ، وفي كتاب كنز العمال برقم { ٢٥٧١} في الجزء السادس .

وعن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما أيضاً ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (اللهمَّ من آمنَ بي وصدّقني فليتولَّ عليّاً بنَ أبي طالبٍ ، فإن ولايتَه ولايتي ، وولايتي ولايةُ الله تعالى).

أخرجه الطبرانيُّ في الكبير ، وفي كنز العمّال ج٦ رقم { ٢٥٧٦}[2] .

وكفى الله تعالى هذا الإمام رِفعةً واحتراماً ، وحشرنا الله وإياه مع النبيين والصدّيقين والشهداء ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً ، وأسكننا الفردوسَ مع

---

[1] إن هذا الحديث بكتاب كنز العمّال برقم (٣٨١٩) وهو عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما ، ورواه الطبرانيّ في مسنده الكبير ، والإمام أحمد بن حنبل في مستدركه ، وأبو نعيم في كتابه الحلية .

[2] وثبت في كثير من الأحاديث كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي رضي الله عنه : (أنت وليُّ كل مؤمن بعدي) أخرجه أبو داود ،غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء في الكنز ج٦ ص ١٥٧ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (أوحي إلي في عليّ أنه سيد المسلمين ووليّ المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين) . أخرجه ابن النجار المحدث وهناك كثير من الأحاديث تثبت فضل عليّ كرم الله وجهه ، كما سيأتي بعد بالروايات الثابتة .

نـــبيِّه ومصطفاه في جنّةِ عدْنٍ ، عنـــد مليـــكٍ مقتـــدرٍ ، والحمـــدُ لله ربِّ العالمين .

فضلُ سيدنا علي كرم الله وجهه على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

١ــ قال الإمامُ أحمد بن حنبل رحمه الله : " مـــا ورد لأحـــدٍ مـــن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفضائل مـــا ورد لعلـــيّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢ــ وأخرج الترمذيُّ والحاكم وصححه عن بُريدةَ رضي الله عنـــه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وســـلّم: (إن الله أمرنـــي بحـــبّ أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم ، قيل : يا رسول الله سمِّهم لنا ، قـــال: علـــيٌّ منهم ، يقول ذلك ثلاثاً ، وأبو ذرٍ ، والمِقدادُ ، وسَلْمانُ).

٣ــ وأخرج الترمذيّ والنسّائيّ وابنُ ماجه ، عن حبشيٍّ بن جُنـــادةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (علـــيٌّ منّي وأنا مِنْ عليّ).

٤ــ وأخرج الترمذيُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : آخـــى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين أصحابه ، فجاء عليٌّ تدمع عينـــاه، فقال : يا رسول الله آخيتَ بين أصحابك ، ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ، فقـــال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (أنتَ أخي في الدنيا والآخرة).

٥ــ وأخرج مسلمٌ في صحيحه عن سيدنا عليّ قال : " والذي فلـــقَ الحبّةَ وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبّني إلا مؤمـــنٌ ، ولا يبغضني إلا مُنافقٌ ".

٦ــ وأخرج الترمذيُّ والحاكم عن سيّدنا عليّ قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها) حديث حسن .

٧ــ وأخرج الحاكم وصحّحهُ عن عليٍّ قال : " بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن ، فقلتُ يا رسول الله بعثتني وأنا شابٌ أقضي بينهم ، ولا أدري ما القضاءُ ؟ فضرب صدري بيده ، ثم قال : (اللهمّ اهدِ قلبهُ ، وثبِّتْ لسانهُ) فوالذي فلقَ الحبّة ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين "،وسبق في قضاء عليّ .

٨ ــ وأخرج عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : { عليٌّ أقضانا } .

٩ــ وأخرج ابنُ عساكر في تاريخه ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " أفرضُ أهلِ المدينة وأقضاهم عليُّ بن أبي طالب ".

١٠ــ وأخرج أبو يعلى ، عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه : { لقد أُعطيَ عليٌّ ثلاثَ خصالٍ ، لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إلي من أُعطى حمر النَّعَم } ، فسئل وما هنَّ ؟ قال : { تَزوّجُه بفاطمة ، وسكناه المسجد ، لا يحلّ لي فيه ما يحلّ له ، والرايةُ يومَ خيبر } .

١١ــ وأخرج أبو يعلى والبزّار ، عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (من آذى عليّاً فقد آذاني) .

١٢ــ وأخرج الطبرانيُّ بسندٍ صحيح ، عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها ،عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبَّ الله ، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغضَ الله) .

١٣ــ وأخرج أحمدُ بن حنبل رحمه الله ، والحاكم وصحّحه ، عن أمّ سلمة رضي الله عنها ، قالت : سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول : (من سبَّ عليّاً فقد سبّني) .

١٤ــ وأخرج الطبرانيُّ ، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول : (عليٌّ مع القرآن ، والقرآنُ مع عليٍّ ، لا يفترقان حتى يردِا على الحَوْضِ) .

هكذا يظهر لنا فضلُ الإمام عليّ رضي الله عنه ، على لسان أشرف الكائنات ، وسيِّد المخلوقات ، وسيِّد السادات ، سيِّدنا محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم :

{ اللهمَّ اشهدْ بأني أُحبُّكَ ، وأحبُّ رسولَكَ ، وأحبُّ عليّاً } .

من فضائلِ الإمامِ الرضيِّ المُرتضىٰ سيِّدنا الإمامِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

ذكر العلاّمةُ الكبير عماد الدين إسماعيل أبو الفداء في تاريخه المختصر في أخبار البشر ج١ ص ١٨٠ قوله: من ذلك مشاهده المشهورة بين يديّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأخوّة رسول الله له ، وسبق إسلامه، وقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه : (مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه).

وقوله عليه الصلاة والسلام في غزوة حُنين : لأبعثنّ الرايةَ غداً مع رجلٍ يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (أما ترضى أن تكون منّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى) ، وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (أقضاكم عليٌّ)والقضاء يستدعي معرفة أبوابِ الفقهِ كلّها.

وحمل سيّدنا عليّ رضي الله عنه تمراً اشتراه بملحفةٍ ، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين ، ألا نحمله عنك ؟ فقال :أبو العيال أحقٌ بحمله.

وكان رضي الله عنه يقسم ما في بيت المال كلَّ جمعةٍ حتّى لا يترك فيه شيئاً ، لإغناء المحتاجين له ، فدخل مرّةً إلى بيت المال، فوجد الذهب والفضة فقال: يا صفراء ويا بيضاء،غُرّي غيري لا حاجةَ لي فيك.

وقصده أخوه لأبيه وأمّه عقيلُ بن أبي طالب ، يسترفده ــ أي يطلب المعونة منه ــ فلم يجد عنده ما يطلب ، ففارقَهُ.

وخصاله ومآثره كثيرةٌ لا تحصى، وقد ذكرتُ للسادة القراء رشفة من بحر، ونقطة من غيثٍ ، نفعنا الله جميعاً بخصال وصفات الإمام رضي الله عنه وأرضاه.

سيّدُنا الإمامُ عليٌّ يقولُ : أنا وزيرُكَ يا رسولَ اللهِ

إنّ من أحاط علماً بسيرةِ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في تأسيسِ دولة الإسلام، وجمعِ العرب في بوتقةٍ واحدةٍ ، وتشريعِ أحكامها، وتمهيدِ قواعدها، وسنّ قوانينها، وتنظيمِ شؤونها عن الله عز وجل ، يجدُ سيّدنا عليّاً كرّم الله وجهه ، وزيرَ رسول الله في أمره,ظهيره على عدوّه، وآخذ علمه، ووارثُ حكمه، ووليّ عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن وقف على أقوال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأفعاله، في حلّه وترحاله، يجد نصوصَهُ في ذلك متواترةً متوالية، من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، رضي الله عنه.

وحسبُك يا أخي المسلم من هذه الأقوال ما كان في مبدأ الدعوة الإسلاميّة قبل ظهور الإسلام بمكّة المكرّمة ، حين أنزل الله تعالى عليه : (وأنذرْ عشيرتَك الأقربين) ، فدعاهم عليه الصلاة والسلام إلى دار عمِّه أبي طالب وهم يومئذٍ نحو من أربعين رجلاً ومنهم أعمامُه:أبو طالب والحمزة والعبّاس وأبو لهبٍ ــ والحديث هذا من صحاح كتب السنن المأثورة ــ وفي آخره قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (يا بني عبد المطّلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخيرِ الدنيا والآخرة، والله قد أمرني أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرُني على أمري هذا ، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القومُ عنها غير عليّ ــ وكان أصغرهم ، إذ قام فقال: أنا يا نبيَّ الله

أكون وزيرك عليه ، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم برقبته وقال: (إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوه ، فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع).[1]

خصال خاصة في سيدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال مخاطباً عليّاً كرّم الله وجهه : (يا عليّ أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم في القضية، وأعظمهم عند الله مزية).[2]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (يا عليّ لك سبع خصال لا يحاجك فيها أحدٌ، أنت أول المؤمنين بالله، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرأفهم بالرعية، وأعلمهم بالقضية ، وأعظمهم مزية) (٣)

---

[1] إن هذا الحديث قد أخرجه بهذه الألفاظ ، كثيرٌ من حفاظ الآثار النبوية كابن إسحاق وابن جرير ، وابن أبي حاتم، وابن مزدوية، وأبي نعيم الأصفهاني، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي والطبري في تفسير سورة الشعراء، وأخرجه الطبري أيضاً في كتابه تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص ٢١٧ وأرسله ابن الأثير في ج٢ من كامله ص ٢٢، وذكر أبو الفداء في الجزء الأول من تاريخه ص ١١٦ كما ذكره الطحاوي والضياء المقدسي في المختاره، وسعيد بن منصور في السنن، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ص ١٥٩ .

[2] (٣) الحديثان مرويان في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء وهما موجودان أيضاً في ص ١٥٦ ج٦ من الكنز.

هذا هو سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه ، وهذه خصائصه على لسان سيّدنا محمدٍ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وكفاه فخراً وشرفاً في الدنيا ، والنعيم المدّخر له في الآخرة مع رسول الله وآله الأطهار.

لقد ثبتَ في كتبِ السنن المعتبرة لدى المسلمين: أن الإمام سيّدنا عليّاً رضي الله عنه ، أنه أخو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ووليّه ووارثه ونجيُّه ، وسيّد عِتْرته وهارونُ أمّتهِ، وكفؤ بضعته الزهراء البتول وأبو ذريته، وأوّلهم إسلاماً ، وأخلصُهم إيماناً ، وأغزرُهم علماً ، وأقواهم بالإفتاء ، وأكثرُهم عملاً وأكبرُهم حِلماً ، وأشدُّهم يقيناً ، وأعظمُهم عناءً، وأحسنُهم بلاءً ، وأوفرُهم مناقبَ، وأكرمُهم سوابقَ، وأحوطهم على الإسلام وأقربُهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأشبهُهم به هدياً وخلقاً وسَمْتاً ، وأمثلُهم فعلاً وقولاً وصمتاً.

روى الإمام أحمدُ في مسنده، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: (عليّ منّي وأنا منه، ولا يؤدّي عنّي إلا أنا أو عليّ)

وقال الحسنُ البصري: رحم الله عليّاً سهماً صائباً في أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لم يكن لمال الله مسرفاً، ولا في أمر الله نائماً، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه، فكان منه في رياضٍ مورقةٍ وأعلامٍ مشرفة ، هذا هو عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وأرضاه. [1]

وعن ياسرٍ ، عن عمّار قال: حدّث رجلٌ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بحديثٍ ، فكذبه ، فما قام من مجلسه حتى عمي الرجل جزاءَ كذبِهِ.

---

[1] انظر كتاب البداية والنهاية لابن الاثير ج ٨ ص ٥.

اللهمّ يا ربَّ العالمين نسألك أن تحشرَنا في زمرة سيّدنا الإمام أمير المؤمنين،وأسكِنّا الجنة مع رسولك سيّدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومع عترته الطاهرة ، وذرّيته الشريفة ، يا أكرمُ الأكرمين، ويا أرحمَ الراحمين ، اللهم استجبْ،آمين،والحمدُ لله ربِّ العالمين.

حديثُ غديرِ خمٍّ وما يُبْنى عليهِ

أُورِدُ للسادة القراء، هذا الحديث الهام ، وما ينطوي عليه من الفوائد والأبحاث ، وجواباً لصاحبي الذي سألني عنه، وهو يحاورني بشأنه، أثناء عرضي لكتابنا هذا قبل طبعه، قائلاً : لقد قرأتُ كثيراً في كتب التاريخ والحديث والسير ، فلم أعثر على هذا الحديث عن غديرخمّ، وما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أثناء خطابه في جمع من الصحابة.

وأودّ يا سيدي الشيخ الفائدة منه؟ وأين يقع ؟ وبيان مكانه على القول الصحيح؟

أجبتُ صاحبي السائل حسب اطلاعي وفهمي بقولي:

إن إخواننا الشيعة المحبّين للرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه الأطهار، وعلى رأسهم سيّدنا الإمام عليّ أمير المؤمنين يقولون:إن سيّدنا علياً أبا الحسن رضي الله عنه قال له النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (عليٌّ منّي بمنزل هارون من موسى، اللهم والِ من والاهُ، وعادِ من عاداهُ، وانصر من نصره ، واخذلْ من خذَلَه).

قال له ذلك بعد رجوع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتاريخ الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرٍ من الهجرة وهو العام المعروف بحجّة الوداع ــ أي العام الذي ودّع فيه النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

مكّة المكرّمة ــ وفي عودته للمدينة المنوّرة ، نزل بغدير خمّ ــ وهو يقع بين مكّة والمدينة ــ وقد ذكره ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية ج٨ ص٣٣٥.

فراجعْهُ يا صاحبي إن شئت التأكد منه والاطمئنان إليه ، أمّا مؤاخاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لسيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه، فهي ثابتةٌ عندما آخى النبيّ عليه الصلاة والسلام بين الأنصار والمهاجرين وقد بقي سيّدنا علي بلا أخٍ له، ولما رآه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وحده ، قال له مبتسماً : (أنت أخي) ومن يومها هذا ــ حديث غدير خم ، ومؤاخاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لسيدنا الإمام عليّ رضي الله عنه فصار من وقتها رضي الله عنه مكرماً واتخذ أنصاره تاريخ حديثُ خمّ عيداً وطنياً لشيعته.

حتى أن الخليفة المعزّ لدين الله الفاطمي، اهتمّ له اهتماماً زائداً، لإحياءِ هذا العيد في كلّ عام، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وكان يذبحُ فيه القرابين ويقيم الاحتفالات، وترفع الستائر والزينات، حتى كانت القاهرة بمصر ، تهتز جوانبها فرحاً وسروراً ، ويعدون هذا العيد من أهم الأعياد كما ذكر ذلك العلّامة الكبير الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الدول الفاطميّة) ج١ ص ٦٥٢.

ولما سمع صاحبي مني هذا البيان الشافي ، وافقني عليه ، ودعا لي بخير، وقال: الله ورسوله أعلم ، أنت يا سيدي الشيخ : تحبُّ آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعندك اطلاع على رجال التاريخ، وخاصة رجال الدولة الفاطمية ولي طلب عندك بحرارةٍ ، وهو أن تكتب لي عن المعزّ لدين الله ما اسمُه ؟ ومتى حكم ؟ وما أهم أعماله المأثورة عنه؟

فأجبته بما جاء في كتاب المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء ج٢ ص ١٠١ قوله: (وفي هذه السنة توفّيَ المعزُّ لدين الله، أبو تميم

معدّ بن المنصور بالله، إسماعيل بن القائم بأمر الله ، أبي القاسم محمّد بن المهدي عبيد الله العلويّ الحسنيّ بمصر في سابع عشر ربيع الأول، وولد بالمهديّة في إفريقية الحادي عشر من شهر رمضان، سنة تسع عشر وثلاثمائة ، فيكون عمره خمساً وأربعين سنة وستّة أشهر تقريباً ، وكان مغرَماً بالنجوم ويعمل بأقوال المنجّمين، وكان فاضلاً ، ولما مات المُعِزُّ لدين الله ، أخفى العزيز ابنه موته وأظهره في عيد النحر من هذه السنة، وبايعه الناس، ومن أعمال المعزّ لدينِ الله ، أنه حوّل أهل المذاهب لمذهب الشيعة، كما دفع أهل الذمّة للدخول في دين الإسلام واعتناق مذهب الشيعة، واتّخاذ التشيُّع مذهباً لهم.

وذكر الذهبيُّ: أنه في أوائل شهر رمضان أصدر المعزُّ لدين الله، الأوامر بإبطال صلاة التراويح خشية من اعتقاد العامة لفرضيتها، وفي عيد "غدير خمّ " كان المعز لدين الله يحتفل بهذا العيد احتفالاً عظيماً، لعهد النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، والواقع في الثامن عشر من ذي الحجة ، يحتفل به أكثر من سواه.

كما كان يحتفل بيوم عاشوراء في اليوم العاشر من شهر المحرّم الذي استشهد فيه سيّدنا الإمام الحسين بن سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنهما في كربلاء في العراق.

يا صاحبي : الكلامُ عن هذا الخليفة المعزِّ لدين الله كثيرٌ ، وإن شئت الزيادة عما شرحته، فراجع كتاب (الدولة الفاطمية) ففيه الكفاية لطالبي الزيادة عن هذا الخليفة، و (كتاب الآثار الباقية) والله يتولى الهداية والتوفيق وهو المعين.

ملحوظة : في آخر كلمتي ناديتُ صاحبي وقلت له : أرجو منك أن تبتعد عن الظن بحبّي لآل البيت أما أنت تحبُّهم ؟ أما أنت تسأل عن غدير خمّ؟ فالغدير مسجّل في البداية والنهاية بطريقة واضحةٍ شيِّقة ، فارجع إليه لأنه

كتاب معتمد في كتب التاريخ المعتبرة، ولو كان حديث الغدير ضعيفاً لأشار إليه كما أشار للأحاديث الموضوعة والضعيفة.ويا صاحبي املأ قلبك بحبِّ آل البيت وذرّيتهم.

مُساجلةٌ لطيفةٌ بين أبي بكرٍ والإمامِ عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُما

ذكرَ العلماءُ الأعلام بأن أبا بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه والإمام علياً كرّم الله وجهه ذهبا معاً لزيارة سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولما وصلا قربَ بابِ داره، قال أبو بكر : تقدّمْ يا عليُّ.

قال عليٌّ: كيف أتقدم عليك يا أبا بكر ، وقد قال فيك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : ما طلعت الشمسُ ولا غربتْ على رجلٍ بعد النبيين أفضلَ من أبي بكر.

فقال أبو بكرٍ: كيف أتقدّمُ عليك يا عليّ ، وقد قال فيك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: زوجت خير النساء لخير الرجال، زوجت فاطمة لعليٍّ.

قال عليٌّ: كيف أتقدم عليك يا أبا بكرٍ، وقد قال فيك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لو وزن إيمان الأمّة بإيمان أبي بكرٍ لرجح إيمانُ أبي بكر.

فقال أبو بكرٍ: كيف أتقدّمُ عليك يا عليّ ، وقد قال فيك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : يحشر عليُّ بن أبي طالب مع فاطمةَ والحسنِ والحسينِ، راكبين يوم القيامة فيشير الناس إلى عليّ في الموقف ، ويقولون : من هذا النبي؟ فيقال: ما هو بنبيٍّ وإنما هو عليّ بن أبي طالب.

قال عليٌّ له: كيف أتقدَّمُ عليك يا أبا بكرٍ ، وقد قال فيك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : لو كنتُ متّخذاً خليلاً غير ربّي، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً.

فقال أبو بكرٍ: كيف أتقدّمُ عليك يا عليُّ، وقد قال فيك الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : آتي مع عليّ يوم القيامة ، فيقول الله لي: يا حبيبي يا محمّد، لقد اخترت لك إبراهيم خير والد، واخترت لك عليّاً خير أخٍ وصديقٍ.

فقال عليٌّ: كيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال الله فيك : (والذي جاء بالصدقِ صدّق بهِ ، أولئك هُم المتّقون).

قال أبو بكر: كيف أتقدّم عليك يا عليّ وقد قال الله فيك : (ومن الناسِ من يَشْري نفسَهُ ابتغاءَ مرضاةِ الله ، واللهُ رؤوفٌ بالعبادِ).

وبينما هما يتجاذبان أطرافَ الحديث بهذه المساجلة القيمة ،إذ بالأمينِ جبريل عليه السلام يهبطُ على الأمين محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول له : يا رسول الله إن أبا بكر وعليّاً واقفان ببابك، فقم إليهما، فقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليهما، وجعل أبا بكرٍ عن يمينه، وعليّاً عن يساره من الجهة الأخرى، ودخل بهما إلى بيته، وقال لهما: هكذا تحشرون يوم القيامة. [1]

أقول: هكذا نرى أن جميعَ ما نشر عن فتور العلاقات بين الإمام أبي الحسن والشيخين هو من آفة الرواة ، وتبع للميول والأهواء السياسيّة في هذه الحقبة الزمنية التي لعبت فيها الأهواء، لدوام الجفوة بين الفريقين ، واستغلالها من قبل المستغلّين فيها، وكفى الإمام فخراً ، ما جاء في هذا

---

[1] سمعتها شفوياً من السادة العلماء أمثال عبد الحميد كشك ومحمد متولي الشعراوي وغيرهما وهما من كبار العلماء بمصر وكان الشعراوي وزير الأوقاف سابقا وشيخ الأزهر.

البيان الصريح ، عن فضل الشهيد وأبي الشهداء ، الإمام الرضيّ المرتضى، عن الله ورسوله وأبي بكر وعمر، واعترافهما بفضله ، ممّا يدل على عظمة وشخصيّة سيّدنا الإمام أمير المؤمنين، وولييّ المتقين، وقبلة العلم والقضاء من المسلمين، رضي الله عنه وأرضاهُ، وحشرنا الإله سبحانه وتعالى في زمرته ومع آله الطيّبين وعِتْرته الطاهرين ، في جنّةِ عَدْنٍ ، عند مليكٍ مقتدر ، اللهمّ آمين.

كَلِمَةٌ في ذِمَّةِ المؤرِّخينَ للتّاريخِ

أسجّلُ كلمتي هذه على صفحات المنهل العليّ في تاريخ سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه قائلاً للسادة الكتّاب والمؤرّخين الأصحاب، سامح الله العليُّ القديرُ إخواناً استغلّوا الدنيا ومالوا عن الآخرة، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وفاتهم أنّهم ملاقو ربّهم فمدحوا جماعةً من أصحاب رسول الله، وذمّوا آخرين منهم، لشهوةٍ في نفوسهم، وهدفٍ من أهدافهم وذلك تزلّفاً لساداتهم وتعاموا عن قولِ الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الآية /٢٩/ من سورة الفتح. فصار بعضُ الكتّاب يقدحون في سادات الأمّةِ، وأقرب الناس لسيّدنا محمّد رسول الله ، وآله الأبرار، وذرّيته الأطهار ويسردون عنهم الأباطيل وبعض الأكاذيب، مما لا يليقُ بكرامتهم ، وما لهم من مآثر، وحتّى يومنا

هذا ، مع عظيم السابقة في الإسلام، وتربية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم يغرسون ذلك في نفوس أبناء المسلمين، بينما هم فيما يكتبون صاروا سلاحاً مارقاً ، وخصوم الإسلام والمسلمين بنزعاتهم الخبيثة وآرائهم السيئة المزيفة، والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول عمّن رباهم تحت راية الإسلام : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

جزى الله العلماء المخلصين الصادقين المحبين للنبيّ وآله وأصحابه وذريته الأبرار المتمسكين بكتاب الله وسنّة رسوله.

ألا فليتقّ الله العليم الخبير هؤلاء المغرورون المفرّقون، البعيدون عن الله ورسوله وآله وذريته، فراقبوا الله واخشوه، ونزهوا علمكم وأقلامكم وألسنتكم وقلوبكم عن هذه المفتريات، ولا تشوهوا الحقائق التاريخية الناصعة في تاريخنا الإسلامي العريق ورجالاتنا المخلصين، بما تذكرونه من مؤلفاتكم أو مجلاتكم م الأباطيل والافتراءات التي فرقت أمتنا، وأبعدتها عن الالتزام بطاعة الله وحب رسوله ومصطفاه وآله الشرفاء وصحابته الأوفياء.

لأن عدالة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثابتة معلومة عند العلماء العالمين، والأئمة المجتهدين، في كتاب الله وسنة محمد رسول الله والإجماع ، فلا ينكرها مسلمٌ مؤمن ، بل ينكرها مغرضٌ مائلٌ عن جادة الصواب، مجافٍ للحق الصريح، لذا نرى بعض هؤلاء الضالين المضلين ،يقدحون في هذا الصحابي ، ويشتمون آخر، ويسبّون ذاك، لخبث نفوسهم ، وسوء سريرتهم لما تخفيه من حقدٍ ولؤم وعداوةٍ وغباوة ، لقاء دنيا فانية ، وشهوات ماضية، فالحق أبلج ، والباطل لجلج، إن الباطل كان زهوقاً ، قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٠٠) ﴾ من سورة التوبة .

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (لا تسبّوا أصحابي ، فوالـــذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهـــم ولا نصفـــه) رواه الشيخان وأصحاب السنن، وقال صلوات الله عليه وســـلامه: (الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبـــي أحبـــهم ، ومـــن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقـــد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) رواه الترمذي وابن حبان .

والآيات كثيرة والأحاديث لا تحصى في فضل أصحاب رســول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصحابته الكرام ، وآله الفخام ، وذريته الكرام.

وإني أرغب من كل مؤرخ إسلامي وكاتبٍ عربي أن يبتعـــد عـــن انتقاص أصحاب رسول الله وآله وذريته، خوفاً من غيرة الله تعالى منـــــهم على من مدحهم في كتابه العزيز وآل رسوله ، وخاصة ممن ألفـــت هـــذا الكتاب من أجله.

خلاصة تاريخية يجب قراءتها

أقدم للسادة القراء خلاصة تاريخية لسيدنا الإمام عليّ رضـــــي الله عنه في فقرات مختصرة لمن ضاق وقته، وحرم من مطالعة هذا المنـــــهل العلي، فأقول:

١ــ هو أوّلُ من أسلم من الصبيان ، وصلى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٢ــ استخلفهُ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيته ليلة الهجرة ، ووكله بردِّ ودائع المشركين بمكّة المكرمة.

٣ــ زواجه كرّم الله وجهه بفاطمةَ الزهراء ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في السنة الثانية من الهجرة.

٤ــ لم يتزوّجْ غيرَ فاطمةَ رضي الله عنها حتى توفيت بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بستة أشهر .

٥ــ كان عمره حين أسلم ثماني سنوات وقيل عشر سنين وحين هاجر ثلاثاً وعشرين سنة، وحين توفّي الرسولُ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاثاً وثلاثين سنة وحين استشهد ثلاثاً وستّين سنة.

٦ــ تولّى الخلافةَ في الخامس والعشرين من ذي الحجّة عام خمسة وثلاثين من الهجرة.

٧ــ كانت وقعةُ الجمل مع عائشة في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

٨ــ وكانت وقعةُ صفّين مع معاوية ، سنة سبع وثلاثين.

٩ــ وكانت وقعة النَّهروان مع الخوارج سنة ثمان وثلاثين.

١٠ــ واستشهد في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة.

١١ــ كانت مدّةُ خلافته أربعَ سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يوماً.

١٢ــ تزوّجَ في حياته تسعَ نسوةٍ، وكانت له أمّهاتُ أولادٍ غيرهن.

١٣ــ ولد له تسعة وعشرون ولداً : أربعةَ عشرَ ذكوراً ، وخمسَ عشرةَ إناثاً.

١٤ــ أعقبَ من أولاده الحسنُ والحسينُ ومحمّدُ بن الحنيفة، وعبّاسٌ وعمرُ.

اسمُهُ وَكُنْيتُهُ

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَنافٍ القرشيّ الهاشميّ، وأمُّه فاطمةُ بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، القرشيّة الهاشميّة وهي أوّلُ هاشميّةٍ ولدت هاشميّاً وكنيته: أبو الحسن، وكنّاه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا ترابٍ ، فكان سيّدُنا عليّ رضي الله عنه يحبُّ أن ينادى به.

مَوْلِدُهُ

كان مولدُه في جوف الكعبة في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

بِيئَتُهُ

كان أبوه أبو طالب أكبرَ زعماءِ قريش وله فضلٌ كبير في كفِّ أذى المشركين عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في بدء الدعوة ، لذا أخذ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً مساعدةً لعمّه لأنه كان ضيِّقَ الحال كثيرَ العيال ، فتربّى في حِجْرِه، ولازَمَهُ حتّى بعثه الله بالرسالة رحمةً للعالمين.

صِفَتُهُ

كان أسمرَ اللون ، أصلعَ الرأس ، ليسَ في رأسِه شعرٌ إلا من خلفه، أبيضَ شعرِ الرأس واللحية ، أدعجَ العينين ــ أي شديد سواد العين مع سعتها ــ عريضَ المنكبين ، شديدَ السّاعد واليد ، خشنَ الكفين، عظيمَ البطن ، قريباً للسِّمن، ربعةٌ من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، حسنَ الوجه ، ضحوكَ السنِّ، إذا مشى تكفّأ ــ مادَ وتمايل ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بِنفسِه فلم يستطعْ أن يتنفَّس.

إِسْلامُهُ

لم يتدنّسْ رضي الله عنه بدنس الجاهلية ، إذ أسلم دون البلوغ، فكان أوّلَ من أسلم من الصبيان ، رآه أبوه في أحدِ الشعاب بمكة يصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : أي بني ما هذا الدين الذي أنتَ عليه ؟ فقال سيِّدُنا علي : يا أبتِ ، آمنتُ برسول الله، وصدّقْتُ بما جاءَ به ، وصلّيتُ معه لله ، واتبعته ، فقال أبو طالب: أما إنه لم يدعُك إلّا للخير ، فالزمه.

معَ الرَّسول

وما زال سيّدُنا عليٌّ منذ أن أسلم يظهرُ من حبِّه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتفانيه في دعوته، وتضحيته في سبيلها، ما جعله من أحبِّ الصحابة إلى قلبِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، استخلفَهُ

الرسول في فراشه ليلة الهجرة ، وجعلهُ أخاه حين آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأبلى فيها البلاء الحسن، ولم يتخلف عن الجهاد مع الرسول إلا في غزوة تبوك، إذ استخلفه على المدينة قال سيدنا علي: أتخلفني على الصبيان والنساء؟ فأجابه سيِّدُنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي) رواه البخاري وهو حديث متواتر.

وأرسله الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم بسورة براءة ليقرأها على الناس في موسم الحجِّ في العام التاسع للهجرة ؛ وكان حامل راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر الغزوات، واستمرَّ في ملازمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والتضحية في سبيل الإسلام ، حتّى قبض النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن زوّجَهُ فاطمة، وبشَّرهُ بالجنة، فكان أحد العشرة المبشّرين بها. والحديث في جامع الأصول ، والعشرة هم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد رضي الله عنهم جميعا .

وفضائلُه كثيرة حتى قال الإمام أحمد بن حنبل: لم ينقل لأحد من الصحابة من الفضائل ما نقل لعليٍّ رضي الله عنه.

بعدَ الرَّسولِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم

لما استُخلف أبو بكر رضي الله عنه ، ورأى إجماعَ الصحابة على استخلافه ، بايعه سيّدُنا علي كرم الله وجهه عن رضى وطيب نفس، بعد

أن كان يرى أنه أحقُّ بالخلافة وظلَّ طيلة حياة أبـــي بكـــر، نعـــم العـــون والوزير يساهم في إدارة الدولة وتصريف الشؤون بصدقٍ وإخلاص.

وكذلك كان مع عمر فقد كان وزيرَ صدقٍ مخلصاً في مشـــورته، حتى زوّجه ابنته أم كلثوم ، وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينـــة إذا غاب عنها، وكان في عهد عمر من كبار رجال الدولة الذين تعقـــد عليـــهم الآمال، حتى جعله عمر من الستّة الذين يُختارُ منهم الخليفة من بعده، ولمـــا استخلف عثمان بايعه فيمن بايع من جمهور الصحابـــة، والـــتزم نصحَـــهُ ومؤازرته، وكان موقفه منه حين ثارت الفتنة موقف الناصح المدافع عنـــه، ولما أطبق الثوّارُ على قصرِ الخليفة الشهيد، أرسل ولديه الحسن والحســـين بسيفهما، حتى نفذ قضاءُ الله تعالى.

في خِلافتِهِ

بُويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، وكانت أيّامُه فيـــها أيّام فتنٍ ومعارك داخليّة دامية صرفت المسلمين عن إتمام رسالتهم العالميّة بالفتوح التي بدأت في عهد أبي بكر، واستمرّتْ طيلة عهد عمر ، وشـــطراً كبيرا من عهد عثمان ، ولذلك لم يتسنَّ له أن يتمِّـــم الفتوحـــات،ويتفـــرّغ للإصلاح والبناء، ولو امتدَّ به الأجل وخلا عهده من الفتن، لكـــان كعـــهد عمر ، من أزهى عصور التاريخ الإسلامي عدالةً واستقامةً ويمناً وبركـــةً على الإسلام، ورحمةً للإنسانيّة.

تولّى الخلافة والسيوف مسلطة ، والقلوب متغـــيّرة، ودســـائس أعـــداء الله والإسلام من يهود وغيرهم تعمل عملها، في إيقاد جذوة الفتنـــة، وتفريـــق كلمة المسلمين، حتى التقى المسلمون وجهاً لوجه في ثلاث معارك كـــبرى، وعشرات المعارك الصغرى، يسفك بعضُهم دمـــاءَ بعـــضٍ، ومـــع يقيننـــا

بإخلاصهم جميعاً ، واجتهادهم في الحقِّ، فإنّنا لا ننكر ما كان لخلافهم من أثرٍ كبير استمرَّ حتّى اليوم عاملاً في توهين قوّة المسلمين، وإضعاف كيانهم، والتقصير في أداء رسالتهم الإنسانية للعالم قاطبةً، رحمهم الله، ويغفر لهم.

ومع هذه الفتن التي أحاطت بخلافته ، فقد كان رضي الله عنه شديداً في الحقّ، مقيماً للعدل ، خاشعاً لله، مجتهداً في نصح الأُمَّة، يولي الأخيار ، ويحاسب المقصرين، ولا يجامل في الحق أبداً ولا يخاف في الله لومة لائم، زاهداً في الدنيا ، بعيداً عن الترف ، وكما كانت حياته جهاداً، فقد كان موته استشهاداً في سبيل الله تعالى.

أَسْبابُ اسْتِشْهادِهِ

كان قبولُ سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه لفكرة التحكيم نزولاً على رغبة جمهور جيشه وشيعته ــ في موقعة صفّينَ ــ وذلك عن غير رضىً منه ، وكان يرى أن قبول التحكيم بينه وبين معاوية ضعف وخداع بعد أن كادت ترجح كفّتُه في القتال، ولكن جيشه أجبرَهُ على قبول التحكيم كما نوّهنا ووقعت الاتفاقية بين الفريقين ، بتحكيم أبي موسى الأشعري ، نيابةً عن سيِّدنا عليٍّ وجيشه، وتحكيم عمرو بن العاص، نيابةً عن معاوية ومن معه، وانصرف الجيشان من المعركة إلى بلادهم ، أمّا جيشُ معاوية فقد رجع صفّاً واحداً ، وقلباً موحّداً ، وأمّا جيشُ سيِّدنا عليٍّ فكانوا كما روى المؤرّخُ الطبريُّ عن عمارة بن ربيعة : خرجوا مع سيِّدنا علي إلى صفّينَ وهم متوادّون أحباء ، فرجعوا متباغضين أعداء وما برحوا عن عسكرهم بصفّين ، حتى فشا فيهم نكرانُ التحكيم بعد أن سبق السيف العذل ، وأقبلوا

يتدافعون الطريق كلّه ويتشاتمون ويتضاربون بالسّياط، وانقسموا على بعضهم البعض أشياعاً كالخوارج وغيرهم .

وقال الخوارجُ منهم: يا أعداء الله لقد داهنتم ــ أي صانعتم ــ في أمر الله، وقال الآخرون : فارقتم إمامنا ، وفرقتم جماعتنا، فلما دخل سيّدُنا عليّ الكوفة ، فارقته جماعة الخوارج ، وهم يعلنون كفره ــ وقد كانوا من أشدّ أنصاره ــ وكفروا من معه ، لأنهم قبلوا بالتحكيم ولا حكم إلا لله عزّ وجلّ، وحاول سيّدُنا عليٌّ كرّم الله وجهه أن يقنعهم بالحجّة ، فأرسل إليهم ابن عبّاس فحاجّهم بكتاب الله، ولزمتهم الحجّة ، لولا أن الشيطان يفعل في العابد التقي ما لا يفعله في الفاجر الشقي ، وزيّنَ لهم الشيطان خروجَهُمْ على الجماعة، واستباحتهم دماء إمامهم وإخوانهم، وتجمعوا في مكان يقال له النّهروان [1] وأخيراً وقعتِ الواقعة بينهم وبين سيّدنا علي رضي الله عنه ، فانكسروا شرّ انكسار ، وقتل أكثرهم ، وجرح كثير منهم، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين للهجرة.

تدبيرُ المُؤامرةِ

وفي عام الأربعين للهجرة ، اجتمع ثلاثةٌ من الخوارج وهم عبد الرحمن بن مُلْجَم [2] والبَرْكُ بنُ عبد الله [3] وعمرو بنُ بكرٍ التميميّ، فتذاكروا الناس، وعابوا على ولاتهم ، كما ذكروا جماعتهم أهلَ النّهْروان،

---

[1] النهروان بفتح النون وكسرها هو كورة واسعة بين بغداد وواسط.

[2] ابن مُلْجَم : هاتك ثائر من أشد الفرسان ، أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر شهد فتح مصر وسكنها وكان من شيعة علي وشهد معه صفين ثم خرج عليه.

[3] البرك : هو الحجاج بن عبد الله المعروف بالبرك ثائر من أهل البصرة كان أوّلَ من عارض في التحكيم.

وترحّموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً ، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربِّهم ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا [٤] أنفسنا فأتينا أئمّة الضلالة ، فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد والعباد، وثأرنا بهم لإخواننا، فقال أبو مُلجَم : وكان من أهل مصر ـ أنا أكفيكم عليَّ بن أبي طالب ، وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاويةَ بن أبي سفيان ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينفضُّ رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه ، وتواعدوا أن ينفذوا جريمتهم لسبع عشرة تخلو من رمضان، وأقبل كل منهم على المصر الذي يقيم فيه صاحبه الذي تكفل باغتياله.

فأما البرك ، فقد تربَّص لمعاوية ليلة السابع عشر من رمضان فلما خرج ليصلي الصبح شدَّ عليه بسيفه ، فوقع في إليته، وكان معاوية سميناً، فلم يؤثّر فيه ، وقُبضَ على البرك وقتل.

وأما عمرُو بن بكر ، فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج عمرو، إذ كان يشكو وجعًا في بطنه، وخرج بدلاً عنهُ خارجةُ بن حذافة صاحب شرطته، فضربه ابن بكر بالسيف فقتله، وقبض الناس عليه وهو يظنُّ أنه قتل عمرَو بن العاص، فلما مثل بين يديه قال له : والله يا فاسق ما ظننتُ غيرَك ، فقال عمرو بن العاص : أردتني وأراد الله خارجة ، ثم أمر بقتله فقتل.

---

[٤] شرينا : بمعنى بعنا.

استشهادُ سيِّدنا عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ

وأمّا ابن مُلجَم اللعين ، فقد نزل الكوفة فلقي امرأة من تيم الرباب، يقال لها قطام ، وقد كان أبوها وأخوها ممّن قتل من الخوارج يوم النهروان، وكانت بارعة الجمال مغرية ففتن بجمالها ونسي الغرض الذي جاء من أجله ــ وهو قتل علي رضي الله عنه ــ وقرر أن يخطبها لنفسه فلمّا كاشفها بالأمر قالت: آليتُ أن لا أتزوج إلا على مَهْرٍ لا أريدُ سواه، فقال : وما هو ؟ قالت : ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة ، وقتل عليٍّ بن أبي طالب فقال لها : لكِ ما طلبتِ من المَهْر ، غير أن قتل علي بن أبي طالب يدلُّ على أنك لا تريدينني ، وإنما تريدين قتلي ، قالت: بل التمسْ غِرَّتَهُ [1] فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال : فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي ، فلكِ ما سألتِ ، ثم تربَّص لعليٍّ ساعة خروجه إلى صلاة الصبح ، فضربه بالسيف وهو يقول: الحكمُ لله يا عليُّ لا لك ولا لأصحابك. فخرَّ سيِّدُنا عليٌّ رضي الله عنه ، وتجمهر الناس، وقبضوا على ابن مُلْجَم اللعين، وأدخلوه على أمير المؤمنين، فقال لهم : النفس بالنفس إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيتُ رأيت رأيي فيه ، ثم ظلَّ بعدها يومين أو ثلاثة حتى توفّيَ رضي الله عنه سنة أربعين من الهجرة . [1]

---

[1] الغرة : أي الغفلة.

[1] انظر كتاب الرياض ج١ ص ٢٤٦،٢٤٨ .

درس وعبرة

لا بدّ للمسلم أن يقف طويلاً عند مقتل سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه ، فلئن كان قد قتله الأشرار من دعاة الفتنة ، ممن انحرفوا في فهم الإسلام، ولبّس عليهم الشيطان ، فزيّن لهم قتل إمام المسلمين، على أنه طاعة يشترون بها الجنة... لقد كان الخوارج مشهورين بالعبادة والتقوى، وفيهم يقول أبو حمزة الخارجي:

(عفيفةٌ عن الشرّ أعينهم، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة، وأطلاح سهرٍ ، باعوا أنفساً تموت غداً ، بأنفسٍ لا تموت أبداً) [1]

ولكن عبادتهم لم تنفعهم حين انحرفوا في فهم الإسلام، واستباحوا الخروج عن الجماعة، واستحلوا دم الإمام العظيم ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن معه من المسلمين.

وهكذا زيّن لهم الشيطان أعمالهم ، وأضلّهم عن السبيل ، ففتحوا باب الفتنة بين المسلمين، وزادوا في فرقتهم بعد أن كانوا فريقين: فريقاً مع سيّدنا عليّ رضي الله عنه وفريقاً مع معاوية، إلى أن أصبحوا فريقاً ثالثاً ، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، داخلهم الزهو والغرور بعبادتهم حتى احتقروا المسلمين، وكفّروا أئمة الهدى ، وأضلوا المغرورين عن دين الله عز وجل، وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه، وها هم أولاء فريق ممن زين لهم الشيطان غرورهم بالطاعة والعبادة يكفرون رجال الإصلاح، ويستحبّون لأنفسهم تفريق صفوف الجماعة، وتوهين بنيان الدعوة المحمدية ، والأمر لله من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[1] أنضاء : جمع نضو وهو المهزول ومعنى أطلاح : جمع طلح المعيي المهزول.

بَعْدَ استشهادِ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ

وهكذا لقي الإمامُ العظيم ربَّهُ ، بعد جهادٍ مريرٍ مع خصومه وجنوده، أمّا خصومه فقد حملوا في وجهه السلاح، وأمّا جنوده فقد نكثوا معه البيعة، وتمرّدوا على نصحه ورأيه، ثم أفرط فريقٌ منهم حين زعم أنه يغضبُ لله ، وينتصرُ للحق، فإذا هو يستحلُّ الدم الحلال، والإنسان البرئ وكان المسلمون حين قتل سيِّدنا عليٌّ كرَّم الله وجهه : ثلاثَ طوائفَ كبرى: شيعة سيّدنا علي رضي الله عنه ، وشيعة لمعاوية ، وخوارج يستحلّونَ دماءَ الفريقين.

ولئن كان سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه على الحقِّ في قتاله مع معاوية، وكان الذين وقفوا بجانبه هم خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، فلقد كان من الواجب أن تنهى هذه الفرقة بعد تنازل الإمام الحسن بن الإمام سيدنا علي رضي الله عنهما لمعاوية، بالخلافة وكان يجب أن يلتئم شمل المسلمين ليتمّموا رسالتهم الأولى، وينشروا دعوة الله تعالى في الأرض ، ولكنَّ أعداءَ الله والإسلام لا يروقُ لهم إجماع كلمة المسلمين ، فاتّخذوا من مقتل الإمام علي ثم الإمام الحسين بعده رضي الله عنهما وسيلةً لإيقاد نار العداوة والبغضاء بين جماهير المسلمين، ومنذ قام اليهوديُّ الخاسر ابن السوداء عبد الله بن سبأ ، يتشيّعُ لسيِّدنا عليٍّ ، ويزعم ألوهيّته، منذ ذلك الوقت وجد أعداءُ الإسلام في التشيّع لعليٍّ رضي الله عنه شعاراً يعملون وراءَهُ ، لهدم كيان الدولة الإسلامية الفتيّة، ولو كان علماء المسلمين منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، متنبّهين تمام التنبيه، للدسائس اليهوديّة والوثنيّة والمجوسيّة ، والديانات الحاقدة على الإسلام لكان تاريخ المسلمين غير هذا التاريخ، ولحُفِظَتْ حرماتُ المسلمين،

وحقنت دماؤهم، ولكان أثرهم في التاريخ أكبر مما وصل إليه ، ولكن الله غالب على أمره.. فهل يفيق المسلمون من غفوتهم ؟ وهل يتعظون من دروس التاريخ الغابرة؟

وهل لهم أن يفيئوا جميعاً إلى كتاب الله تعالى وسنّة رسوله الكريم ، ويقضوا على هذه الفرقة التي جعلت الجسم الإسلامي مثخناً بالجراح؟ فهل لعقلاء السنة والشيعة أن يلتفوا من جديد ، عاملين بقول الله تبارك وتعالى: (إنّما المؤمنون أخوة) تاركين الانحراف إلى قوم لقوا الله بأعمالهم (كل امرئٍ بما كسب رهين).

أبرز نواحي عظمة الإمام عليّ رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من أكبر علماء الصحابة، وأشهر فقهائهم، وأدقّهم نظراً ، وأشدّهم توقيفاً للحكم الصائب ، والرأي السديد ؛ وكان الصحابة يرجعون إليه، إذا أشكلت عليهم المسائل، ولقد عرف بدقّةٍ الفهم وسداد الرأي منذ عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد أرسله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن قاضياً ، وكان مما عرض عليه في القضاء: أن أربعةً وقعوا في حفرة حفرت ليصطاد فيها أسد [1] فسقط أولاً رجلٌ فتعلق بآخر، وتعلّق الآخر بآخر حتى تساقط الأربعة، فجرحهم الأسد ، فماتوا من جراحهم وتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون ، فقال سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه : أنا أقضي بينكم ، فإن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجزت بعضكم عن بعض، حتى تأتوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ليقضي بينكم ، اجمعوا من القبائل التي حفروا الحفرة ، ربع الدية وثلثها

---

[1] وقد سقط فيها الأسد ودون علم من الرجال الأربعة.

ونصفها ودية كاملة ، فللأوّل ربعُ الدية لأنه كان سبباً في هـــلاك الثلاثـــة الذين هلكوا معه، فسقط من ديته بمقدارهم ، وبقي له الربع، وللـــذي يليـــه ثلث الدية ، لأنه أهلك الاثنين الذين هلكا بعده ، وللثالث نصف الدية ، لأنـــه أهلك من بعده، وللرابع الدية كاملة ، لأنه هلك بصنع من قبله، ولم يـــهلك بصنعه أحد، فأبوا أن يرضوا بهذا القضاء، وأتوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقصّوا عليه القصّة ، فأجاز قضاء عليٍّ رضـــي الله عنـــه[1] وفي ذلك يقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم : (أقضى أُمّتي عليٌّ)[2]

ومن أقضيته كرّم الله وجهه التي تدلُّ على ذكائه المفرط وفطنتـــه الحادّة: (جلس اثنان يتغدّيان ، ومع أحدهما خمسة أرغفة ، ومـــع الآخـــر ثلاثة، وجلس إليهما ثالث ، واستأذنهما في أن يأكل معـــهما ، فأذنـــا لـــه، وأكلوا سواء، ثم ألقى إليهما ثمانية دراهم، وقال هذا عوض ما أكلت مـــن طعامكما ، فتنازعا في قسمتها ، فقال صاحب الخمسة: لي الخمســـة ولـــك الثلاثة ، وقال صاحب الثلاثة: بل نقسمها على السواء، فترافعا إلى ســـيّدنا عليّ رضي الله عنه ، فقال كرّم الله وجهه لصـــاحب الثلاثـــة إقبـــل مـــن صاحبك ما عرض عليك ، فأبى وقال: ما أريدُ إلا الحقَّ ، فقال سيّدنا علـــيٌّ رضي الله عنه : لك درهمٌ واحدٌ ، وله السبعة: قال : وكيف ذلك يا أمـــير المؤمنين؟ قال : لأن الثمانية أربعة وعشرون ثلثـــاً : لصـــاحب الخمســـة عشر، ولك تسعة، وقد استويتم في الأكل، فأكلت ثمانية وبقي لـــك واحـــد، وأكل صاحبك ثمانية وبقي له سبعة وأكل الثالث ثمانية ، ســـبعة لصـــاحبك وواحد لك ، فقال رضيتُ الآن. [3]

---

[1] أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب المناقب وهو في كتاب الرياض النضرة ج٢ ص١٩٩ .

[2] هو في كتاب المصابح.

[3] عن كتاب الرياض النضر ج٢ ص ١٩٩ .

وكثيراً ما كان الصحابة يحيلون عليه من يتوجه إليه بسؤال فيقولون : ائتِ عليّاً فاسأله .[1]

وجاء رجلٌ إلى معاوية فسأله فقال: سل عنها عليّ بن أبي طالب فهو أعلم مني ، قال : يا أمير المؤمنين ، جوابك فيها أحب إليّ من جواب عليّ ، فقال له معاوية : بئس ما قلت : لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يغرزه بالعلم غرزاً .[2]

وسُئلت عائشة عن المسح على الخفين فقالت: ائتِ عليّاً فسله [3]

وكثيراً ما ردّ عن قضائه حين يخطئ ، رفعت إلى عمر ، امرأة ولدت لستة أشهر ، فأراد عمر رجمها، فقال سيّدنا عليّ رضي الله عنه : إن الله تعالى يقول:﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾بسورة الأحقاف آية /١٥/ وقال تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ في سورة لقمان الآية /١٤/ فالحمل ستة أشهر والفصال في عامين فترك عمر رجمها . وقال عمر : لولا عليّ لهلك عمر .[4]

ورفع إلى عمر أمر امرأة حامل من الزنا وقد اعترفت به فأمر برجمها ، فتلقّاها سيّدنا عليّ وقال: ما بال هذه ؟ قالوا : أمر عمر برجمها، فردّها سيدنا عليّ وقال لعمر : هذا سلطانك عليها، فما سلطانك علي ما في بطنها ــ يعني الحمل ــ ولعلك نهرتها أو أخفتها، قال: قد كان ذلك ، فقال سيّدنا عليّ : أو ما سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : لا

---

[1] رواه ابن عبد البر عن أذينة بن مسلمة العبدي.

[2] أخرجه الإمام بن حنبل في المناقب وفي الرياض النضرة ج٢ ص ١٩٥ وهي في كتاب ذخائر العقبى ج١ ص ٨٤.

[3] رواه مسلم ١٦ ط دار الطباعة العامرة عام /١٣٢٩/.

[4] أخرجه العقيلي.

حدَّ على معترفٍ بعد بلاء ؟ إنه من قيد أو حبس أو تهدد ، فـــلا إقـــرار، فخلّى سبيلها . [١]

وهكذا كان سيّدنا عليّ رضي الله عنه ، يحلّ المشكلات، وينبه عن الأخطاء ، حتى كان عمر يعوذ من معضلة ليس لها إلا علـــيّ رضـــي الله عنه .[٢]

وإذا أراد السادة القراء الدليل على غزارة علم الإمام سيّدنا علـــيٍّ رضي الله عنه وقوّة ذكائه وفهم للشريعة الغرّاء فليراجع هذا البحـــث فـــي كتابنا هذا (المنهل العليّ) تحت عنوان (علم سيّدنا عليّ وأقـــوال العلمـــاء فيه) فإنه يرى الإمام بحراً زاخراً في هذا الكتاب وحسبنا قـــول الرســـول صلى الله عليه وآله وسلم فيه : (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها) رواه الـــترمذيُّ والحاكم وأشاروا إلى أنه حديثٌ حسن.

شجاعةُ سيِّدِنا الإمامِ عليٍّ كرّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

كان رضي الله عنه من الشجاعة بالمحلّ الأوفى . أبلى يوم وقعـــة بدر بلاءً حسناً ، فقد برز من بين المشركين في معركة بـــدر ثلاثـــة مـــن أبطالهم يطلبون البراز، وهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بـــن عتبة، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة من أقرانـــهم، أخرج عبيدة بن الحارث لعتبة ، وحمزة لشيبة ، وعلياً للوليد ، فقتل علـــيٌّ صاحبه ، وقتل حمزةُ صاحبَه ، وأما عبيدة وعتبـــة فاختلفـــا بضربتيـــن ، كلاهما جرح صاحبه، فحمل حمزةُ وعليٌّ على عتبة فقتلاهُ. [٣]

---

[١] انظر كتاب الرياض النضرة ج٢ ص ١٩٥.

[٢] راجع نفس كتابنا هذا.

[٣] انظر سيرة ابن هشام ج٢ ص ٦٢٥.

وأبلى رضي الله عنه في معركة أُحدٍ بلاءً مشهوداً ، وقد قتل فيها حامل لواء المشركين طلحةَ بنَ أبي طلحةَ ، وكان عليٌّ فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انهزم المسلمون في أُحد ولمّا جرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كانت السّيدة فاطمة رضي الله عنها تغسل عن وجهه الدم ، وسيّدُنا عليٌّ يسكب الماء.

ثم كان كرّم الله وجهه حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أُحد.

أما في معركة الخندق (غزوة الأحزاب) فقد أبلى البلاءَ المشكورَ، فقد خرج من صفوف المشركين عمرو بن ود العامري واجتاز الخندق ، ونادى المسلمين ، من يبارزُ ؟ فبرز له سيّدنا علي رضي الله عنه فقال له: يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين ، إلا أخذتها منه، قال له : أجل، قال سيِّدُنا عليٌّ: فإنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، فقال عمرو : لا حاجة لي بذلك ، قال : فإنّي أدعوك إلى النزال ، فقال له عمرو: لم يا ابن أخي ؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتلك ، فقال سيِّدُنا عليٌّ : لكنّي والله أحبُّ أن أقتلك ، فحمي عند ذلك عمرو ، فنزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على سيِّدنا عليٍّ، فتنازلا ، فقتله سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه[1] .

وفي معركة غزوة خيبر ، تعذّرَ فتحُ الحصون على المسلمين أوّلاً، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّهُ اللهُ ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّارٍ ، ثم دعا سيّدَنا عليّاً وهو أرمد ، فتفل في عينه، فبرئتْ [2] ثم خرج الإمامُ عليٌّ ، فلما دنا من الحصن ، خرج إليه أهله ، فقاتلهم فضربه رجلٌ من اليهود ، هو بطلُهم

---

[1] انظر سيرة ابن هشام ص ٢٢٥ ، ومعنى (حمي) أي أشتد غضبه .

[2] انظر مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤.

الحارث ، فطرح ترسَهُ من يده ، فتناولَ رضي الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترس به نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ، حتى قتل حارثاً وأخاه مرحبا اليهوديّين ، وفتحَ الله عليه ، ثم ألقى البابَ الحجريَّ من يده حينَ فرغ .

قالَ أبو رافعٍ ، وكان مع سيِّدنا عليٍّ في هذه الموقعة : فلقد رأيتني في نفرٍ معي سبعة أنا ثامنُهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه[1] .

وَرَعُ سيِّدِنا عليٍّ وزُهْدُهُ .

قال سيِّدُنا عليٌّ لعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنهما وهو في خلافته: يا أميرَ المومنين ، إن سرَّك أن تلحق بصاحبيك ــ يعني رسول الله وأبا بكرٍ ــ فأقصر الأمل ، وكُلْ دون الشِّبَع ، وأقصر الإزار ، وارفع القميص ، واخصِف النعل ، تلحقْ بهما[2] .

وهذا يدلُّك على روحه وطبيعته ، وطراز الحياة التي يحبُّها ، وكذلك عاش رضي الله عنه في خلافته ، يلبس الخشن من الثياب ، ويتعفّف عن أموال المسلمين ، قال أبو سعيد الأزدي : رأيت عليّاً في السوق وهو يقول :من عنده ، قميصٌ صالح بثلاثة دراهم ؟ فقال رجل: عندي ، فجاء به ، فأعجبه ، فأعطاه ثم لبسه ، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به لقطع ما فضل عن أصابعه [3] ، وقد عُوتب في لباسه

---

[1] انظر سيرة ابن كثير ج٣ ص ٢٥٩ وخبر أبي رافع ضعيف .

[2] انظر الرياض النضرة ج٢ ص ١٩٧ .

[3] المصدر السابق ج٢ ص ٢٢٠ .

الرخيص فقال : مالكَ واللبوس ؟ أن لَبوسي هذا أبعدُ عن الكِبْرِ وأجدرُ أن يقتديَ به المسلمُ [٤].

ودخل عليه رجل في أيام البرد ، فوجده يرعد من البرد ، وهو يلبس دثاراً بالياً ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين : إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال سيّدُنا علي : ما أرزؤكم من مالكم وإنها لقطيفتي ــ دثاري ــ التي خرجتُ بها من المدينة[١] .

خِتامُ البَحْثِ بِوَصْفِ سيِّدِنا عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ

وخيرُ ما نختم البحث عن سيِّدنا الإمام عليٍّ رضي الله عنه ، وعن نواحي عظمته ما أخرجه الدولابيّ ، أن معاويةَ قال لِضِرارٍ الصدائيّ : صِفْ لي علياً ــ وكان بعد استشهاده ، فقال ضراراً : أعفِني يا أمير المؤمنين ، فقال لتصفه ، قال ضِراراً : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجّرُ العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحشُ من الدنيا وزهوتها ، ويأنس إلى الليل ووحشته ،وكان غزيرَ العَبْرةِ ، طويلَ الفكرة ، يقلّبُ كفّه ، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا ، يدنينا إذا أتيناه ، ويُجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحنُ والله مع تقريبه إيّانا ، وقربه منّا ، لا نكادُ نكلّمه هيبةً له ، فإن تبسّمَ فعن مِثْلِ اللؤلؤ المنظومِ ، يعظّمُ أهلَ الدين ، ويقرّبُ المساكين ، ولا يطمع القويّ في

---

[٤] نفس المصدر ج٢ ص ٢٢٠.

[١] عن الرياض ج٢ ص ٢٢٥ و٢٢٦ . لذا قال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

باطله، ولا ييئس الضعيف في عدله ، وأشهد بالله لقد رأيتُـــهُ فـــي بعـــض مواقفه ــ وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومُه يميلُ فـــي محرابـــه ــ قابضاً على لحيته ، يتململ تململَ السليم ، ويبكي بكاءَ الحزين ، ويقول: يـــا دنيا غُرّي غيري ، إليَّ تعرضْتِ ؟ أم إليَّ تشوَّفْتِ ؟ هيهات هيهات ، قـــد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ فيها ، فعمرُكِ قصيرٌ ، ومجلسك حقـــيرٌ ، وخطـــرُكِ قليل ، آه آه ، من قلّةِ الزاد ، وبُعْدِ السفر ، ووحشةِ الطريق .

فبكى معاويةُ وقال : رحم اللهُ أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيـــفَ حزنُك عليهِ يا ضِرار ؟ ، قال : حزن من ذُبِحَ واحدُها فـــي حِجْرِهـــا ، لا ترقأُ دمعتها ، ولا يسكن حزنُها [1]. رحم الله الإمامَ عليـــّاً ، وأجـــزلَ لـــه الثواب ، وجعل لنا في سيرته خيرَ عظةٍ وعِبْرةٍ.

مِنْ كلماتِه الخالداتِ : وصّيتُه لِلْمُسْلِمين .

لما حضرته الوفاةُ أوصى ، فكان من وصّيته:" أوصيكـــم بتقـــوى رّبكم ، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصِموا بحبـــلِ الله جميعـــا ولا تفرّقوا ، فإني سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وســـلّم يقـــول: (إن صلاحَ ذات البين ، أفضلُ من عامةِ الصّلاةِ والصّيامِ) [2] .

الله الله في الفقراءِ والمساكين ، فأشرِكوهم في معاشِـــكُمْ ، والله الله في ذمّةِ نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم ، فـإن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى بهم ، لا تخافُنّ في الله لومـــةَ

---

[1] عن الرياض النضرة ج٢ ص ٢١٢ . أخرجه الدولابي ،وأبـــو عمـــر ، وصـــاحب الصفوة ، وأبو نعيم في الحلية ج١ ص ٨٤ ، و عظماؤنا في التـــاريخ للســـباعي ج١ ص١٨٧ .

[2] رواه الطبراني .

لائم يكفيكم من أرادكم ، وبغى عليكم ، وقولوا للناس حُسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف ، فيولّى الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطع ، أستودعكم الله [٣].

وَصِيَّتُهُ لأَوْلادِهِ :

دخلَ جُندب بن عبد الله ، على سيِّدنا الإمام عليٍّ رضي الله عنه يوم طُعِن ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن فقدناك ــ ولا نفقدكَ ــ من نبايع ؟ فقال رضي الله عنه : ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصرُ ، ثم دعا الحسن والحسين ، فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله العظيم ، وألّا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ؛ ولا تبكيا على شيء ذوى عنكما ؛ وقولا الحقَّ وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في كتاب الله ــ أي القرآن ــ ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثمَّ أوصى ابنه محمد بن الحنفية بما أوصى أخويه به ، ثمَّ قال:علمتما أن أباكما كان يحبُّه ، اعملوا في غير رياءٍ ولا سمعةٍ ، فإنه من يعمل لغير الله ، يكله الله لمن عمل له .

لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يورثه غيره ؛ الجهاد باب من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّةِ أوليائه ، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجُنّته الوثيقة ؛فمن تركه رغبة عنه ،ألبسه الله ثوب الذلّ،وشملةَ البلاء،لو شئت لاهتديتُ الطريق إلى مصفىَ العسل،ولباب القمح ، ونسائج القز ، ولكن هيهات يغلبني هواي ، ويقودني جشعي

---

[٣] انظر عظمائنا في التاريخ ج١ ص ١٨٨ .

إلى تخير الأطعمة فأبيت مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكبادٌ حرَّى [1]. أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون لهم أسوة في خشونة العيش .

وصيتهُ لكميل بن زياد :

" يا كميل بن زياد ، القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، أحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة ، فعالم ربانيٌّ ، ومتعلمٌ على سبيل نجاة ، وهمجٌ رعاعٌ أتباع كلّ ناعقٍ ، يميلون مع كل ريح ، ولم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ ؛ العلمٌ يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكوأ على المال ــ أي ينمو ويزيد بالعمل به ــ والمالُ تُنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها ، العلم الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ــ موته ــ وصنيعة المال تزولُ بزواله ؛ مات خزّان ُ الأموال ، وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ؛ أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة ، لئلا تبطل حجج الله وبنيانه ، أولئك هم الأقلُّون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفعُ الله عن حججه ، حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقة بالمنظر الأعلى ، أولئك خلفاء الله في بلاده ، ودعاته إلى دينه[1] .

---

[1] غرثى : جائعة . وحرى : ظمأى .

[1] انظر حلية الأولياء ج١ ص ٧٩و٨٠

فَضْلُ أبناءِ سيِّدِنا عليٍّ وأَحْفادِهِ رضيَ اللهُ عَنْهُم

يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابِهِ العزيـــز : ﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عليهِ أَجْرًا إلّا المودَّةَ في القُربى﴾[٢] .

قال في المواهب : " المرادُ في القربـــى ، من ينسب إلى جـــدِّه الأقرب عبد المطّلب " ا .هـ .

وقال في الصواعق لابن حجر : المرادُ بأهل البيـــت والآل وذوي القربى في كل ما جاء به فضلهم مؤمنو بني هاشم وعبد المطلب .

وعندي ما رواه الطبرانيُّ وابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن عبـــد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : أنها ــ أي الآية السابقة ــ لمـــا نزلـــت ، قالوا يا رسول الله : من قرابتُكَ الذين نزلت فيهم الآيـــة ؟ قـــال : (علـــيٌّ وفاطمةُ وابناهُما [١]) .

وقالَ اللهُ تعالى أيضاً بحقِّهم : ﴿إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويطهّرَكُمْ تطهيرا﴾[٢] . جاء في تفسير البيضاوي: أرادَ بالرِّجْسِ الذنبَ وبالتطهيرِ ، التطهيرَ منَ المعاصي .

---

[٢] من سورة الشورى آية ٢٣.

[١] انظر كتاب إسعاف الراغبين وفضائل آل البيت الطاهرين ، بهامش مشارق الأنـــوار ج ١ ص ٩٨ .

[٢] من سورة الأحزاب آية ٣٣ .

جاءَ في الحديثِ الصحيحِ ، وفي رواياتٍ عديدةٍ ، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، جاءَ ومعه عليٌّ وفاطمةُ وحسن وحسين ، قد أخذ كلٌّ واحدٍ منهما بيده ، حتى دخل فأدنى علّياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً على فخذه ، ثم لف عليهم كساءً ، ثم تلا هذه الآية :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقالَ : اللهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي ، فأذهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيراً .

وفي رواية : اللهمَّ هؤلاء آلُ محمّدٍ فاجعلْ صلواتِكَ وبركاتِكَ على آلِ محمّدٍ ، كما جعلتَها على إبراهيمَ إنّكَ حميدٌ مجيدٌ ؛ .

وقيلَ : أهلُ البيتِ كلُّ من نسب إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فيشمل جميعَ أزواجِهِ ، ذكره الزمخشري والبيضاوي .

خاتِمَةُ الكِتابِ ونصيحةُ سيِّدنا الإمامِ لِأَوْلادِهِ

أيّها السادةُ القرّاءُ :

هذا ما استطعتُ أن أقدِّمَه لكم بِعَوْنِ اللهِ القدير ، عن تاريخِ الإمامِ الشهيدِ وأبي الشهداء ، زوجِ السيّدةِ فاطمةَ الزهراء البتول ، وهو ابن عمِّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، سيّدنا علي كرَّمَ الله وجهه، الذي كان أفصحَ الناسِ وأشجعَهم بعد النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وكان أكثرهم علماً وزهداً وورعاً وخوفاً من الله العلـــي القديـــر ، وكان أشدَّهم في الحق وهو إمام الخطباء والبلغاء علـــى الإطـــلاق ، بعـــد حبيب الله ومصطفاه [1].

وقد نسّقتُ لكم مواضيعه بقدر الاســـتطاعة ، وأن الـــدارس لـــهذا المنهل العلي ، لا بد له من الاعتبار ، وذلك بـــانصرام الأيـــام وانقضـــاء الليالي ، وصروف الأشهر والأعوام ، مدة أربعة عشر قرناً تقريباً ، علـــى استشهاد فخر الرجال والعلم والتقوى ، الإمام عليٌّ رضي الله عنه ، صـــهر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وابن عمه ، وأخيه في الإسلام .

وليعتبر أيضاً الكريم من نتائج الإمام عليٌّ ، وحكمته ، وتوجيهاتـــه النيرة ، المملوءة هدًى ونـــوراً ، وخُطبـــه الرشـــيدة المعمـــورة بـــالتقوى والإخلاص ، فيلتزم القارىء الكريم طاعة الله وتقواه ، قبـــل أن يداهمـــه الموت ، وهو في غفلة عن هذا ، ولا يدري متى يأتيـــه هـــادم اللـــذات ، ومفرق الجماعات .

ويعتبر بمن مضى من أمتنـــا ، الصغـــير والكبـــير ، والشـــريف والوضيع ، والرئيس والمرؤوس ، والغني والفقير ، على هذا الطريق هـــم سواء ؛ فيلتزم سبيل الرشاد ، ويرضي رب العباد ، يلـــزم نفســـه التحلّـــي بالفضائل ، والتخلّي عن الرزائل ؛ يقيد نفسه الأمارة بالسوء أحكام الديـــن الحنيف آمراً لها باتباع أوامر الله عزَّ وجلَّ ، ناهيـــاً لـــها عـــن ارتكـــاب المنهيات، وكفى بالمرء جهلاً أن يَرتكب ما نهاه الله عنه ، وكفـــى بـــالمرء عيباً أن يكون ساخطاً عليه الرحمن ،راضياً منه الشـــيطان ، إنَّ الشـــيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً) .

---

[1] وأخرج تمام والبزار والطبراني ، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وســـلّم قـــال : (إن فاطمة أحصنت فرجها ، فحرم الله ذريتها على النار) .

أخي القارىء :

أختم كلمتي هذه وأجعلُها مسكَ الخِتام بنصيحةٍ قيّمةٍ لسيّدنا الإمـــام يوصي بها فلذة كبده ، وحشاشة مهجته ، ابنه الحسن رضي الله عنهما حيثُ يقولُ له فيها :

" أَحْيِ قلبَكَ بالموعظة ، ونوِّرْهُ بالحكمة ، وذلله بذكرِ الله، وقـــوِّهِ بالغنى عن الناس، وحذِّرْهُ صولةَ الدهر، وتقلّبَ الأيّامِ والليالي، واعـــرض عليه أخبار الماضين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوه ، وأيـــن حلّوا ونزلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّةِ وجلوا ديار الغربة، وكـأنّكَ عمّا قليل ، قد صرتَ كأحدِهم ، فأَصلِحْ مثواكَ ، ولا تبع آخرتك بدنيـــاك ، ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلّف ، وأمسك عن طريـــق إذا خفت ضلالتَهُ، وأمرْ بالمعروفِ بيدِك ولسانِك ولا تأخذْكَ في الحـــقِّ لومـــةُ لائم، وتفقّهْ في الدين ، وعوِّدْ نفسك الصَّبْرَ على المكروه، واحفـــظ عنّـــي أربعًا وأربعين، لا يضرّك ما عملت معهن ، أغنى الغنى العقـــل، وأكـــبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق، يا بنـــيّ إيّاكَ ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك ، وإيـــاكَ ومصادقـــة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكونُ إليه ، وإيّاكَ ومصادقة الفاجر ، فإنّـــهُ يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسَّرابِ يقرب إليك البعيـــد، ويبعد عنك القريب.

وختاماً :

أذكِّرُ السادةَ القراء بخلاصة تاريخ سيّدنا عليٍّ كرّمَ الله وجهه :

بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الجنّةَ تشتاقُ إلى ثلاثـــة: عليٍّ وعمّارٍ وسَلْمانَ). أخرجه الترمذيُّ والحاكم.

وأخرج الطبرانيُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليـــه وآله وسلّم قال: (إنَّ اللهَ تعالى أمرَني أن أُزوِّجَ فاطمةَ مِنْ عليٍّ).

وكفى الإمامَ عليّاً شرَفاً هذا الأمر من الله، وهذه الشهادة من رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وأخرج الطبرانيُّ في الأوسط عن أمِّ سَلَمةَ رضي الله عنها قالتْ: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (عليٌّ مع القرآن والقرآنُ مع عليٍّ لا يفترقانِ حتى يردِا على الحَوْضِ).

لقد ظهر من دراستنا للإمام سيّدنا عليٍّ كرّم اللهُ وجهَهُ أنه كان مُخْلِصاً لله ،عادلاً بين عباد الله، محبّاً للمسلمين جميعًا ، ولا يحمل حقداً على إنسانٍ، وقد طلّق الدنيا ثلاثًا خوفاً من تعلّق قلبه فيها، وحذراً من الحرمان لرضاء الله تعالى ، وقد أخبرنا سيّدُنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن الجنّة تشتاقُ إليه.

وقد أوصى الإمامُ سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه بحبِّ المسلمين خاصّةً الخليفتين أبا بكرٍ وعمر، حيثُ قال: (لا أجدُ أحداً فضّلني على أبي بكرٍ وعمر إلا جلدتُه حدَّ المفتري) رواه الدارقطني [1] وأخرج أبو ذر الهروي والدارقطني من طرق: أن بعضهم مرَّ بنفرٍ يسبون الشيخين، فأخبر عليّاً وقال لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا، ما اجترؤوا على ذلك، فقال عليٌّ : أعوذ بالله ، رحمهما الله، ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر، وأدخله المسجد ، فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء، فجعلت دموعه تتحادر على لحيته، وجعل ينظر البقاع، حتى اجتمع الناس، ثم خطب خطبةً بليغةً من جملتها:

(ما بالُ أقوامٍ يذكرون أخويّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووزيريْهِ ، وصاحبيه، وسيديْ قريش وأبوي المسلمين، وأنا برئ مِمّا يذكرون، وعليه معاقِبٌ ، صحبا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالجِدِّ

---

[1] انظر كتاب إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة ح١ ص١٤٢.

والوفاء في أمر الله، يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرأيهما رأياً ، ولا يحبُّ كحبِّهما حبّاً، لما يرى من عزمهما في أمر الله، فَقُبِضَ وهو عنهما راضٍ ، والمسلمون راضون، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأيَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، وأمره في حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى ، فوالذي فلق الحبّةَ، وبرأَ النسمة لا يحبُّهُما إلا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقيٌّ مارق ، وحبُّهما قربةٌ وبغضهما مُروق.. ثمَّ ذكر سيّدنا الإمامُ عليٌّ : أنّهُ بايع أبا بكرٍ ، ثم ذكر استخلاف أبي بكرٍ لعمر، ثم قال: ألا ولا يبلغُني عن أحدٍ أنه يبغضُهما إلّا جلدتُه حدَّ المفتري).

وصحَّ عن الإمامِ مالكٍ عن الإمام جعفرَ الصادقِ رضي الله عنه عن أبيه الإمام محمّد الباقر: أن سيّدنا علماً كرّم الله وجهَهُ، وقفَ على بابِ عُمرَ بنِ الخطّاب وهو مسجّىً وقال: ما أقلّتِ الغبراء، ولا أظلّت الخضراء أحداً أحبَّ إلي من أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى، وعن أبي جحيفة رحمه الله تعالى قال: سمعتُ سيّدنا علياً على منبرِ الكوفةِ يقول: (إن خير هذه الأمّة بعد نبيّها، أبو بكرٍ ، ثم خيرُهم عمر) وأبو جحيفة هذا كان مُحِبّاً شديد الحبِّ لسيّدنا عليّ ، ويرى أن علّياً هو أفضل الأمّةِ وكان يرى أقواماً يخالفونه، فرآه سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه فأخذ بيده وأدخله بيته، وقال له : ما أخَّرك يا أبا جحيفة ؟ فذكر الخبر، فقال سيّدُنا عليٌّ: ألا أخبرُك بخيرِ هذه الأمة ؟ خيرُها أبو بكرٍ، ثم عُمر، قال أبو جحيفة : فأعطيتُ الله تعالى عهداً أن لا أكتم هذا الحديث، بعد أن شافهني به الإمامُ سيّدُنا عليٌّ ما بقيتُ حيّاً.[1]

---

(١)عن المصدر السابق ج١ ص ١٤٣ــ١٤٤ .

ونشرَ هذا الحديثَ ورواه ابنُ سيِّدنا عليٍ محمّدُ بن الحنفيّة ، كما رواه الحافظُ والمؤرِّخ الذهبيّ ، وتواتر على ألسنة رجال الحديث، حتّى قيل: إنه رواه عن سيدنا علي أكثر من نيّفٍ وثمانين نفساً.رضي الله عنك يا أبا الحسن، فقد أخلصتَ للإسلام والمسلمين في توجيهاتك السامية، ونصائحك المفيدة، وأخلصتَ للأمّةِ ، خوفاً من التباغض والشقاق والتقاطع، وأدّيْت الشهادة في الخليفتين كاملة لله تعالى، حسب ما يرضي الله تعالى.

وخلاصةُ القول:

إن الحديثَ عن الإمام سيّدنا عليٍّ يحملُ على أن يقف الكاتب أمام شجرةٍ وارفة الظلال، مثمرةٍ عطرة، ومنظرها جميل يأخذ بالألباب والعقول. وهواؤها عليل، وثمرها مفيد ، ويكفي الإمام فخراً أنه تربّى في جامعة الإسلام ، ونال شهادة الاختصاص من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال : (أقضاكم عليٌّ).

أسأل الله العليَّ القدير ، أن يشملنا بعفوه وكرمه ، ويحشرنا مع رسوله وأصحابه وآله في دار النعيم،والحمدُ لله ربِّ العالمين.

جاءَ في كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ج١ ص ٦ لمحبِّ الدين أحمد بن عبد الله الطبريّ : عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: توفّي لصفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ابنٌ فبكت عليه، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : تبكين يا عمّة، مَنْ توفي له ولدٌ في الإسلام، كان له بيتٌ في الجنة يسكنه، فلما خرجت لقيها رجلٌ فقال لها: إن قرابة محمدٍ لن تغني عنك من الله شيئاً ، فبكت فسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صوتها، ففزع من ذلك فخرج، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم مكرماً لها، يبرُّها ، ويحبُّها ، فقال لها: يا عمّة تبكين؟ وقد قلتُ لك ما قلتُ؟ قالت: ليس ذلك أبكاني ، وأخبرتُهُ بما قالَ الرجل ،

فغضبَ صلّى الله عليه وآله وسلم وقال: يا بلالُ هجِّرْ [1] بالصلاة، ففعلَ، ثم قام صلّى الله عليه وآله وسلّم فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، إن كلَّ سببٍ ونسبٍ، ينقطع يوم القيامة ، إلّا سببي ونسبي، إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، فهم أهل البيت الطاهر، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً وهم الذين دخلوا مدينة العلم النبويّ من آدابها، وتمسّكوا بالثقلين كما أمرهم رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه فتزوجتُ أمَّ كلثوم ، لمّا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ وأحببتُ أن يكون بيني وبينه نسبٌ وسبب.

وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: جاءتْ سبيعةُ بنتُ أبي لهب رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الناس يقولون: أنتِ بنتُ حطب النار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله. أخرجه الملا في سيرته ، فافهم هذا أيها القارئ الكريم.

لذا أحببتُ آل البيت وقمت بخدمة هذا المنهل العليّ بتاريخ سيّدنا الإمامِ عليّ كرَّم الله وجهه، وذكرتُ شعري ومشاعري نحوهم وأسأل الله تعالى أن يحشرَني في زمرتِهمْ.

---

[1] التهجير التكبير في كل شيء وأراد هنا المبادرة إلى وقت المصير.

أبلغ ما كتب عن السيد الإمام أمير المؤمنين تحت عنوان:
أسرار العظمة والبطولة
في الإمام سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه

جاء في كتاب الأعلام من رجالات العروبة والإسلام للاستاذ الكاتب القدير، وكيل الوزارة للشؤون الدينية برئاسة مجلس الوزراء بمصر (محمد عبد الرحمن الجديلي جزاه الله خيراً قال: (شاء الله لليلة من الليالي الخوالد ــ هي ليلة الهجرة ــ أن تكون بدءاً لتاريخ ، وفاتحةً لعصر إنساني بهيج ، فحشدت الأقدار في تلك الليلة من الأحداث ما يؤرخ للبطولة، ويترجم للعظمة، ويجعل للفكرة الإسلامية الخلود على الدنيا.

كانت الظلمة في تلك الليلة ظلمة غدافيّةً ــ بل ظلمات بعضها فوق بعض ــ اجتمع إلى غلس الليل ظلام الكيد ، وسواد الحقد ، وحلكة الغدر، فكأنما تراكمت كل هؤلاء الظلمات في تلك الليلة الفريدة، لتتكاتف فتمحو آية الحق، فما كان إلا أن شدّ عليها الحق فمزّقها شرّ ممزق ، وقذف بغلولها وراء الأفق ، لا إلى رجعة، ثم سطعت شمسه على العالم متألقةً متوهجةً .

تواعد رؤوس الشرك في دار ندوتهم ، وتشاوروا فيما عسى أن يكون الكيد لمحمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، بعد أن أعياهم شأنه، فمن قائلٍ : نحبس محمداً في الحديد ، ونغلق عليه باباً ، ثم نتربص به إلى أن يموت كما مات أمثاله، فقال شيخ منهم: ما هذا لكم برأي ، لئن حبستموه ليخرجنّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه، فيوشك أن يثب عليكم أصحابه، فينتزعوه من أيديكم ، فقال آخر : نخرجه من بيننا فننفيه، فإذا خرج عنا فلا نبالي أين ذهب.

فقال الشيخُ : ما هذا لكم برأيٍ ، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال ، فقال أبو جهل عمرو بن هشام : إن لي لرأياً فيه، ما أراكم وقفتم عليه: (إن رأيي أن نختار من كل قبيلةٍ شاباً فتى جَلْداً، نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كلّ فتىً منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إلى محمّدٍ فيضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ ، فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرّق دَمُ محمّدٍ في القبائل كلّها، فلم يقدر بنو عبد المطّلب وبنو عبد مناف ، على حرب العرب جميعاً ، ورضوا بالفداء ففدّينا.

تقبّلَ أتباعُ الضلال رأي شيخهم ، وعيّنوا للفتيان ، وكانت الليلة الموقوتة.

وقف الفتيان الأشدّاءُ بباب محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم يترصّدونه وينظرون من ثقوب الباب إلى فراشه لكي يبوءوا بالإثم ــ بالدم الذكيّ الماجد ــ دم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومختاره لهداية الناس.

وأذن الله تبارك وتعالى لرسوله في تلك الليلة ، أن يهاجر إلى المدينة ــ المنوّرة ــ مع صديقه أبي بكر رضي الله عنه ، ولقد شاءت الحكمة النبويّةُ ، أن يتمّ الأمر في حذر وفي كتمان، حتى لا يترامى الخبر إلى قريش، فيأخذوا السبيل على دار الهجرة، فرأى صلّى الله عليه وآله وسلّم ــ وله الرأي الموفّق ــ أن يكون الحراس المترصّدون بحيث يخيّلُ إليهم، أن محمّدًا عليه وآله الصلاة والسلام لا يزال في فراشه بهذا البيت المحروس.

إنّه لرأي حازم سديد، بل هو الحزم والسداد جميعاً ، ولكن من ذا الذي يقوم هذا المقام الرهيب ؟ من ذا الذي يفدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سخية نفسه بالفداء ؟ من ذا الذي ينام على فراش ، من خلفه الأسياف المسلولة ؟ ومن أمامه العزائم المشبوبة ؟ من ذا الذي يقدم على الموت وهو ماثل ، ويستصغر غول الحوادث وهو جاثم ؟ لم يكن غير أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمر الفتى (عليّ بنَ أبي

طالبٍ) رضي الله عنه ، ونام في الفراش مكان ابن عمِّه، فيا له من موقفٍ يغلغل الجبال ، ويزلزل الأبطال .

فتى في الحادية والعشرين من عمره، متوثِّب الصبا، عريض الأمل، فسيح الرجاء ، تجري الحياة في عروقه كجريان السيل ، يطوي مباهج الحياة، ويفضي عن زهرة الدنيا، ويستقبل الموت لتحيا عقيدتُه ، في شخص ابن عمّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

يجود بالنفس إذ ضنَّ الشجاعُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

الله أكبر ، أتقول ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم.

لا إنّهُ الإنسان الكامل، إنه سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، إنها الشجاعة الإسلامية، وإنها التربية النبويّة، وليس وراء ذلك عظمة ولا بطولة.

لا،إنه الإنسان الكامل ، إنه سيّدُنا الإمامُ عليٌّ بن أبي طالبٍ كرّم الله وجهه، إنّها الشجاعة الإسلاميّة، وإنّها التربية النبويّة، وليس وراء ذلك عظمة ولا بطولة.

ننتقل بعد ذلك إلى تعرف سر من أسرار العظمة يوم صار الإمامُ عليّ إلى الحكم خليفة وإماماً بعد عثمان بن عفان.

فقد يكون الملك ومباهجه، والسلطان وجاهه ، والخلافة وجلالها، قد يكون كلٌّ أولئك غاضّاً من الكمال الإنساني، كاشفاً عن مظاهر الضعف البشريّ، فإذا المحاباة والملق والرُّشا ، تتمشّى في أقطار المجتمع، فتفسد الذمم، وتعصف بالفضيلة ، وتغير على معالم الحقّ،قد يكون ذلك ، ولكن متى يكون؟ يكون يوم يضعف الوازع الدينيُّ، ويوم يطرح الناس الهدي النبويَّ، ويوم يعرضون عن كتابه الأقدس ــ القرآن ــ الذي يخاطبهم بلسان الحقّ الأزليّ : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) . والآن فلنتساءل: هل غضَّ الملك والجاه ، والسلطان من كمال سيّدنا عليّ بن أبي طالبٍ ؟ هل

وجدت المحاباة أو الملق أو ضعف الخلق سبيلاً إلى نفسه التي هذّبها الإسلام؟ لا، لم تجد سبيلاً إلى ذلك ، وإليكم ما كان من هذا العظيم الذي شاع في وجدانه الوازع الديني، وإليكم كريمة من كرائم سيدنا عليّ رضي الله عنه ، وهو يوم ذاك خليفةً ، له جاه الخلافة ، وهو السلطان، إليكم ما كان بينه وبين أخيه ، عقيل بن أبي طالب مما سما فيه الحق، والعدل والمساواة، حتى ارتفعت فوق القرابة ، وفوق الرحم.

كتب عقيل إلى أخيه الخليفة سيّدنا عليّ رضي الله عنه ، ينصره ويؤازره ويفدّيه بنفسه وولده، ويقول له : أما بعد، فإنّ الله جارك في كلّ سوءٍ ، وعاصمك من المكروه، وقد بلغني أن بعض أنصارك قد خذلوك، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد ؟ تحملك إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً[1] وأقسم بالله الأعز الأجل، إن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك ، لعيشٌ غير هنيءٍ والسلام.

يصوّر لنا هذا الكتاب، كيف كانت وشائج القرابة بين الأخوين الكريمين ، وكيف يظن أن ربما طغت على النزاهة وعلى قوة الخلق.

أراد عقيل رضي الله عنه أن يثب من فوق قرابته وأخوّته ، إلى مال المسلمين فجاء أخاه سيّدنا عليّاً كرّم الله وجهه يستعطيه فوق عطائه، وها هو عقيل نفسه يتحدث فيقول: جمعتُ صبياني وجئت بهم عليّاً ، فقال: ائتني عشيةً ، لأدفع إليك شيئاً ، فجئت يقودني ولدي، وكان قد ضعف بصري، فأمر عليٌّ أن يتنحى ولدي عني، ثم قال: ألا فدونك، فهويت على ما أمامي وقد غلبني الجشع ، أحسبها صرّةً ، فوقعت يدي على حديدة تلتهب ناراً ، فلما قبضتها نبذتها وخرتُ كما يخور الثور تحت يدي جازره، فقال لي عليّ : ثكلتك أمك أكل هذا من حديدةٍ أوقدت لها نار

---

[1] فواقاً : الفواق ما بين فتح اليد وقبضها على ضرع الناقة للحلب.

فكيف بي وبكَ غداً إن سُلِكنا في سلاسلِ جهنّم ، ثم تلا قولَ الله تبارك وتعالى في سورةِ غافر: ﴿ إذ الأغلالُ في أعناقِهِمْ والسّلاسِلُ يُسْحَبون(٧١)في الحَميمِ ثُمَّ في النّارِ يُسْجَرُون(٧٢) .﴾

ثم قالَ لي: ليس لك عندي فوق حقّكَ الذي فرضه الله لكَ إلّا ما ترى، فانصرفْ إلى أهلِك.

ومن شاءَ أن يعرف كيف تُكوِّنُ الثقافة الدينيّةُ أبطالاً ، وكيف تنشئ الشمائل المحمّدية أعزّاءَ الرجال ؟ فلينظر شمائل سيّدنا الإمام عليّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ الله وجهه .

لقد بُعث سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليٌّ بن أبي طالب حدث ، فكان ربيب النبوّة ، وعضواً في الأسرة المحمّدية، أستاذه القرآن الكريم، وقدوته الرسول الأمين عليه وآله الصلاة والتسليم.

فأمّا شجاعته ونزاهته وصلابته في الحقّ، فقد بحثنا فيها عن وشلٍ من فيض، وأما علمه وفقهه، فشيء قد انطوت عليه الصحائف، وأودعته الكتب، وحسبك من علم سيّدِنا عليّ رضي الله عنه أن يقول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فيه : (لولا عليٌّ لهلكَ عُمر) ويقول فيه أيضا: (لا يفتي أحدٌ في المسجد وعليٌّ حاضر).

غير أنّنا نذكر لسيّدنا علي رضي الله عنه ، بديهة من بدائهه العلميّة، لولا أن شهودها هم شهود المسجد الجامع لكدنا نشكُّ فيها.

وقف سيّدنا الإمام علي يخطب ، ويعظ الناس في المسجد الجامع بالكوفة، فلما بلغ في خطبته إلى قوله: (وإلى الله المآب والرجعى) قام إليه رجل من طرف المسجد وصاح يستفتيه في الميراث : ما نصيب زوجة كان معها بنتان وأم وأب ؟

فتفهم سيّدنا عليّ الجواب وأجابه في أسلوبه الخطابي، كأنما سياق الخطبة باقٍ ، لم تؤثر فيه المقاطعة ، (صار ثمن الزوجة تسعاً)[1] وذلك لا يكبر على سليقة القاضي، ونفوذ رأيه ، وحدّة فهمه.

ويتفاخر العلم الحديث ، وتذهب صيحاته كل مذهب، في حقوق الإنسانية، وفي مبادئ الدساتير، وإن من الوفاء للحق، أن نعرف لآبائنا ما كان لكتلب الله فيهم من تثقيف وعلمٍ وخلق ، أجدت على الإنسانية أجيالاً طويلةً ، سعادةً ونعيماً ، وحقاً وعدلاً .

إنّ لسيدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه دستوراً ، هو في الحق أبو الدساتير، فهو يقرر حقوق الرعية، ويحدّد السلطات ، ويحصّن القضاء، ويحمي القضاة، حتى منع العزل ــ الذي يهتفون به اليوم، كان مقرراً في دستور سيّدنا عليّ رضي الله عنه منذ ثلاثة عشر قرناً ــ وهو إلى ذلك ، صورةٌ عليا للسياسة الرشيدة، لم يدع شيئاً من فضائل الحكم ، ولا كرائم الولاية ، إلا أتى عليها، فيضاً مما تجيش به الفطر السلمية، مطبوعاً بالطبع الديني الأسمى، هذا الدستور بعث به سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى واليه على مصر، ليعمل به في حكم البلاد، وإن شئت فهو دستور السياسة الإسلامية لرجل الإسلام سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه، يقول سيّدنا علي لواليه فيما يجب علي الوالي لرعيته:

أشعرْ قلبك الرحمة بالرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً ، تغتنم أكلهم، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ، وممن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنك ألا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله ، كان الله خصمه دون عباده.

واستمعوا إلى الفصل الذي عُقد في هذا الدستور، لمقت الوقيعة والتجسّس على الحكام إنه يقول: (وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم

---

[1] حسبها سيّدنا علي وعرف أن المسألة عالت ، وقد مر ذكرها سابقاً في كتابنا هذا.

لمصائب الناس، فإن في الناس عيوباً ، الوالي أحقٌّ من سترها، فلا تكشفنَّ عمّا غاب عنك، ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين، ولا يكوننَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة.

فيا لها من أحكام دستوريّةٍ، امتزج فيها القانونُ بالخلق.

بعد هذا ننتقل إلى ما عني به المشرّع في دستوره من رعاية خراج الدولة، وفي جباية الضرائب، إذا ما أزمت أزمة، إنه يقول: وتفقّدْ أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً ، فإن شكا الناس ثقلاً أو علّةً أن انقطاع شرب ، أو غرقاً اغتمر الأرض، أو عطشاً أجحف بها، خفَّفْتَ عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلنَّ عليك شيء خفَّفْتَ به المؤونة عنهم، فإنّما يؤتى خراج الأرض من إعواز أهلها.

هل رأيتم سياسة عمرانيّةً، أنزه من تلك السياسة الإسلاميّة البارّة؟ وهل رأيتم حناناً من الراعي على رعيّته، أبلغ من ذلك الحنان ؟ اللهمّ اشهد..

ولننتقل من هذا ، إلى ما يبهر علماء العدالة، حتى يتلفتوا إلى الإسلام من وراء القرون، وهو يبني للعدالة وللقضاء الحصون المنيعة، وينسج للقضاة دُروعاً واقيات.

حصّنَ سيّدُنا عليّ رضي الله عنه القضاء، وحمى القضاة، من قبل أن تعرف تلك المبادئ في النظم الحديثة ، وتلك لعمر الحقِّ عظيمة من عظيمات الإسلام، فاستمعوا إلى الإمام رضي الله عنه وهو يقول:

(واختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممّا لا تضيق به الأمور، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وليكن القاضي أوقف الناس عند الشبهات، وآخذهم بالحجج ، وأقلّهم تبرُّماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحقّ،ممّن لا يزدهيه إطراء، ولا يستمعه إغراء، وأولئك قليل ، ثم أكثر بعد ذلك تعهّد قضائه، وأفسح له في البذل، ما يزيل علته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً .

شخصيّةُ سيّدِنا عليّ الإسلاميةُ المِثاليّةُ

أبرزنا فيما سلف بعض الخصائص والنقائب التي تجلت في حياة أمير المؤمنين سيّدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ونحن الآن بسبيل أن نتعرف الأسباب التي اكتملت لتلك الشخصية العظيمة، والمقدّمات التي انتهت إلى النتائج الباهرة في حياة هذا البطل الإسلاميّ المثاليّ ، حتى جعلته يؤثّر في الأحداث الكبرى، ويوجه التاريخ توجيهاً عجبًا .. واثقا بربّه ، وواثقاً بنفسه..

نشأةُ سيّدِنا الإمامِ عليٍّ

نشأ أميرُ المؤمنين سيدنا الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه ، في بيت النبوّة ، وترعرع في كنف سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وذلك أنَّ تكاليف الحياة كانت قد اشتدّتْ على أبي طالبٍ ، والد سيّدنا عليّ ، وعمٍّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، وكان عائلاً كثيرَ الأولاد ، فعالج

سيّدُنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بأن ضمَّ عليّاً إلى أسرته المحمّدية ، وأشار على عمّه العباس أن يرعى جعفراً ، وبذلك تتوزّعُ أعباءُ الحياة ، وتخفّ عن العمّ أبي طالب ، في السنين الحازبة .

وكان صنيع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، برّاً بعمه ، وردّاً للصنيع الجميل ، يوم رعاه ، ودافع عنه ، بعد وفاة جدّه عبد المُطّلب ، وهكذا أصبح سيّدُنا عليّ رضي الله عنه أوّلَ صبيٍّ آمنَ بالرسالة المحمّدية، ورأى عن كثبٍ صوراً للفضائل النبويّة بل أتاحت له تلك التربية أن يتلقّى الشريعة من ينابيعها الأولى ...

وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعوه بأخيه ، وهنا تحضرنا ملحة لأمّ أيمنَ الحبشيّةِ، التي حضنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طفولته ، كانت تسمعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يدعو عليّاً بأخيه ، تقول أمُّ أيمن : تلقى الآداب المحمّدية ، ورأى رأي العين النقائب النبويّة ، وأخذ الدين من فم صاحبه ، فتأثّر بذلك كلّه ، ثمّ أعانه استعدادُ قرشيٍّ هاشميٍّ، فحفظ وفقه وعلم وأحكم ما علم ، حتى أصبح مرجعاً في الحديث والفقه وحكم التشريع والفتوى [1] ، وصحّة الرأي في الأحداث التي تقع ، ولقد قال فيه عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه : " إنّ علّياً أقضانا ".

وقد زوّجه الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم بابنته السيّدة فاطمة الزهراء ، التي كانت الوحيدة ، في النسل الكريم ، فقد جاءت بالسِّبْطين الحسن والحسين ، ومنهما نبعت الذرّية الباقية الطاهرة على الأحقاب والأجيال .

---

[1] ولقد شرحت للسادة القراء العشرات من فتاويه القيمة ، فيما مر معنا في هذا الكتاب.

وسيدنا عليٌّ رضي الله عنه ، على ما أوتي من تلك الخصـــائص ، كان بليغاً فصيحاً ، فحكم البيان ، قوي الحجة ، شديد العارضة ، ومع هــذا كله فقد امتاز بشجاعة القلب ، وقوة العزم ، وصـــدق البــلاء ، ومضــاء الإرادة ، فأكبرتهُ نفوسٌ ، وحسدته نفوسٌ ، وقديماً كان في الناس الحسد.

وحسبك أن جميع الغزوات المحمدية ، كاد سيدنا علـــي أن يكــون بطلها وصنديدها ، أحد المشهورين من بين مغاويرها .

ففي غزوة بدرٍ ، وهي الموقعــة الحاســمة فــي تــاريخ الدعــوة الإسلامية ، انبرى سيدنا علي فصرع من صناديد قريش ، الوليد بن عُتبــة، ثم أجهز على عتبة بن ربيعة ، ثم توالت صرعاه في جميع الغزوات .

ولقد صار لتلك الشخصية رهبة وخوف يمازجها إحَنٌ وضغــائن ، انطوت عليها قلوبُ الموتورين ، من بعض البيوت والقبائل ، فكم وكم مــن بطلٍ كان يزهى بشجاعته ، فأرداه سيف الإمام ، وكم من حصنٍ دكّه علــى أصحابه ، وأخرجهم منه أذلَّةً مدحورين ، وقذف بهم من صياصيهم.

ومن هنا ندرك كيف تلقّى سيدنا الإمام علي أمـــر هــذه الأمــة ، وكيف كان فريق منها يخشاه ويرهبه ؛ بل ينتقم منه فــي الحــروب التــي جرحت قلوبهم ؛ وأسالت دماءهم فلم يبادر هذا الفريق إلى بيعته بالخلافــة ، ولم يتحمس لجمع الكلمة بعد أن صُرِعَ شهيدُ الدار عثمانُ بن عفان رضــي الله عنه .

ثبات في الزعازع ، وصمود للعواصف والمحن.

ما رأينا ولا علمنا ، أن اليقيــن بــالفكرة ، والإيمــان بــالعقيدة ، يحملاّن الأبطال ما حمل سيدنا علي رضي الله عنه ، من جحودٍ وتنكّــرٍ ، وتجمّع على إنكار حقّه ، وتجاهل قدره ، ومع اختــلاف الدوافــع يتلاقــى

خصومُهُ على صدِّه ، بل حربه ، وهو مع ذلك ثابت الجنان ، ثبوت الرواسي ، يدفع الأهوال ، ويصدُّ الأحداث ، ويصبر صبر أولي العزم ، وهنا يشرح الكاتب : بعض ما لقي الإمام بينه وبين الخوارج ، وبينه وبين عائشة ، وبينه وبين معاوية ، أرى عدم ذكرها ، لأنني شرحتها تماماً في نفس كتابنا هذا ، فلا حاجة لتكرارها .

غير أن المدرسة من تلاميذ سيِّدنا الإمام عليٍّ ، قد أنجبتْ رجالاً ، انطبعوا على غرارهِ من البسالة والشجاعة والإقدام ، والتضحية والفداء ، قد خالطت أرواحهم ، وامتزجت بقلوبهم عقائدُهم ، فهم لا يميلون ولا ينحرفون ، وإذا ما رمى بهم إمامُهم سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه في ميدان من الميادين ، فدمهم فدية للفكرة والعقيدة ، حيث كانوا؛ فمن هؤلاء:الأشتر النخعيّ ، وجرير بن عبد الله البجلي ،ومعقل بن قيس ، وصعصعة بن صوحان ، وإن هذه المدرسة العلويّة ، قد تخرَّجَ منها كثير من القوّاد ، الذين تأثّروا بأفكار الإمام ، وتتبّعوا آثاره وخطواته ، وتنتقل بشخصيّته ، وتدفع لكل كميٍّ أبيٍّ شجاع ، لا ينحرف ولا يهاب المنايا ، إلى أن حدثت المؤامرة على الإمام ، وعلى معاوية ، وعلى عمرو بن العاص ، من قِبَل الخوارج ، وتمّتْ باستشهاد الإمام صابراً محتسباً [1] .

هكذا انتهتْ وانطوتْ تلك الحياةُ الجيَّاشة ، وانطوت تلك الصحف، التي امتلأت مجداً وفخراً ، وكرامةً وسؤدداً ، ولكن مع هذا بقيت وستبقى آثار سيِّدنا الإمام عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، مَناراً ونبراساً وهدًى ونوراً ، لكلِّ مسلم في مشارقِ الأرض ومغاربها .

وهنا نحنُ الآن في القرن الحادي والعشرين نجدِّدُ الحبَّ والولاء لهذا الإمام تحت الموت ونسألُ الله أن يحشرنا في زمرته مع النبيِّين والمرسلين وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

---

[1] وقد شرحتها سابقا مفصّلة للسادة القراء ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم .

خُلاصةٌ قيِّمةٌ في تاريخ الشَّهيد وأبي الشُّهداء سيِّدنا الإمامِ عليٍّ كرّم اللهُ وجهَهُ للحِفْظِ والاتّباعِ

ـ نسبُه : هو سيِّدُنا الإمام علي بن أبي طالب ابن عم الرسول المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

ـ نشأتُه : تربَّى سيِّدُنا الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ، في بيتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، منذ صغره ، فنشأ على الصفات الكريمة والأخلاق الحميدة ، المقتبسة من الرسول العظيم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؛ آمن سيِّدُنا عليٌّ كرم الله وجهه بالدعوة الإسلامية وهو صغير، فكان أول من آمن من الصبيان ، ولما كبر زوَّجه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ابنته السيِّدة فاطمة الزهراء ، وأنجبتْ من أبنائها السيِّدين القمرين النيِّرين ، سيِّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين ، رضي الله عنهم جميعاً .

ـ صِفاتُه : هو من كبار صحابة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، عُرف بصفاتٍ عديدةٍ ، فهو من أكثرِ الصحابة علماً ، وأشهرِهم فقهاً ، وأبلغِهم خطابةً ، وأجزلِهم لفظاً ، وأعلاهم قدراً وذكاءً ، وعاش حياة الزهد والتقشُّف ، وإلى جانب هذا اشتهر بشجاعته وإقدامه ، فقد نام في فراش الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الهجرة ، معرّضاً نفسه للخطر ، فادياً الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بروحه وجسمه ، وقد اشترك في غالبية غزوات الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فكان البطل المغوار المبارز في غزوة بدرٍ ، وهو من الفئة التي ثبتتْ مع الرسول

صلّى الله عليه وآله وسلّم في غزوة أُحدٍ ، وله دور عظيم لا ينكر في غزوة الأحزاب .

ـ خلافتُه : حرّك أعداءُ الإسلام الفتنة وأثاروها ، فاستشهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وحدث اضطرابٌ داخليّ ، بايع المسلمون بعد ذلك سيّدنا عليّاً بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، من سنة ٣٥ ـ ٤٠ هـ فأصبح رابعَ الخلفاءِ الراشدين .

ـ أهمُّ الأحداثِ في خلافتِه :

١ـ عزلَ سيّدُنا الإمام عليٌّ رضي الله عنه بعض الولاة الذين كثرت منهم الشكوى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٢ـ ردّ الهبات والقطائع إلى بيت مال المسلمين أو إلى أهلها .

٣ـ عارضَ معاويةُ خلافةَ سيّدِنا عليّ رضي الله عنه ، وطالب بمعاقبة قتلة عثمان ، ولم يقبل أي تأخير في ذلك ، فدخلت خلافةُ الإمامِ عليّ رضي الله عنه طوراً جديداً .

ـ موقعةُ الجَمَل :

عندما استشهد الخليفةُ عثمان رضي الله عنه ، كانت السيّدةُ عائشةُ رضي الله عنها تؤدّي فريضة الحجّ الشريف ، فلمّا علمت بما حدث في المدينة المنورة من قتل عثمان ، ثارتْ عائشةُ وطالبت بالقصاص ممّن اشترك في قتل عثمان ، وقد شاركها في ذلك الطلب بعض الصحابة الكرام كطلحة بن عبد الله ، والزُّبير بن العوام ، خرج المعارضون لخلافة سيدنا الإمام عليّ إلى البصرة ، فلما علم سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه بخبر خروجهم ، تحرّكَ نحوهم .

وَصَلَتْ عائشةُ رضي الله عنها ومن معها إلى البصرة ، ثم وصلها فيما بعد سيّدُنا عليٌّ رضيَ الله عنه ، ودارت مفاوضات الصلح بين الطرفين ، وقد أصبح الاتّفاق وشيكًا ، ولكن السبئيين ــ جماعة اليهوديّ عبد الله بن سبأ ــ تحرّكوا في الظلام ، وهاجَموا أهلَ البصرة الذين اعتقدوا أن قوّاتِ سيّدنا عليٍّ بادرتهم بالهجوم ، فوقع القتالُ بين الطرفين ، ونجح السبئيّون في إشعال القتال بين فئتين من المسلمين ، ونشبت معركة الجَمَل ، التي حلّت فيها الهزيمة بأهل البصرة وراح ضحيّتها كثير من المسلمين ؛ منهم الزُّبير ، وطلحةُ رضي الله عنهما ، وغيرُهما من رجالات الإسلام .

أما عائشةُ فقد أحسن سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه معاملتها ، وأرسلها معزّزةً مكرّمة إلى المدينة المنورة .

ـ مَوْقِعةُ صِفّين :

بعد أن انتهى سيّدُنا الإمامُ عليّ رضي الله عنه من موقعة الجمل ، وجّه جهوده إلى إخضاعِ المعارضين له في الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان ، الذي تملّك قلوبَ الناس ، فأطاعوه وأخلصوا لهُ .

أرسل سيّدُنا الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه ، الرُّسُلَ لحضّ معاوية على البيعة حقناً لدماء المسلمين ، ولكنّ معاوية رفض ،وأخذ يطالبُ سيّدَنا عليّاً بدم عثمان ، فتأزّمت الأمورُ بين الطرفين ، واشتبك الفريقان في معركة صفّين عام /٣٧/ هـ التي راح ضحيّتَها عددٌ كبيرٌ من الطرفين.

وعندما أوشكُ النّصرُ أن يتحقّق لجيشِ سيّدِنا عليٍّ رضي الله عنه، لجأ معسكرُ معاوية إلى المكر والحيلة والخديعة ، فرفع برأي عمرو بن العاص جندُ الشامِ المصاحفَ وقالوا :

نحكّم كتاب الله ؛ مع أن الخليفة الإمام عليّاً رضي الله عنه طالبهم بـالمُضيّ في القتال ، موضّحاً لهم أنها خدعة ومكيدة ، ولكنهم استمرُّوا إلى موقفـهم، وهدّدوه بالتخلّي عنه .

أمام هذا الموقف ، خشي سيّدنا عليٌّ رضي الله عنه فتنةً جديدةً ، فقبل مبـدأ التحكيم ، واتفق الطرفان على أن يختار كلٌّ فريق رجلاً يمثّله ، أو يكـون قرار الرجلين ملزماً للطرفين المتنازعين ؛ اختارَ أهل الشام عمـرو بـن العاص ممثّلاً لهم في التحكيم ، في حين اختار أهل العـراق أبـا موسـى الأشعريّ ليكون ممثّلهم ؛ دون رضى سيّدنا عليٍّ لأنه ضعيف أمام عمـرو ابن العاص .

ـ التَّحْكيمُ :

التقى الحكمان في دَوْمة الجَنْدل ، وبعـد مـداولات ومناقشـات ، انتهى الأمر أن خلع أبو موسى الأشعريُّ كلّاً من سيّدنا علـيّ رضـي الله عنه ومعاوية من الخلافة ، وترك للمسلمين حرّية اختيار منْ يتولّى أمرهم؛ أما عمرو بن العاص فوافق على خلع سيّدنا عليّ ، وثبّـت معاويـة فـي الخلافة ، وهكذا انتهى التحكيم إلى الفشل ، فاستعد الطرفان للقتال .

ـ موقعةُ النَّهْرَوان :

بعد أن قبل أهلُ العراق فكرة التحكيم ، وأكرهوا سيّدَنا علياً رضـي الله عنه إلى قبولها ، طالبه بعضهم بالرجوع إلى القتال ، فرفض موافقتـهم، فخرجوا عليه ، ولذا سُمُّوا بالخوارج ، وقد حاول سيّدنا علـيٌّ رضـي الله عنه إقناعهم ، فأرسل لهم الرسل لمفاوضتهم ، ولكنّهم استمرُّوا في موقفـهم

فاضطر لحربهم عام ٣٨ هـ في موقعةِ النَّهروان [١] ، التي قتل فيها عددٌ كبيرٌ منهم .

استشهادُ الإمام سيِّدنا عليّ كرّمَ اللهُ وجْهَهُ :

اتفق ثلاثةٌ من الخوارج على قتلِ معاويةَ وعليٍّ وعمرو بن العاص، ومن ثم يختار الناس لهم خليفة من جديد ، فنجح أحدهم ، ويدعى عبّد الرحمن بن مُلْجَم في قتلِ سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه في ١٧ رمضان عام /٦٣/ هجرية ، أمّا عمرٌو ومعاويةُ فقد نجا كلٌّ منهما من المؤامرة ؛ وباستشهاد الإمام سيّدنا عليٍّ كرّمَ اللهُ وجهَهُ ، انتهى عصرُ الخلفاء الراشدين ؛ الذي استمرَّ قرابةَ ثلاثين عاماً .

هذا ما استطعتُ تلخيصه لك يا أخي القارىء ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وفي ختامِ ما كتبتُ ، الحمدُ لله أوّلاً وآخِرًا .

---

[١] النهروان : عدة قرى بين واسط وبغداد .

من حِكَمِ هذا الإمام كرم الله وجهه

قال رضي الله عنه : البخلُ عارٌ ، والجبن منقصةٌ ، والفقرُ يُخرس الفطن عن حُجّته ، والمُقلُّ غريبٌ في بلدته ، والعجزُ آفةٌ ، والصبرُ شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جُنّةٌ ، نِعمَ القرين الرضا ، والعلمُ وراثةٌ كريمةٌ ، والآدابُ حُللٌ مجددة ، والفكرُ مرآة صامتة .

ــ إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ ، أعارته محاسنَ غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسه .

ــ إذا قدرتَ على عدوِّكَ ، فأجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

ــ من أبطأ به عملُه ، لم يسرع به نسبه .

ــ ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات قلبه .

ــ خيرُ إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك .

ــ خيرُ مالكَ ما أعانك على حاجتك .

ــ من كان في النّعمة ، جهل قدر البلية .

ــ السؤال مذلّة ، والعطاء محبة .

ــ صحبةُ الأشرار ، تورث سوء الظنّ بالأخيار .

ــ الحرُّ حرٌّ ، ولو مسَّهُ الضرُّ .

ــ ما ضلَّ من استرشد ، ولا خاب من استشار .

ــ المودّة بين الآباء صلة بين الأبناء .

ــ أجودُ الكلام ما قلّ ودلّ ، ولم يطُلْ فيُمِلّ .

ــ جليس المرء مثله .

ــ خَف من الله ، تأمن غِيَرَهُ .

ــ خالف نفسك تسترحْ .

ــ من علم أن كلامه من عملهِ ، قلَّ كلامه إلا فيما يعنيهِ .

ـ الناسُ أعداء ما جهلوا .

ـ الناسُ من خوف الذلّ في الذلّ .

ـ الصبرُ مطيَّةٌ لا تكبو ، وسيفٌ لا ينبو .

ـ قيمة كل امرىءٍ ما يحسنُ .

ـ أستغنِ عمن شئت تكن نظيرهُ ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسِنْ إلى من شئتَ تكن أميرَه .

ـ الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

ـ بَشّر مال البخيل بحادثٍ أو وارثٍ .

ـ إعادة الاعتذار ، تذكيرٌ بالذنب .

ـ كثرةُ الرِّفقِ نفاقٌ ، وكثرة الخلافِ شِقاق .

ـ من أكثر فكره في العواقبِ لم يَشْجُعْ .

ـ الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب .

ـ أكثر مصارع العقول ، تحت بروق الأطماع .

ـ يعيشُ البخيلُ في الدنيا عيشَ الفقراء ، ويُحاسَبُ في الآخرة حسابَ الأغنياءِ .

ـ الولايات مضامير الرجال .

ـ الناسُ أبناءُ الدنيا ، ولا يُلامُ الرجلُ على حُبّ أمِّهِ .

ـ خيرُ الأصحابِ من يدلّك على الخير .

ـ دليلُ عقل المرءِ فعلُه ، ودليل عمله قوله .

ـ دوامُ السرور، برؤيةِ الأخوانِ .

ـ رفاعة العيش في الأمن .

ـ دُم على كظم الغيظ تُحمد عواقبك .

ـ ذكرُ الموت جلاءُ القلوب .

ـ زينةُ الباطن ، خيرٌ من زينة الظّاهر .

ـ الناس نيامٌ ، فإذا ماتوا تنبّهوا .

ـ ما هلك امرؤ عرف قدره .

ـ المرء مخبّوءٌ تحت لسانه .

ـ من عذب لسانه ، كثر إخوانه .

ـ بالبرّ يُستعبد الحر .

ـ لا مروءة لكذوب .

ـ لا داء أعيا من الجهل .

ـ لا مرض أضنى من قلّة العقل .

ـ المرء عدوٌ ما جهل .

ـ النصحُ بين الملأ تقريع .

ـ إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام .

ـ الحرمان خيرُ من الامتنان .

ـ من طلبَ ما لم يعنه ، فاته ما يعنيه .

ـ من كثر مزاحه لم يخلُ من حقدٍ عليه ، أو استخفافٍ به .

ـ قلب الأحمق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه .

ـ رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، أو دُعي إلى رشادٍ فدنا .

ـ رحم الله امرأً أخذ يحجزهُ هادٍ فنجا .

ـ رحم الله امرأً راقب ربه ، وخاف ذنبه .

ـ من فرَّطَ في عمله ، لم ينتفع بشيء من أمله .

ـ ليس شيء أحسنَ من عقلٍ زانه علمٌ ، ومِن علمٍ زانه حُكْم ، ومن حِلـــم زانه صِدق .

وكان رضي الله عنهُ يخافُ من اثنين : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فقـال كرّم الله وجهه :" أمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة ، وأمّـا اتّبـاع الـهوى ، فيصدُّ عن الحق ، ألا وإنَّ الدنيا قد ولّتْ مُدْبِرة ، والآخـرة قـد أسـرعتْ

مقبلةً، ولكل واحد منها بنون ، فكونوا من أبناءِ الآخرة ، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا ، فإن اليوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ".

لذا ثبت عنه أنه قال :" أوصيكم بخمسٍ لو ضُربت لها أكباد الإبل لكان قليلاً : لا يرجوَنَّ أحدُكم إلا ربَّهُ ، ولا يخافنَّ إلا ذنبَهُ ، ولا يستحي إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلَّم ؛ واعلَمْ أن الصَّبْرَ من الإيمانِ ، بمنزلة الرأسِ من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد ، فرحم الله عبداً خاف الله خوفاً يزجُره عن المعاصي ، ويرجوه رجاءً يرغِّبُهُ في ثوابه ".

ثم قال رضي الله عنه :" فمِنْ هوانِ الدنيا على الله ، أنّه سبحانه وتعالى ، يجمع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ؛ والكافر يأكل ويشرب ويلبس ويستمع ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ؛ وذلك لحكمة اقتضتْها حكمةُ أحكمِ الحاكمين ".

ثم قال :

وإليكم أيّها السادةُ القرّاءُ ؛ وصفَ آلِ البيت على لسانِ مُحبِّهم فيما يلي :

وَصْفُ آلِ البَيْتِ على لسانِ الشاعرِ الفَرَزْدَقِ

الفرزدقُ شاعرٌ عربيٌّ من بني تميم واسمُه : همّامُ بنُ غالب ، وكان يحبُّ آلَ البيت حبّاً جمّاً؛ ولد الفرزدق سنة ١٩ هـ ونشأ بين البصرة والبادية ، وأتى أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسأله عنه ، فقال : هذا ابني يوشكُ أن يكون شاعراً مُجيداً، فقال كرّم الله وجهه : أقرِئْهُ القرآنَ ، فأقرأَهُ القرآن فحفظه عن ظهرِ قلبِه.

وقد حج البيت الحرام، ورأى الناس تُفسح طريق الطواف بالكعبة، مهابة وإجلالاً للإمام التقي الورع زين العابدين حفيد سيّدنا عليٍّ رضي الله عنه ، فسأل هشام[1] الخليفة الذي لم يستطع أن يطوف بالكعبة ، فأمر أن يُصنعوا له كرسّياً عالياً ، يجلس عليه ، وينظر إلى الحُجّاجِ الطائفين ، وسأل عن هذا الرجل المهيب ، ورأى الناس تُفسح له طريقاً واسعاً إلى الكعبة ، ثم طاف وعاد بسهولةٍ ، والناسُ تتبارك به وتعظّمه ، وهشام يعرفه ، ولكنه يتجاهله، وأخذ يسألُ الناس عنه ، ولما سُئل الفرزدق عنه قال بكل فصاحةٍ وبيانٍ وافتخارٍ واعتزازٍ :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيت يعرفُه والحلُّ والحَرَمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

وليس قولُك من هذا ؟ بضائرِه ... العُرْبُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

إذا رأته قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

ينمى إلى ذروةِ العزِّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ

يُغْضي حياءً ويُغضىٰ من مهابتِه ... فلا يُكلَّم إلا حينَ يبتسمُ

بكفِّه خيزرانُ ريحها عبِقٌ ... من كفِّ أروع في عرنينِه شَمَمُ

يكاد يُمسكه عرفانُ راحتِه ... ركنَ الحطيم إذا ما جاءَ يستلم

ينشقُّ ثوبُ الدجى عن نور غرَّتِه ... كالشمس تنجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ

من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهمُ ... كفرٌ،وقربُهمُ منجًى ومُعْتَصَمُ

إن عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمّتَهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمُ

. . .

---

(١)هشام بن عبد الملك ــ الخليفة الأموي ــ.

أيها السادة القراء ؛ هذا ما استطعت أن أقدمه لكم ، عن هـــذه الشـــخصية الفذة ، في عالمنا العربي والإسلامي ، من عالمنا البشري ، في عالم المجد والخلود ، شخصية الإمام أبي الريحانتين المرتضى سيدنا علي رضـــي الله عنه ، وهي زبدةٌ خالصةٌ ، وليست هي بالتطويل المملّ ، ولا بالاختصـــار المخلّ ، بل هي معتدلة فيما كُتبت عن سيدنا الإمام علي كـــرم الله وجهـــه وأرضاه ، ولا ننسى أن نتذكّر دائماً آل رسول الله صلّى الله عليـــه وآلـــه وسلّم ، وعترته الطاهرة ، التي قلتُ فيهم مترنماً شادياً :

همُ القومُ من أصفاهُمُ الودّ مُخلصاً

تمسّك في أخراهُ بالسَّببِ الأقوى

فالتزموا يا ساداتي القراء ، محبة آل البيت ، بيت رســـول الله صلّـــى الله عليه وآله وسلّم ، وعِترته الطاهرة ، واملؤوا قلوبكم بمودّتـــهم واتباعـــهم وتخلقوا بأخلاقهم ، وتأدبوا بآدابهم ، وحبُّوا من أحبَّهم ، حتى نلقى الجميـــع في شفاعة الرسول الكريم ؛ واحذروا كلَّ الحذر من عداوتهم ومخالفتـــهم ، أو الانتقاص من كرامتهم ، خوفاً من أن نقع في جحيم القطيعـــة والنـــدم ، ونكون يوم القيامة من أصحاب الجحيم ، مع قارون وهامان وفرعون وأُبي بن خلف وأبي جهل ، عافانا الله من ذلك .

وإني أذكّركم بقول الإمام محمّدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ عـــالمِ قريـــش رضي الله عنه :

يا آلَ بيتِ رسولِ الله حبُّكُمُ ... فرضٌ من الله في القرآنِ أنزَلهُ

يكفيكمُ من عظيمِ الفخرِ أنّكمُ ... مَنْ لمْ يُصَلِّ عليكم لا صلاةَ لهُ

أي ليست له صلاة كاملةً أو صحيحة ، على قولٍ مرجوعٍ للإمـــام الشافعيِّ ، وقد دلّت الأحاديثُ المتواترةُ على حبّ آل رسول الله ، وعترتـــه الطاهرة ، وتحريم بغضهم ، كما صرَّحَ العلماءُ بذلك .

فكونوا يا معشرَ القرّاءِ من مُحبيهم ، ولا تكونوا الثانيـــةَ فتــهلكوا وتندموا ، ولاتَ حينَ مندمٍ ، والله العلي القدير يلــهمنا الخــير والصــواب والهداية والتوفيق .

وأنني أستغفرُ الله العظيم من كلِّ قــولٍ وفعــلٍ ، يخــالف الحــقَّ والحقيقة والصواب ، من بدء هذا الكتاب إلى خاتمتـــه ، والحمــد لله ربِّ العالمين .

أيُّها السادةُ القرّاء لقد جعلت كتابي هذا خلاصةً موجــزةً للطــلّابِ الذين طلبوا منّي تلخيصَ تاريخ الإمام عليٍّ رضي الله عنه ، لحفظها عــن ظهر قلب ، ولما فيها من نفع عام بإذن الله تعالى .

وقد أوجزتُها استجابة لهؤلاء الأحبّة ، وقلتُ لهم اقرؤوها في آخــر المنهل العليِّ هذا ، وانقلوها منه لحفظها ، وباركَ الله فيكم ، وفتح عليكــم إنّهُ سميعٌ مجيب .

وها هي مهداة لأولئك الشباب بارك الله فيهم ، وحشرني الله وإيّاهم في زمرة الإمام وآله الأطهار وشيعته الأبرار ، والسلام عليكم ورحمــة الله وبركاته .

دُعاءُ وابْتِهالٌ

أختم كتابي هذا المنهل العليّ بتاريخ أمير المؤمنين ســيّدنا الإمــام المرتضى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنــه بآيــاتٍ قرآنيــة للذكــرى والاعتبار والإنصاف :

قال الله تعالى :

﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا من لَدُنْكَ رحمةً إِنَّكَ أنتَ الوَهّابُ﴾ من سورة آل عمران آية /٨/ .

وقال تعالى :

﴿إِنَّ اللّهَ وملائِكَتَهُ يُصلُّونَ على النَّبِيِّ يا أيُّها الذينَ آمنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْليماً﴾ من سورة الأحزاب آية /٥٦/ .

وقال تعالى :

﴿إِنّما يُرِيدُ اللهُ ليذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ من سورة الأحزاب آية /٣٣/.

وقال تعالى :

﴿رحمةُ اللّهِ وبَرَكاتُهُ عليكُمْ أَهْلَ البيتِ إِنَّه حَميدٌ مَجيدٌ﴾ من سورة هود آية /٧٣/ .

هؤلاء أهلُ البيت الذين دخلوا مدينة العلم النبويّ من بابِها ، وتمسّكوا بالثقلين " كتاب الله ، وسنّةِ جَدِّهم رَسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم " وقد قرأتم قولَ الله فيهم .

الختام

أيُّها السادة القرّاءُ الأكارم ، إنّني بكل صراحةٍ وثبات ، قدّمْتُ لكم كتابي هذا (المنهل العليّ بتاريخ سيِّدنا الإمامِ أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبي طالبٍ كرّمَ الله وجهه) .

أقدّمه بكلّ تواضعٍ ، خدمة لله تعالى ، وتقرّباً إليه ، وحبّاً بالرسول الأعظم سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وخدمة لأمير المؤمنين أبي الحسنين الشهيدين ، وأبي الشهداء ، صهر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وابن عمّه .

ولساني يقول مصرّحاً في الختام:

إني أقولُ مقالتي[1] غير خافيةٍ ولست أرهبُ خصماً إن بدا فيهِ

ما من سبيلٍ إلى إثْبات قولتنا في العلم فخراً لما أصبحتُ أرويهِ

والسلام على من قَرَأ فدرَى ، وسمعَ فوعَى ، ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله في البدء والختام .

ربيع الأول ١٤٠٦ هـ الموافق عام ١٩٨٥ م .

مُحبّكم المؤلّفُ

محمّد نبهان الخبّاز

---

[1] كذا في الأصل ، والشطر مختلّ عروضياً . " المدقق " .

مصادر الكتاب ومراجعه

ـ القرآن الكريم ، كلام ربّ العالمين .
ـ كتب الصحاح في الحديث النبوي .
ـ السنن في الحديث الشريف .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل .
ـ كتاب الدلائل للبيهقيّ .
ـ كتاب الصواعق لابن حجر .
ـ كنز العمال للهندي .
ـ كتاب المختارة للضياء المقدس .
ـ تفسير القرآن للخطيب الشربيني .
ـ تفسير الواحديّ .
ـ تفسير ابن إسحاق الموصلي أحمد البقليّ .
ـ مختار الصحاح في اللغة .
ـ المصباح المنير .
ـ غريب القرآن للجتاني { نزهة القلوب }.
ـ تاريخ ابن جرير الطبري .
ـ تاريخ أبي الفداء إسماعيل .
ـ الخلفاء الراشدون لجماعة الأزهريين .
ـ عبقرية سيّدنا عليّ للعقّاد عبّاس محمود العقّاد .
ـ مع الأعلام من رجالات العروبة والإسلام .
ـ سباب قريش في العهد السري الإسلاميّ .
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهانيّ .
ـ نهج البلاغة بشرح الشريف الرضيّ .

تابع مصادر الكتاب ومراجعه

ـ نهج البلاغة للشيخ محمّد عبده مفتي الديار المصرية .
ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير .
ـ تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبريّ .
ـ كتاب المحاضرات للعلّامة الشيخ محمّد خضري بك .
ـ نزهة الفتيان في تراجم الشجعان .
ـ مجموعة خطب القاسميّ الدمشقيّ .
ـ الأدب المفرد للبخاريّ .
ـ فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد .
ـ نور الأبصار في مناقب آل البيت المختار .
ـ كتاب الأنوار للعلّامة أبي القاسم إسماعيل .
ـ بغية الطالب .
ـ هداية المسترشدين للعلّامة الشيخ عليّ محفوظ .
ـ سيرة محمّد للأستاذ الكبير محمّد رضا .
ـ تاريخ ابن عساكر .
ـ الأخلاق والواجبات للمغربيّ عبد القادر عضو المجمع العلمي بدمشق .
ـ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن عَلّان .
ـ الحقّ المبين في قضاء أمير المؤمنين سيّدنا عليّ رضي الله عنه .
ـ رياض الصالحين للعلّامة محمّد النوويّ .
ـ إتمام الوفا في سيرة الخلفا لمحمّد الخضريّ بك .
ـ بعث الهمم لموجز سيّد الأمم للمؤلّف .
ـ المحاضرات الإسلاميّة للجديليّ .
ـ فتاوى شرعيّة وبحوث إسلاميّة للعلّامة محمّد بخيت شيخ الأزهر.

تابع مصادر الكتاب ومراجعه

ـ كتاب المراجعات لشرف الدين عبد الحسين الموسويّ .

ـ مجلة لواء الإسلام لجماعة الأزهر وشيوخه .

ـ إتحافُ ذوي النجابة في فضائل الصحابة .

ـ جواهر الآداب للعلّامة أحمد الهاشمي .

ـ تاريخ ابن الورديّ .

ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل آله الطـــاهرين للشـيخ محمد صبّان .

ـ الاصطفا في سيرة النبيِّ المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم للمؤلّف .

ـ مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار للعلّامة الحسن بن العدويّ .

ـ الاستيعاب في تراجم الآل والأصحاب .

ـ الإصابة في تراجم الصحابة لابن حجر .

ـ الإمام جعفر أبو عبد الله الصادق للمؤلّف .

ـ تهذيب الآثار لابن جرير الطبريّ .

ـ المواهب اللدنة للقسطلانيّ .

ـ درّةُ الواعظين للعلّامة الشيخ إبراهيم عبد الباقي .

ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحبِّ الدين الطبريّ .

ـ فتح العلّام شرح بلوغ المرام للعلامة محمّد عبد الله الجردانيّ .

ـ كتاب المناقب للإمام أحمد بن حنبل .

ـ الرياض النضرة .

ـ كتاب المصابيح .

ـ عظماؤنا في التاريخ للدكتور السّباعيّ .

ـ كتاب مجمع الزوائد .

تابع مصادر الكتاب ومراجعه

ـ البداية والنهاية لابن كثير .

ـ الآثار الباقية للبيرونيّ .

ـ الدولة الفاطميّة للدكتور حسن إبراهيم حسن .

ـ كتاب رغبة الأمل .

ـ كتاب الجوهرة في نسب الإمام عليّ وآله للشيخ محمد الأنصاريّ .

ـ شخصيّات إسلاميّة في فجر الإسلام للمؤلّف .

ـ كتاب الظرف لابن الجوزيّ .

ـ المستدرك في الحديث للحاكم .

ـ أسد الغابة لابن الجوزيّ .

ـ مجلّة الأزهر لجماعة علماء الأزهر .

ـ تاريخ بغداد للخطيب .

ـ مسند الخوارزميّ .

ـ غاية المرام للعمرانيّ .

ـ كتاب المناقب للخوارزميّ .

ـ ينابيع المودّة .

ـ حياة الصحابة للعلامة الهنديّ .

ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلّة الأحكام .

ـ أدب الدنيا والدين للماورديّ .

ـ كتاب أسئلة حرجة وأجوبة صريحة للعلّامة وزير الأوقاف بمصر والشؤون الدينية الشيخ محمّد متولّي الشعراويّ .

ـ كتاب الخطابة لجماعة من المؤلّفين لدراسته في المدارس الشرعيّة للقسم الثانويّ .

تابع مصادر الكتاب ومراجعه

ـ كتاب كشف الأرتيات للعلّامة الشيخ محسن الأمين العامليّ .
ـ إفادة الأخيار ببراءة الأبرار للعلّامة محمد البتاني مدرّس الحرم المكيّ .
ـ كتاب الأعلام من رجالات العروبة والإسلام للكاتب محمّد عبد الرحمن الجديليّ .
ـ كتاب الدين والحرم للدكتور عبّاس كرّارة .
ـ كتاب المواريث في الشريعة الإسلاميّة على ضوء الكتاب والسّنّة لمحمّد عليّ الصابونيّ .
ـ كتاب الأمم الإسلاميّة لمحمّد خضريّ بك .

الفهرس

الموضـــــــــــوع	الصفحة
براعة الاستهلال	١
الإهداء	٢
مقدّمة الكتاب	٣
فضل أصحاب رسول الله وما جاء في فضلهم في الإسلام	١٢
تمهيد بين يدي القارئ الكريم	٢٣
نسب أمير المؤمنين سيّدنا الإمام كرّم الله وجهه	٢٥
كنية سيّدنا الإمام عليٍّ رضي الله عنه	٢٧
مولد سيّدنا الإمام عليّ ونشأته	٢٨
إسلامُه رضي الله عنه	٣٠
إخاءُ سيّدنا عليّ لسيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم	٣١
شخصيّة سيّدنا عليّ رضي الله عنه شخصيّة فذة في	
عالم التاريخ	٣٢
صفة سيّدنا عليّ الجسديّة	٣٢
زواج سيّدنا الإمام بالسيّدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها	٣٤
خطاب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في قران	
عليّ بفاطمة	٣٥
لمحة وجيزة عن السيّدة فاطمة رضي الله عنها	٣٦
كلمات خالدات في فضل السيّدة فاطمة رضي الله عنها	٤٢
سيّدنا الإمام عليّ سيّد العرب	٤٤

الموضـــــــــوع	الصفحة

سيّدنا الإمام عليّ سيّد المسلمين وأميرهم	٤٥
وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ كرّم الله وجهه	٤٥
شهادة الله تعالى في آل بيت رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم	٤٦
بعث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لسيّدنا الإمام عليّ لليمن	٤٦
شهادة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ لخصال خاصّة	٤٧
البيعة بالخلافة لسيّدنا عليّ رضي الله عنه	٤٨
الخطاب التاريخي للخليفة الجديد سيّدنا عليّ رضي الله عنه	٥٢
في هذا الوقت الحاضر (الثورة)	٥٣
سياسة سيّدنا الإمام عليّ في خلافته الدينيّة	٥٣
نقل دار الخلافة من المدينة المنوّرة إلى الكوفة	٥٤
الكوفة وبناؤها وآثارها	٥٤
دستور سيّدنا الإمام عليّ للأمّة	٥٦
قول الإمام في رعاية خراج الدولة والرفق في الجباية	٥٧
دستور الإمام عليّ في تحصين القضاء وحماية القضاء	٥٧
وصيّة سيّدنا الإمام لمن استعمله على الصدقات	٥٨
رأي يبدى للخليفة الجديد	٥٩
باكورة أعمال الإمام الخليفة الجديد سيّدنا عليّ رضي الله عنه	٦٠
استئذان طلحة والزبير سيّدنا عليّاً للعمرة	٦١
مسيرة عائشة وطلحة والزبير وابن عامر إلى البصرة	٦٢
مسيرة سيّدنا الإمام عليّ إلى البصرة بجيشه	٦٣
وقعة الجمل وما حدث فيها	٦٤
ذكر وقعت صفّين وأسبابها	٦٦

الموضوع	الصفحة

من رسائل سيّدنا أمير المؤمنين عليّ إلى معاوية بن أبي سفيان	٦٧
ردّ معاوية لسيّدنا عليّ رضي الله عنه	٦٨
التعقيب على رسالة معاوية	٦٨
رسالة معاوية إلى سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه	٦٩
كلمة لا بدَّ منها	٧٠
جواب الإمام سيّدنا عليّ لمعاوية	٧٠
وثيقة تاريخيّة للإمام يسجّلها للأنام	٧٣
شروط سرّية أو وثيقة خاصّة بين عمرو بن العاص ومعاوية	٧٣
وقعة صفّين الحربية وما حدث فيها	٧٤
خدعة التحكيم	٧٧
نصّ كتاب التحكيم	٧٨
تنفيذ الاتّفاقية المبرمة	٧٩
المأساة المتوقّعة	٨١
اعتزال الخوارج عن سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه	٨١
المناظرة بين سيّدنا عليّ والخوارج	٨٢
حرب سيّدنا الإمام عليّ للخوارج المتهوّسين	٨٤
بيان الحكم الشرعيّ في قتال أمير المؤمنين سيّدنا عليّ	٨٦
نية سيّدنا عليّ رضي الله عنه إلى المسير للشام	٨٩
حان الوقت لمعاوية لإرسال البعوث	٩٠
من أعمال معاوية وعمرو بن العاص	٩٠
نهاية الخلافة ومقتل سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنه	٩١
المؤامرة الآثمة وأعوانها	٩٢

الموضوع	الصفحة

تاريخ استشهاد الإمام كرّم الله وجهه	٩٣
وصيّة الإمام سيّدنا عليّ لأولاده	٩٤
حكومة سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه	٩٥
ثقافة سيّدنا عليّ رضي الله عنه	٩٦
تحفة ثمينة للإمام عليّ كرّم الله وجهه	٩٧
سيّدنا الإمام هو واضع علم العربيّة (النحو)	٩٩
زوجات سيّدنا علي وأولاده ذكوراً وإناثاً	١٠٠
وصف عام لسيّدنا الإمام رضي الله عنه	١٠٢
وصف سيّدنا علي أمام معاوية	١٠٣
وصف دقيق لسيّدنا الإمام أمام معاوية أيضاً	١٠٣
التعقيب على هذا الحوار	١٠٦
مفاخرة سيّدنا عليّ رداً على مفاخرة معاوية عليه	١٠٧
شجاعة سيّدنا الإمام عليّ الباهرة	١٠٨
كرم أخلاق سيدنا الإمام عليّ وحلمه وعفوه كرّم الله وجهه	١١١
تواضعه رضي الله عنه	١١٢
عبادة سيّدنا عليّ وتقواه لله تعالى	١١٣
زهده وورعه رضي الله عنه	١١٤
رأي سيّدنا عليّ وتدبيره	١١٥
سياسة سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه	١١٦
الإمامُ عليٌّ أمام القضاء مع نصرانيّ	١١٧
مداعبة حلوة على يد الإمام سيّدنا عليّ كرم الله وجهه	١١٨
حضور ذكاء الإمام سيّدنا عليّ رضي الله عنه	١١٩

الموضوع	الصفحة
كرمُ سيِّدنا عليٍّ وإحسانه الكبير	١٢٠
من فضائله كرَّمَ اللهُ وجهَهُ	١٢٢
جمعُ سيّدنا عليٍّ رضي الله عنه للقرآن الكريم	١٢٣
حفظه للحديث النبوي الشريف	١٢٤
قصة طريفة نزل بها القرآن بحقِّ سيِّدنا الإمام	١٢٥
من غُررِ فتاويه النافعة	١٢٦
علم سيّدنا الإمامِ عليٍّ وأقوال العلماء فيه.	١٢٧
حكمه وقضاؤه في بقرةٍ قتلت حماراً	١٢٨
إفتاؤه بمن شرب خمراً ولم يعلم بتحريمها	١٢٩
إفتاؤه في تفسير قوله تعالى (وفاكهة وأبّاً)	١٣٠
إفتاؤه في امرأة مجنونة كادت أن تُحدّ	١٣١
الإمام لم يقطع الخطبة	١٣٢
شدّة ذكاءِ الإمام في حلِّ مسألةٍ إرثية	١٣٢
مسألة تحتاج لعلم حساب الجبر	١٣٣
والدٌ يوصي أن يلتزم أبناؤه الثلاث قسمة الإبل السبعة عشر	١٣٤
إفتاء صريح وجواب محكم لسيّدنا الإمام	١٣٥
غلام من الأنصار يتخاصم مع أمِّه	١٣٦
مسألة مستعصية بين شابٍّ وامرأةٍ	١٣٧
هكذا يكون التحقيق مع المتّهمين	١٣٨
حجّة الإمامِ في امرأةٍ زانيةٍ	١٣٩
حادثة يتيمة مؤلمة ينصفها الإمام بالحجّة والدليل	١٤٠
إفتاؤه للمرأتين في شأن صبيٍّ وليد اختلفتا عليه	١٤١

الموضوع	الصفحة

إفتاؤه في خمسة رجال أخذوا في جريمة الزنا	١٤٢
إفتاؤه في قضية المرأة المؤتمنة والرجلين المودعين	١٤٢
إفتاؤه في مسألة الرجل وزوجتيه	١٤٣
إفتاؤه عن ستة لا يقصرون الصلاة فمن هم ؟	١٤٤
إفتاؤه في مسألة كلب وطئ شاة	١٤٤
سؤال وجه للإمام سيدنا علي وجوابه عليه	١٤٥
دروس قيمة عن الإمام سيدنا علي رضي الله عنه	١٤٦
من خطب الإمام في بيان صفات الله والإيمان به	١٤٧
من دروس سيدنا الإمام علي للمسلمين وهي هامة	١٥٣
بيان صريح لسيدنا الإمام علي في الدعوة لأداء فريضة الحج	١٥٤
أمر واضح لسيدنا الإمام علي للأمراء في شأن الصلوات الخمس	١٥٥
بيان الإمام سيدنا علي عن أسرار التشريع الإسلامي	١٥٦
من جواهر أقوال سيدنا الإمام كرم الله وجهه وهي قيمة ومفيدة	١٥٧
خطاب هام لسيدنا علي رضي الله عنه على أصحابه يوصيهم بالزكاة وأداء الأمانة	١٦٠
حب سيدنا الإمام للعلم وأمره بتعليمه	١٦٢
الإمام أمير المؤمنين في ذمة الله تعالى	١٦٤
من كلمات الإمام سيدنا علي الخالدات على مر الزمن.	١٦٥
من حكم الإمام السامية	١٦٨
من وصايا الإمام وصيته لأولاده	١٧١
من كلماته الرائعة في قوة إيمانه	١٧١
كلمة عامة في سيدنا علي رضي الله عنه	١٧٢

الموضوع	الصفحة

فضلُ سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم	١٧٥
من فضائل الإمام الرضيّ المرتضى سيّدنا الإماد عليّ رضي الله عنه	١٧٨
سيّدنا الإمام عليّ يقول: أنا وزيرك يا رسول الله	١٧٩
خصال خاصّة في سيدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه	١٨٠
حديث غدير خمّ وما يبنى عليه	١٨٢
مساجلة لطيفة بين أبي بكر وبين سيّدنا الإمام عليّ رضي الله عنهما	١٨٥
كلمة في ذمّة المؤرّخين للتاريخ	١٨٧
خلاصة تاريخيّة يجب قراءتها	١٨٩
اسمه وكنيته	١٩١
مولده	١٩١
بيئته	١٩١
صفته	١٩٢
إسلامه	١٩٢
مع الرسول	١٩٢
بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم	١٩٣
في خلافته	١٩٤
أسبابُ استشهاده	١٩٥
تدبير المؤامرة	١٩٦
استشهاد سيّدنا عليّ رضي الله عنه	١٩٨

الموضوع	الصفحة

درس وعبرة	١٩٩
بعد استشهاد سيّدنا عليّ رضي الله عنه	٢٠٠
أبرز نواحي عظمة الإمام عليّ رضي الله عنه	٢٠١
شجاعة سيّدنا عليّ كرّم الله وجهَه	٢٠٤
ورع سيّدنا عليّ وزهده	٢٠٦
ختام البحث بوصف سيّدنا عليّ رضي الله عنه	٢٠٧
من كلماته الخالدة : وصيّته للمسلمين	٢٠٨
وصيّته لكميل بن زياد	٢١٠
فضل أبناء سيّدنا عليّ وأحفادِه رضي الله عنه	٢١١
خاتمة الكتاب ونصيحة سيّدنا عليّ لأولادِه	٢١٢
أبلغُ ما كتب عن الإمام عليّ تحت عنوان أسرار العظمة والبطولة	٢١٩
شخصيّة سيّدنا عليّ الإسلاميّة المثاليّة	٢٢٦
نشأة سيّدنا الإمام عليّ	٢٢٦
ثبات في الزعازع وصمود للعواصف والمحن	٢٢٨
خلاصة قيّمة في تاريخ الشهيد وأبي الشهداء سيّدنا علي كرّم الله وجهه للحفظ والاتّباع	٢٣٠
خلافتُه	٢٣١
أهمُّ الأحداث في خلافته	٢٣١
موقعة الجمل	٢٣١
موقعة صفّين	٢٣٢
التحكيم	٢٣٣

الموضوع	الصفحة
موقعة النَّهْرَوان	٢٣٣
استشهاد الإمام عليٍّ كرّم الله وجهه	٢٣٤
من حِكم هذا الإمام	٢٣٥
وصفُ آل البيت على لسانِ الشاعر الفرزدق	٢٣٨
دعاءٌ وابتهال	٢٤١
الختام	٢٤٣
مصادر الكتاب ومراجعه	٢٤٤
الفهرس	٢٤٩

الكتب المطبوعة للمؤلف

١ــ الصواب فيما ورد في الحجاب.
٢ــ منحة الخلّاق في تحريم الربا ووجوب الزكاة في الأوراق.
٣ــ الموجز المعتبر في كيفيّة أداء الحجّ والعمرة وزيارة سيد البشر.
٤ــ النبيّ الأمين قدوة للمؤمنين.
٥ــ حقائقنا أمام دعاة اللامذهبيّة.
٦ــ كتاب الروح في القرآن.
٧ــ المنهج المستقيم في الآداب.
٨ــ المجموعة المختارة طبع منها ثلاثون جزءاً.
٩ــ بعث الهمم لموجز سيرة سيد الأمم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.
١٠ــ نعيم الدارين في برّ الوالدين.
١١ــ حكم الإسلام في الضفادع على المذاهب الأربعة.
١٢ــ حكم الاحتكار على المذاهب الأربعة.
١٣ــ حكم الصلاة ومتعلّقاتها وتوابعها على مذاهب الإمام الشافعيّ.
١٤ــ الاصطفا في سيرة النبي المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم .
١٥ــ شخصيّات إسلاميّة في فجر الإسلام.
١٦ــ زاد المحتاج فيما يلزم الحاجّ.
١٧ــ المنهل العليّ في تاريخ سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه.
١٨ــ هداية الأحياء للأموات.
١٩ــ هداية الأحياء والأموات.
٢٠ــ الصلاة في مذهب الإمام الشافعيّ.
٢١ــ المنهل الإبريز في تاريخ عمر بن عبد العزيز

تابع الكتب المطبوعة للمؤلف.

٢٢ــ المنهل المعتبر في تاريخ الصديق أبي بكر

٢٣ــ إثبات وجود الله علماً وعقلاً.

٢٤ــ المنهل المستطاب في تاريخ الفاروق عمر بن الخطاب.

٢٥ــ التحف السنية في الخطب الأسبوعية.

وللمؤلف كتب أخرى قيد الطبع ، أسأل الله العليَّ القديرَ القبول والرِّضى.

تنضيد :

مركز الأتارب للكومبيوتر

هـ ٠٢١/٦٣٣٣٤٣٠